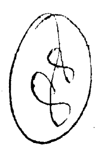
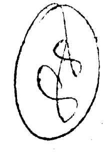
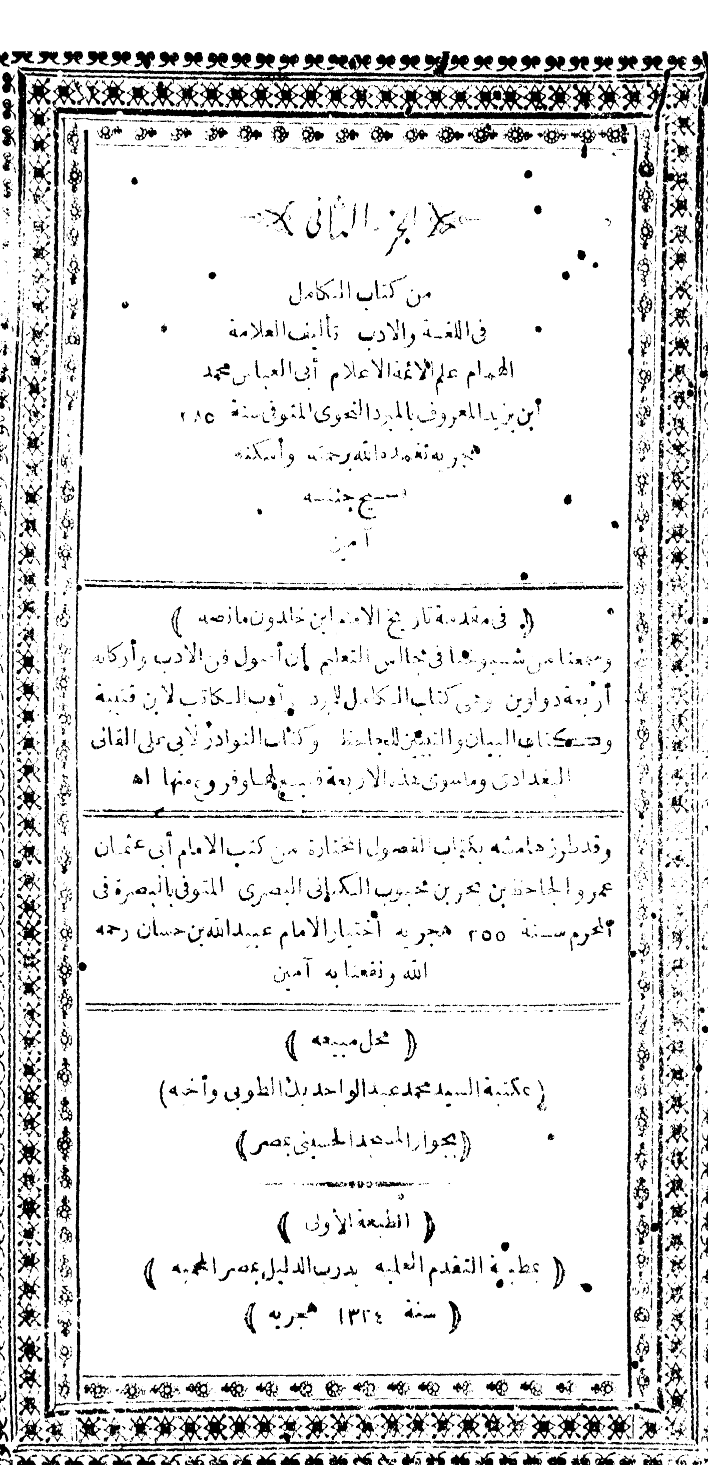


٢



٢٠





الجزء الثاني

من كتاب الكامل

في اللغة والادب تأليف العلامة

الهمام علم الائمة الاعلام أبي العباس محمد

ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥

هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه

فسيح جناته

آمين

(في مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه)

وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري المتوفى بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

(محل مبيعه)

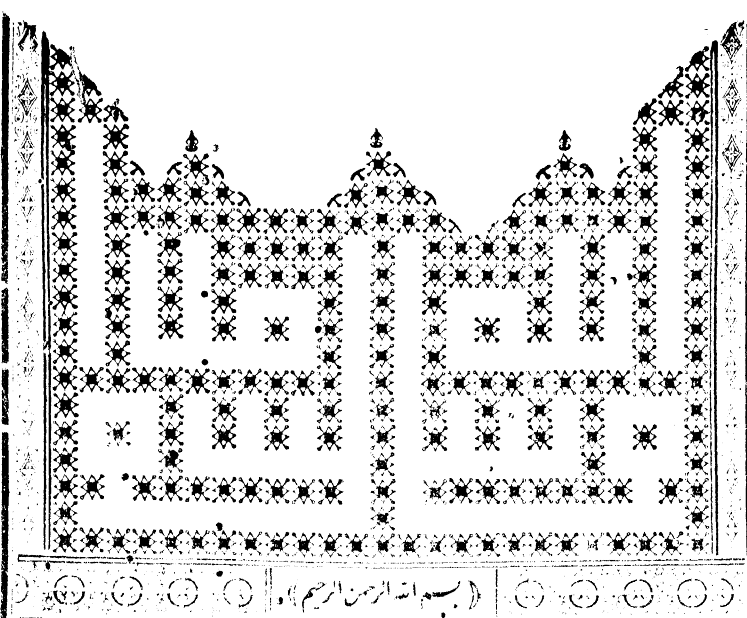
(مكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبي وأخيه)

(بجوار المسجد الحسيني بمصر)

(الطبعة الأولى)

(مطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه)

(سنة ١٣٢٤ هجريه)



بسم الله الرحمن الرحيم

باب ما يجوز فيه يفعل [illegible]

اعلم ان كل فعل على فعُل فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل في نفسه وتأويله الانتقال
وذلك قولك كرُم عبد الله وشرُف عبد الله تأويل قولي الانتقال اعاده وانتقال من حال الى حال
تقول ما كان كريما ولقد كرُم وما كان شريفا ولقد شرُف فهذا تأويله فاما ولم يأت منه كذا فاعلا
[illegible] معترضة على أكثر ما كان من فعل الصحيح فانه يفعل نحو ضرب يضرب وعلم وفرق
ويكون متعديا وغير متعد تقول حذرت زيدا وعلمت عبد الله ويكون فيه مثل سمنت وبخلت
غير متعد وكله على يفعل نحو يسمن ويبخل ويعلم ويضرب فاما قولهم في الاربعة من الافعال
يحسب وييئس وينعم وييبس فهي معترضة على يفعل تقول في جميعها يحسب وينعم وييئس
وييبس وما كان على فعَل فبابه يفعُل ويفعِل نحو قتل يقتل وضرب يضرب وقعد يقعد وجلس
يجلس فقد أنبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فاما أبى يأبى وقلى يقلى فلها علة تبين عند ما أذكرها لك
ان شاء الله ولا يكون فعَل يفعَل الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة في موضع
العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عينا فتح نفسه وان كان لاما فتح العين وحروف الحلق
الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ اقرأ أيا فتى وقراءة وسأل يسأل

فصل منه في الاحتجاج للجمع على قراءة زيد

ولو كان زيد من آل أبي العاص أو من عرض بني أمية لوجد ابن مسعود متعلقا ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد الى القول سبيلا ولو كان ابن مسعود رجلا من بني هاشم لوجد للطعن موضعا ولو كان عثمان رضي الله تعالى عنه استبد بذلك الرأي على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله وجميع

وأجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع وظعن يظعن وضج يضج وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز ان يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزئر وفرغ يفرغ وصبغ يصبغ الا ان الفتح لا يكون فيما ماضيه فعل الا وأحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب في يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة في موضع فانه والقول عندي على ما شرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالف وهي من حروف الحلق ولكن لم نذكرها لانها لا تكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هي حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذي ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فعل يفعل في المعتل كحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلغ والاصل يلغ ففرق الحلق فتحه

((باب))

يروى عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه انه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال ما بال أبي العباس لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رحمه الله قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميته قال أو يجوز لي ان أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذه اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه وكان علي سيدا شريفا عابدا زاهدا وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات وضرب بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما في تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ما تصنعين به قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لان مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال علي بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لاكون لها محرما وأما ضربه اياه في المرة الثانية فانا رويه من غير وجه ومن أتم ذلك ما حدثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخي (هو محمد بن شجاع الثلجي كذا صوابه) في اسناد له متصل لست أحفظه

المهاجرين والانصار لوجد للتهمة مساغا فاما والامر كما وصفنا وبينا فالطاعن على عثمان الا رجل أخطأ خطة الحق ورسبل على صاحبه وكل بني آدم من الخطأ نصيب والله عز ذكره يغفر له ويرحمه والذي يخطئ عثمان في ذلك فقد خطأ عليا وعبد الرحمن وسعدا والزبير وطلحة وما عليه الصحابة ولو لم يكن ذلك رأي علي لغيره ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ولو لم يمكنه في زمن عثمان لامكنه في

يقول في آخر ذلك الإسناد رأيت عليا مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب
البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلت ما هذا الذي نسبوك فيه
الى الكذب قال بلغهم قولي ان هذا الأمر سيكون في ولدي والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم
الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر في
شبيه باسناده أن علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابناه الخليفتان
أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما أذكره لك انما ينبغي أن يكون دخل على
هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم علي دين فأمر بقضائها
قال له وتستوصي بابني هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى علي قال الخليفة
لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع
ذلك علي فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان قال أبو العباس أما قولي ان الخليفة
في ذلك الوقت لم يكن سليمان فلأن محمد بن علي بن عبد الله كان يمنع من تزوج الحارثية للحديث
المروي فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له اني أردت أن أتزوج بنت خالي من بني الحرث
ابن كعب أفتأذن لي فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير
المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغي أن يكون مثله أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (كذا
كذا وقع في الأم والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثل هذا الا في
أيام هشام وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثني التوزي قال قال علي بن عبد الله سايرت يوما
عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فعتب عبد
الملك فأسر الى الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال
لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال
حضر علي عبد الملك وقد أهدي له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر
الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهي من سبي
الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابني علي وذكر جعفر بن عيسى أنه لما
أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدري خرج عليه فانصرف علي من صلاة

زمن نفسه وكان لا أقل
من اظهار الجفاء له إلا
تجويل الأمة وكان
لا أقل من التجربة انه لم
يكن من الترجيح على ثقة
بل لم يكن لعثمان في ذلك
مالم يكن لجميع الصحابة
وأهل القدم والقدوة
ومع ان الوجه فيما صنعوا
واضح بل لا نجد لما صنعوا
وجها غير الاصابة
والاحتياط والاشفاق
والنظر للعواقب وحسم
طعن الطاعن ولو لم يكن
ما صنعوا والله تعالى فيه رضا
لما اجمع عليه أول هذه

فأدلها على فراشه. فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعد فسألها عن
ذلك فقالت خفت أن يموت سليمان فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالآن إذ ولدت صالحا فبالحرى إن ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس مثلي اليوم من وطئه
الرجال وزعم جعفر أنه كانت فيها رتة فالرتة تعذر الكلام إذا أراده الرجل فهي الآن معروفة في
ولد سليمان وولد صالح وكان علي يقول أكره أن أوصي الى محمد وكان سيد ولده خوفا من أن أشينه
بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن علي جاء محمد الى سُعْدَى فقال أخرجي الي وصية أبي فقالت
إن أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال
يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنت لأثرب على أبي بعد
موته كما لم أثرب عليه في حياته قال أبو العباس التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة
التواء اللسان عند إرادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند إرادته واللفف إدخال حرف في حرف
والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فإذا جاء منه شيء اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك
تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها الكلام العجم واللكنة أن تعترض على
الكلام اللغة الأعجمية وسنفسر هذا بحجة حرفا حرفا وما قيل فيه إن شاء الله واللثغة أن يعدل
بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام.
يقال رجل فأفاء يا فتى تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام قال الراجز

يا مي ذات الجورب المنشق • أخذت خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى والصحيح أنه بالهمز على فعلال مثل خضخاض
وقمقام فالذي حكى أبو العباس غلط لأن سيبويه رحمه الله قال ليس في الصفات فاعال قال
أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وختام على وزن ديان وخاتام على وزن
ساباط) وقال ربيعة الرقي في مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وربيعة احتج به الأصمعي
وذمه يزيد بن أسيد السلمي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى • يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله • وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

الأمة وآخرها وأن أمرا
اجتمعت عليه المعتزلة
والشيعة والخوارج
والمرجئة لظاهر الصواب
واضح البرهان على اختلاف
أهوائهم وبغيتهم لكل
ما ورد عليهم فإن قال قائل
هذه الروافض بأسرها
تأبى ذلك وتنكره وتطعن
فيه وترى تغييره قلنا إن
الروافض ليست منا
بسبيل لأن من كان أذانه
غير أذاننا وصلاته غير
صلاتنا وطلاقه غير طلاقنا
وعتقه غير عتقنا وحجته
غير حجتنا وفقهاؤه غير

فلا يحسب الفتيان أني هجوته • ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا

ليس بفأفاء ولا تمتام • ولا كثير سقط الكلام

وقال الشاعر

وقد تعتريه عقلة في لسانه • اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر في أيام محاربة الزط فاعترتني حبسة في لساني وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل والرجل الى التمرين على المشي وكما يعانيه موتر القوس ورافع الحجر ليصلب ويشتد قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق • من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت حواشيه ولانت عذبته وقال العتابي اذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف واما الرتة فانها تكون غريزة قال الراجز

❁ يا أيها المخلط الأرت ❁ ويقال انها تكثر في الاشراف ولم يختص بها واحدا دون واحد واما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن الاصمعي عن شعبة عن قتادة قال قال معاوية يوما من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعي وجرم من فصحاء الناس قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج وانها مهموسة مثلها فأرادوا البيان في الوقف لان في الشين تفشيا فيقولون لامرأة جعل الله لك البركة في دارش ويحك مالش والتي يدرجونها يدعونها كافا والتي يقفون عليها يبدلونها شينا وأما بكر فتختلف في الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين ويزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس واما الغمغمة فقد ذكرت لك وقال الحارث لامرأته يوم الخندمة وذلك انها أبصرته يحدد حربة في يوم فتح مكة فقالت ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال لها اني لأرجو أن أخدمك بعضهم

فقهاؤنا وامامه غير امامنا وقراءته غير قراءتنا وحلاله غير حلالنا وحرامه غير حرامنا فلا نحن منه ولا هو منا ولا أي شيء جانب من قراءة ابن مسعود فوالله ما كان أحد أفرط في العمرية منه ولا أشد على الشيعة منه ولقد بلغ من حبه لعمر رضي الله عنه ان قال لقد خشيت الله تعالى في حب لعمر فلم يحامون عنه وهو كان شجاهم لو أدركهم (فصل منه) فأمن الله رجلا فارقهم ولزم الجماعة

وأنشد أيضاً يقول (الهارب هو أبو عثمان الهذلي ويقال له الرَّمَّاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخي بني بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشى فيه امرأ فأضيف الى اليوم لما كثر فيه)

انْ تُقبِلوا اليومَ فما لي عِلَّهْ • هذا سلاحٌ كاملٌ وأَلَّهْ • وذو غِرارَين سريعُ السَّلَّهْ

الأَلَّةُ الحَرْبة والغرار ههنا الحد يعنى بذى غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انكِ لو شهدتِ يوم الخندمه • اذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمه • ولحقتنا بالسيوف المُسْلِمه
يفلقن كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَه • ضرباً فلا تسمعُ الا غَمْغَمَه • لهم نَهِيتٌ حولنا وحَمْحَمَه
• لم تَنطِقي في اللوم أدنى كلمه •

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبرى له حُولُ النعام كأنها • حِزَقٌ يمانيةٌ لأعجم طِمْطِمِ

وكان صُهَيبٌ أبو يحيى صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رومية ويذكرون أن نسبه فى النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابقُ الفُرس وبلالٌ سابق الحبشة وقال عمر لصهيب فى قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعتَ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع علىَّ سباءٌ وكان عبدُ بنى الحَسْحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب

عُمَيرةَ ودِّعْ إنْ تجهزتَ غاديا • كفى الشيبُ والاسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنتَ قدَّمتَ الاسلامَ على الشيب لأَجَزْتُكَ فقال ما سَعَرْتُ يريد ما شَعَرْتُ وكان عُبَيدُ الله ابن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شِيرَوَيْهِ الاسوارى ويقال ان عليا عليه السلام عاد زياداً فى منزل شِيرَوَيْه فقال عبيد الله يوماً لرجل كلمه فظن به رأى الخوارج (الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانئ بن قبيصة) أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليوم يريد أحَرُورِىٌّ وهذه الهاء تشترك فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجم وكان زيادٌ الأعجمُ وهو رجل من عبد القَيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المُهَلَّبَ بن

فان فيها الانس والجمعة وترك الفرقة فان فيها الوحشة والشبهة والحمد لله الذى جعلنا لا نفرق بين ائمتنا كما جعلنا لا نفرق بين انبيائنا

(فصل منه) والذى دعانا الى تأليف جميع الرسول ونظمها وجمع وجوهها وتدوينها انها متى كانت مجموعة منظومة نشط لحفظها وتفهمها من كان عسى ان لا ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها او جمع متفرقها وعلى اللفظ المؤثر عنها

آبي صُفرة في مدحه اياه ... فتًى زاده السلطانُ في المدح رغبةً • اذا غيّر السلطانُ كلَّ خليلِ

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلتان واما الغنثنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لانهما لم تفرط غيل الى ضرب من النغمة قال ابن الرقاع العاملي يصف الظبية وولدها

تُزجي أغنَّ كأنّ ابرةَ روقه • قلمٌ أصاب من الدواة مدادها

ومن كان عيي ان لا يعرف وجه مطلبها والوقوع عليها او لعل بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها ولعل بعضهم وان كان قد عرفها بحقها وصدقها فلم يعرفها من اسهل طرقها واقرب وجوهها او لعل بعضهم ان يكون قد كان عرف فنسي او تهاون بها فنسي بل لا نشك انها اذا كانت مجموعة محبرة مستقصاة مفصلة انها استزيد في بصيرة العالم ويجمع الكل لمن كان لا يعرف الا البعض

﴿ باب ﴾

قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي

لم تر عيني مثل سربٍ رأيته • خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفخٍّ ثم رحن عشيةً • يلبين للرحمن مؤتجرات

تضوّع مسكا بطن نعمان ان مشت • به زينب في نسوة عطرات

وقامت تراءى يوم جمعٍ فأفتنت • برؤيتها من راح من عرفات

ولما رأت ركب النميري أعرضت • وكنّ من ان يلقينه حذرات

دعت نسوة شمّ العرانين بدّنا • نواعم لا شعثا ولا غبرات

(ويروى ولا غفرات بالفاء أخت القاف من الغفر وهو الشعر الذي ينبت في اللحيين يقال غفرت المرأة اذا نبت لها ذلك الشعر)

فأدنين لما قمن يحجبن دونها • حجابا من القسيّ والحبرات

أحلّ الذي فوق السموات عرشه • أوانس بالبطحاء معتمرات

يخبّئن أطراف البنان من التقى • ويخرجن جنح الليل معتجرات

قوله مثل سرب رأيته هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من الطير كما قال

لم تر عيني مثل سربٍ رأيته • خرجن علينا من زقاق ابن واقف

فهذا يعني نساء (القطيع من السباع يقال له سربٌ قاله ابن جني وكذلك من الماشية كلها) ويقال مرّت بنا سربة من الطير في هذا المعنى قال ذو الرمة

سوى ما أصاب الذئب منه وسربةٌ • أطافت به من أمهات الجوازل

ويقال فلان واسع السرب يعني بذلك الصدر ويقال خل لفلان سربه أي طريقه الذي يسرب فيه ويقال للابل كذلك بالفتح لاذعرن سربك ويقال حذرات وحذرات ويقظ ويقظ قال ابن أحمر

هل ينسئن يومي الى غيره ٭ أني حوالي وأني حذر

وقوله وكن من أن يلقينه حذرات الاصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تلقي حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول من ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومن اخوانك ومن ام زيد فتضم النون وتكسرها وتفتحها على ماذكرت لك وتقول الذي يخرج الخب في السموات وفلان له هية وهذه مرة اذا خففت الهمزة في الخبء والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سل بني اسرائيل لانها كانت اسئل فلما تحركت السين بحركة الهمزة سقطت ألف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف في هذا الموضع بحذف الهمزة لان الهمزة اذا خففت قربت من الساكن والدليل على ذلك أنها لا تبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجري مجرى الساكن حذفت المعتل منها كما تحذف لالتقاء الساكنين وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشماء السابغة الانف والمصدر الشمم وقال أحد الشعراء يمدح قثم بن العباس

عتقت من حل ومن رحلة ٭ يا ناق ان قربتني من قثم

انك ان قربتنيه غدا ٭ عاش لنا اليسر ومات العدم

في باعه طول وفي وجهه ٭ نور وفي العرنين منه شمم

لم يدر ما لا وبلى قد درى ٭ فعافها واعتاض منها نعم

(قال أبو الحسن أنشدنيه أبي لسليمان بن قتة وزادني

أصم عن ذكر الخنا سمعه ٭ وما عن الخير به من صمم)

والعرنين والمرسن والانف واحد لما يحيط بالجميع والبدن واحدها بادن كقولك شاهد وشهد وضامر وضمر وهو العظيم البدن يقال بدن فلان اذا كثر لحمه وبدن اذا أسن وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد بدنت فلا تسبقوني بالركوع والسجود (من رواه بدنت بضم الدال فقد أخطأ لان بدن بمعنى ضخم ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين

ويذكر الناس ويكون عدة على الطاعن ولعل بعض من ألحد في دينه وعمي عن رشده وأخطأ موضع حظه ان يدعوه العجب بنفسه والثقة بما عنده الى ان يلتمس قراءته ليتقدم في نقضها وافسادها فاذا قرأها فهمها واذا فهمها انتبه من رقدته وأفاق من سكرته لعز الحق وذل الباطل ولاشراف الحجة على الشبهة ولان من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجافاه لان

الرجلين ومعنى بدّن بالتشديد أسنّ) والأشعث والشعثاء الحاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

من كان حين تمسّ الشمس جبهته • أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته • فسوف يسكن يوما راغما جدثا

(قال أبو الحسن وزادني أبي •

في بطن مظلمة غبراء مقفرة • كيما يطيل بها في بطنها اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به • يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا)

وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر إلى أم عمرو بنت مروان بن الحكم وكانت صارت اليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها فعلمت بذلك فبعثت اليه لا ترفع بي صوتا وأهدت له ألف دينار فاشترى بها عطرا وبزّا وأهداهما لها فأبت أن تقبله فقال اذا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول

وكم من قتيل لا يباء به دم • ومن غلق رهنا اذا ضمه منى

وكم مالئ عينيه من شيء غيره • اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يجررن أذيال المروط بأسوق • خدال اذا ولين أعجازها روى

أوانس يسلبن الحليم فؤاده • فيا طول ما حزن ويا حسن مجتلى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر • ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

وفيها أيضا يقول

أيها الرائح المجدّ ابتكارا • قد قضى من تهامة الأوطارا

ليت ذا الحج كان حتما علينا • كل شهرين حجة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا انه يقال أبأت فلانا بفلان فباء به اذا قتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثاني كفء للأول فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحرث بن عباد فقيل للحرث ولم يكن دخل في حربهم ان ابنك قد قتل فقال ان ابني لأعظم قتيل بركة اذ أصلح الله به بين ابني وائل فقيل له انه لما قتل قال مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة مني • لقحت حرب وائل عن حيال

الانسان لا يباهي بنفسه والحق بعد قاهر له ومع التلاقي يحدث التباهي وفي المحافل يقل الخضوع ويشتد النزوع ثم رجع الكلام الى حاجة الناس الى استماع الاخبار والتفقه في تصحيح الآثار فأقول ان الناس قد استغنوا عن التكرير وكفوا مؤنة البحث والتنقير لقلة اعتبارهم ومن قل اعتباره قل علمه ومن قل علمه قل فضله ومن قل فضله كثر نقصه ومن قل علمه وفضله

لا يَجْبُرُ أَغْنَى فَتيلاً ولا رَهْطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلالِ

لم أكن من جُناتها عَلِمَ اللهُ وإنّى بحَرّها اليومَ صالى

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ ● فإن تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنكم ● فَتَى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامر

وقال عمرو بن حُنَىّ التغلبىّ ● ألا تنتهى عنّا ملوكٌ وتَتَّقى ● محارمَنا لا يَبُوءُ الدمُ بالدم

ويقال باء فلانٌ بذَنْبه أى بخَعَ به وأقرّ قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكمُ فى غير مُلْككم ● لَبُؤْتُ به أو غَصَّ بالماءِ شاربُهْ

ويقال باء فلانٌ بالشئ من قول أو فعل أى احتمله فصار عليه وقال المفسرون فى قول الله جل وعز انى أريد أن تَبُوءَ بإثمى وإثمك أى يجتمعا عليك فتحملهما وأما قوله ومن غلق رهن فى جرفه ومن قولهم رهنٌ غَلِقٌ فلما قدّم النعت اضطرارا أبدل منه المنعوت ولو قال ومن غَلِقٍ رهنا فنصب على الحال من المعرفة بقى الاسم المضمر فى غَلِق وقوله اذا ضمه منى فانما سميت منى لما يُمْنَى فيها من الدم يقال فى المَنِىّ وهى النطفة مَنَى الرجلُ وأمنى والقراءة أفرأيتم ما تُمْنُونَ ويقال مَذَى الرجلُ وأمذى وودَى وأوْدى فقولهم ودَى يعنى البلة (بكسر الباء برواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التى تكون فى عقب البول كالمَذْى وأما المذى فيعترى من الشهوة والحركة وقال على بن أبى طالب رحمه الله كلُّ فحلٍ مذّاءٌ ومن كلام العرب كل فحل يَمْذى وكل أنثى تَقْذى وهو أن يكون منها مثل المذى ولمنى موضع آخر يقال مَنَى الله لك خيرا أى قدّر لك خيرا ويقال مَنَى الله أن ألقى فلانا أى قدّر والمَنِيَّةُ من ذا يقال لقى فلان منيته أى ما قُدّر له من الموت فأما المَنِيئَةُ بالهمز فهى المَدْبَغةُ وهى المكان الذى يُدْبَغ فيه وقوله اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمَى الجمرة انما سميت لاجتماع الحصى فيها ومن ثم قيل لا تُجَمِّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أى لا تجمعوهم فى المغازى والتجمير التجميع وكذلك قيل فى جَمَرات العرب وهم بنو نُمَيْر بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْد وبنو ضَبَّةَ بن أُدّ بن طابخة وبنو عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث لأنهم تجمّعوا فى أنفسهم ولم يُدْخِلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة لم يَعُدَّ فيهم عَبْسا فى كتاب الديباج ولكنه قال فطَفِئَتْ جمرتان وهما بنو ضَبَّةَ لأنها صارت الى الرِّباب فحالفت وبنو الحرث لأنها صارت الى مَذْحِج وبقيت بنو نُمَيْر الى الساعة لأنها لم تُحالِف وقال النميرىُّ يُجيب جريرا

وكثر نقصه لم يحمد على خير أتاه ولم يذم على شر جناه ولم يجد طعم العز ولا سرور الظفر ولا روح الرجا ولا برد اليقين ولا راحة الأمن وكيف يشكر من لا يقصد وكيف يلام من لا يتعمد وكيف يقصد من لا يعلم وما عسى ان يبلغ قدر سرور من لا يحس من السرور الا بما سرت به حواسه ومسه جلده وكيف بأنى أردع الأفعال وأبعد الشرين من ركب شراسة السباع وغباوة البهائم

نُمَيرٌ جمرةُ العرب التي لم * تزل في الحرب تلتهب التهابا

وإني إذ أسبّ بها كليبا * فتحتُ عليهم للخسف بابا

وقال في هذا الشعر ولولا أن يقال هجا نميرا * ولم نسمع لشاعرها جوابا

رغبنا عن هجاء بني كليب * وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكلابا

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ليت شعري هل أقولن لركب * بفلاة هُم لديها هُجوعُ

طالما عرّستم فاستقلوا * حان من نجم الثريا طلوعُ

ان همّي قد نفى النوم عني * وحديث النفس شيء ولوعُ

قال لي فيها عتيقٌ مقالا * فجرت مما يقول الدموعُ

قال لي ودّع سليمى ودعها * فأجاب القلب لا أستطيعُ

لا تلمني في اشتياقي اليها * وابكِ لي مما تجنّ الضلوعُ

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وإنما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن أُمَيّة الاصغر وهم العبلات وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغني واسمه عبد الملك ويكنى أبا يزيد ويقول اسحق بن ابراهيم الموصلي انما سمي الغريض بالطلع لان الطلع يقال له الاغريض وليس هو عندي كما قال انما سمي الغريض لطراءته يقال لحم غريض وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى مصر فقال عمر يضرب لهما المثل بالكوكبين

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيلٌ اذا استقل يماني

وقوله قال لي فيها عتيق مقالا يزعم الرواة أن كل شيء ذكر فيه عتيقا أو بكرا فانما يعني ابن أبي عتيق (ابن أبي عتيق هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابي وأبوه عبد الرحمن صحابي وجده أبو بكر صحابي وجد أبيه أبو قحافة صحابي ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبي عتيق غلبت عليه الدعابة وشُهر بها) وكان ابن أبي عتيق من نُسّاك قريش وظُرفائهم بل كان قد بذّهم ظرفا وله أخبار كثيرة سنورد بعضها في

ثم لم يعط الآلة التي بها يستطيع التفرقة بين ما عليه وله والعلم بمصالحه ومفاسده فيقوى بها على عصيان طبائعه ومخالفة شهواته وبها يعرف عواقب الأمور وما تأتي به الدهور وفضل لذة القلب على لذة البدن وان سرور الجاهل لا يحسن في جنب سرور العالم وان لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم وأي سرور كسرور العز والرياسة واتساع المعرفة وكثرة صواب الرأي

الكتاب ان شاء الله فمن طريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة

فيا ليتنا متنا معاً غير أننا • كلانا من الثوب المطرّف لابس

فقال أبنا يلعب ابن أبي ربيعة فأتى محرم بني فركب بغلته متوجها الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم قال ان ذا الحاجة لا يحرم فلقي ابن أبي ربيعة فقال أما زعمت أنك لم تركب حراما قط قال بلى قال فما قولك • كلانا من الثوب المطرف لابس • فقال له اذاً أخبرك خرجت بغلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفي فستّرنا الغلمان به لئلا يرونا وجاءت بلة فيقولوا هلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة

من رسولي الى الثريا بأني • ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنا زوّارا فقال أجل ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق انما رأيتني متلددا تلتمس رسولا لخففت في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق عجّل المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها للمصعب فقالت والله ما عزمي ان أكلمه أبدا فلما رأى جدها قال لها يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عودك الله ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما اني لمشغوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لاحد فقال انما كنا في ذكر الاشراف ولو كنا في ذكر الانبياء لقدّمنا ما لابي محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المري لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل

والنصح الذي لا سبب له الا حسن النظر والتقديم في التدبير العلم بالله وحده وانك بعرض ولايته والجاه عنده وانه الذي يرعاك ويكفيك وانك اذا أهملت اليسير أعطاك الكثير ومتى تركت له الفاني أعطاك الباقي ومتى أدبرت عنه دعاك ومتى رجعت اليه اجتباك ويحملك على حقك ويعطيك على نظرك لنفسك ولا يغنيك الا ليقيك ولا يميتك الا ليحييك ولا يمنعك الا ليعطيك

عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزناء ففعل وأجّلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحطّ رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي فقالت أوما تدري ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمي الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف أن لا تغني شيأ وننكظ (نعني تنا الناشدة) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحد ما أقدمه عليه حبّ التسليم عليه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزناء قال ان أهلك أشاروا عليّ بذلك قال فانك قد وفّقت ولكني رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الامير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لا يدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فأمرها ابن أبي عتيق فتقشّفت وأخذت سبحة في يدها وصارت اليه وحدّثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للأمير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدي للأمير فحرّكه حداؤها ثم قال لها غنّي للأمير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال قل لها فلتقل وأمرها فتغنّت

سددن خصاص الخيم لما دخلنه ٭ بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيّان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذا يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعا وقال ابن نمير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ٭ بذي الزيّ الجميل من الأثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقّى ٭ تحثّ اذا ونت أيّ احتثاث

كأنّ على الظعائن يوم بانوا ٭ نعاجا ترتعي بقل البراث

يهيّجني الحمام اذا تغنّى ٭ كما عجّ النوائح بالمراثي

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل في معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذي الزيّ الجميل من الاثاث هي الرواية الصحيحة وقد قيل بذي الزيّ الجميل واستهواهم اليه قول الله جلّ ثناؤه هم أحسن

وانه المبتدئ بالنعمة قبل السؤال والناظر لك في كل حال وهذا كله لا ينال الا بغريزة العقل على ان الغريزة لا تنال ذلك بنفسها اذا باشرته حواسها دون النظر والتفكر والبحث والتصفح وان ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التي تبعث على الفكرة وعلى طلب الحيلة ولذلك وضع الله تعالى في الانسان طبيعة الغضب وطبيعة الرضا والبخل والسخاء والجزع والصبر والرياء والاخلاص

أثاثا ورئيا فالأثاث متاع البيت والرئي ما ظهر من الزينة وإنما أخذ من قولك رأيت فالرئي غير الأثاث
والزي من الأثاث فمن ههنا غلطوا وقوله أسالكة نقب المنقى فالمنقى موضع بعينه والنقب الطريق
في الجبل والخل الطريق في الرمل فإن اتسع الطريق في الجبل وعلا فهو ثنية قال ابن الأيهم التغلبي

وتراهن شزرا كالسعالي • يتطلعن من ثنايا النقاب

وقوله نعاجا ترعى بقل البراث فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة عندهم حكم
الضائنة وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك
وتعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة وأما البراث فهي الأماكن السهلة من الرمل واحدها برث مفتوح موضع الفاء من
الفعل وتقديرها كلب وكلاب والصحيح من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف
القوافي وهو في البهائم والأذى الصوت قال ابن الدمينة

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى • على فنن غض النبات من الرند

(الرند صغار الآس) وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

قال لي صاحبي ليعلم ما بي • أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالما • ء إذا ما منعت برد الشراب
من رسولي إلى الثريا بأني • ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتني مجاجة المسك عقلي • فسلوها بما تحل اغتصابي
أزهقت أم نوفل إذ دعتها • مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت • من دعاني قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما لبى • رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهاة تهادى • بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحير منها • في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد النجم والحصى والتراب

والكبر والتواضع والسخط والقناعة فجعلها عروقا وأن تبني قوة غريزة العقل لجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك دون النظر الطويل بل الذي يشدها والبحث الشديد الذي يشحذها والتجارب التي تحنكها والفوائد التي تزيد فيها وإن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر وإن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج وإن تبعد الرؤية إلا لبعد الغاية وشدة الحاجة ولو أن

دمية عند راهب ذي اجتهاد • صوّروها في جانب المحراب

قوله قلت وجدي بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعتوره الشعراء وكلهم أبادفيه وقوله اذا ما منعت برد الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن علي بن أبي طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحبّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما وقال آخر وأحسبه قيس بن ذريح

حلفت لها بالمشعرين وزمزم • وذو العرش فوق المقسمين رقيب

(قال أبو الحسن ويروى والله فوق المقسمين وهو أحب الي)

لئن كان برد الماء حرّان صاديا • الي حبيبا انها لحبيب

وقال القطامي

يقتلننا بحديث ليس يعلمه • من يتقين ولا مكنونه بادي

فهن ينبذن من قول يصبن به • مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب قوله والكتاب قسم وقوله أزهقت أم نوفل اذ دعتها مهجتي تأويله أبطلت وأذهبت قال الله جل وعز فيدمغه فاذا هو زاهق والزاهق في موضع آخر وهو السمين المفرط قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها • منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقوله ما للقاتلي من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فعل يفعل فهو على مفعل قال الله جل وعز فانه يتوب الى الله متابا وأما قوله جل ذكره غافر الذنب وقابل التوب فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب توبا كقولك قال يقول قولا والجمع توبة وتوب مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقوله أبرزوها مثل المهاة تهادى المهاة البقرة في هذا الموضع وتشبّه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العيناء والجماع العين وكذلك يقال للمرأة وتكون المهاة البلورة في غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد يهدي بعضها بعضا في مشيتها ومشية البقرة تستحسن قال ابن أبي ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها • يمشين بين المقام والحجر

يمشين في الربط والمروط كما • تمشي الهوينا سواكن البقر

الناس تركوا وقدر قوى غرائزهم ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر في معاشهم وعواقب أمورهم والجئوا الى قدر خواطرهم التي تولدها مباشرة حواسهم دون ان يسمعهم الله تعالى خواطر الاولين وأدب السلف المتقدمين وكتب رب العالمين لما أدركوا من العلم الا اليسير ولما ميزوا من الامور الا القليل ولولا ان الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته وتسويد العاقل

وقوله

وقوله كواعب الواحدة كاعب وهى التى قد كعب ثدياها النهود وأتراب أقران يقال تِربُ فلان والمذكورة للمكبرة وقوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا قال قوم أراد بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس

أجارِ ترى برقا أريك وميضه

فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الالف اذا كان فى الكلام دليل عليها وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله تحبها يجاب عليه غير استفهام انما قالوا أنت تحبها أى قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعل الالف التى تكون للاستفهام تنبيها للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفا منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظيره قول امرئ القيس أجار ترى برقا فاكتفى بالالف عن أن يعيدها فى ترى قول ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة ● تُظهر لى قرحة وتنكؤها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمى وهو اللعين المنقرى

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا ● شُعيث بن سهم أم شُعيث بن منقر

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقال ابن أبى ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا ● بسبع رمين الجمر أم بثمان

مثل ذلك وبيت الأخطل فيه قولان وهو

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ● غلس الظلام من الرباب خيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالاجود ولكنه ابتدأ متيقنا ثم شك فأدخل أم كقولك انها الابل ثم تشك فتقول أم شاء يا قوم وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدهما حبا بهرنى بهرا أى علانى ويقال للقمر ليلة البدر باهر أى يبهر النجوم أى يعلوها كما قال ذو الرمة

كما بهر البدر النجوم السواريا ● وقال الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم ● أبلج مثل القمر الباهر

والوجه الآخر أن يكون أراد بهرا لكم أى تبا لكم حيث تلومونني على هذا كما قال ابن مفرغ

تفاقد قومى اذ يبيعون مهجتى ● بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

وقوله عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد فى

ورفع قدره وان يجعله حكيما وبالعواقب عليما لما حضر له كل شئ ولم يسخر لشئ ولما طبعه الطبع الذى يجئ منه أريب حكيم وعالم حليم كما انه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلا والمجنون عالما لطبعهم طبع العالم ولسواهم تسوية العالم كما أراد أن يكون السبع وثابا والحديد قاطعا والسم قاتلا والغذاء مقيما فكذلك أراد ان يكون المطبوع على المعرفة عالما والمهيأ للحكمة حكيما

موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعني بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انفسح على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث بن ظالم للاسود بن المنذر بن ماء السماء

اخصي حمار بات يكدم نجمة • أتؤكل جيراني وجارك سالم

ومن طريف شعره قوله

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت • مصابيح شبت بالعشاء وانؤر

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه • وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت • وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني • وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك اذ هنا عليك ألم تخف • رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة • سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى • اليك وما عين من الناس تنظر

فيالك من ليل تقاصر طوله • وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من ملهى هناك ومجلس • لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج • رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف اذا يفتر عنه كأنه • حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها الي كما رنا • الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل الا أقله • وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بان الحي قد حان منهم • هبوب ولكن موعدك عزور

وذو الدليل مستدلا وذو النعمة مستنفعا فلما علم الله تبارك وتعالى ان الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وكتب الأولين والأخبار عن القرون والجبابرة الماضين طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ووضع القرن الثاني دليلا يعلم به صدق خبر الأول لان كثرة السماع للاخبار العجيبة والمعاني الغريبة

فما راعني الا مناد برحلة • وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم • وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فاما أفوتهم • واما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح • علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان ما لا بد منه فغيره • من الامر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا • ومالي من ان تعلما متأخر

لعلهما ان تبغيا لك مخرجا • وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم • من الحزن تذرى عبرة تتحدر

فقالت لاختيها أعينا على فتى • اتى زائرا والامر للامر يقدر

فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا • أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا • فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي • ألم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا • اما تستحي أو ترعوي أو تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أي أوقدتهما وقوله وأنؤر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد مضى تفسير هذا وقوله قمير انما صغره لانه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد قال عمر

وقمير بدا ابن خمس وعشر ين له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان يريد جمع الراعي ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حية بعينه وقوله ونفضت عني العين يقول احترست منها وامنتها والنفضة امام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعني متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق وقوله ذو غروب غرب كل شيء حده وانما يعني الاسنان وقوله وتشمر يعني له أشر وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعا يقال لاسنانه أشر فهذا الشائع الذائع

مشحذة للاذهان ومادة للقلوب وسبب للتفكير وعلة للتنقير عن الامور وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما وأكثرهم علما أرجحهم عملا كان أكثر البصراء رؤية للاعاجيب أكثرهم تجاربا ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الاعمى وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الاصم وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة

واما الشَّنَب فهو عندهم جميعا بَرْدٌ فى الاسنان وحدثنى الرياشى عن ابن عائشة قال أخذ أبى حَبّة رُمّان بين اصبعيه فاذا هى تَرِفّ فقال هذا الشَّنَب وقوله وكادت توالى نجمه تتغور التوالى التوابع وتتغور تغور وتذهب وهو مأخوذ من الغَوْر وقوله أشارت بان الحى قد حان منهم هبوب يقول انتباه يقال هَبَّ من نومه يَهُبُّ قال عمرو بن كلثوم

ألا هُبّى بصحنك فاصبحينا * ولا تُبقى خمور الأندرينا

وقال الآخر هَبَّتْ تلوم وليست ساعة اللاحى * هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحى

وعزور موضع بعينه وقوله وأيقاظهم جمع يَقُظ وقوله فقالت أتحقيقا أى أتفعل هذا تحقيقا ومن كلام العرب أكُلَّ هذا بُخلا وذلك انه رآه يفعل شيأ أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أباديهم أظهرهم غير مهموز يقال بدا يبدو غير مهموز اذا ظهر وبدأت بهذا مهموز اذا أردت به معنى الاول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبا يريد أن تتسعا أى تتسع صدورهما من قولهم فلان رحيب الصدر وقوله أخضر أنبى به ذرعا وقد مضى تفسيره وقوله مجنّى يريد ترسى وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشخص ولكنه لما قصد الى النساء أنث على المعنى وابان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر

فانّ كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برئ من قبائلها العشر

فقال عشر أبطن لان البطن قبيلة وابان ذلك فى قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لان المعنى حسنات ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة المرى الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح فقال له يا أخا أهل الشام مجنّ ابن أبى ربيعة أحسن من مجنّك يريد قول ابن أبى ربيعة

فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِر

وقوله اما تستحى يريد تستحيى وله تفسير يبعد فى العربية قليلا وسنذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وحُدِّثت ان عُمَر الوادى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صَرْد من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصّلنّ اليه ولو بذهاب نفسى

وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون كان الراجى والخائف دائبان والآيس والآمن وادعان واذا كان الله تعالى لم يخلق عباده فى طبع عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وآدم أبى البشر صلوات الله عليهم أجمعين وخلقهم ناقصين وعن درك مصالحهم عاجزين وأراد منهم العبادة وكلفهم الطاقة وترك العيان للأمل البعيد وأرسل اليهم رسله وبعث فيهم أنبياءه وقال

فانحدرت

فانحدرتُ اليه فاذا عبد أسود فقلت له أعِدْ عليّ ما سمعت فقال لي والله لو كان عندي قرى أقريك ما فعلتُ ولكني أجعله قراك فاني ربما غنيتُ هذا الصوت وانا جائع فاشبع وربما غنيته وانا كسلان فانشط وربما غنيته وانا عطشان فأروى ثم انبرى يغنّي

وكنتُ اذا ما زرتُ سُعدى بأرضها ❊ أرى الارضَ تطوى لي ويدنو بعيدُها

من الخفرات البيض ودّ جليسها ❊ اذا ما قضتْ أحدوثة لو تعيدها

تحلّل أحقادي اذا ما لقيتها ❊ وتبقى بلا ذنب عليّ حقودها

(وبعده) وكيف يحبّ القلبُ من لا يحبّه ❊ بلى قد تريد النفسُ من لا يريدها)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كما ذكر وتحدّث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمتُ على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا فألقيته على سرير وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كامل غزيّل الدمشقي فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الي فغنيته ❊

سرى همّي وهمّ المرء يسري ❊ وغار النجمُ الا قيدَ فتر

أراقب في المجرّة كلّ نجم ❊ تعرّض أو على المجراة يجري

لهمّ ما أزال له قرينا ❊ كأنّ القلبَ أُبطن حرّ جمر

على بكر أخي فارقتُ بكرا ❊ وأيُّ العيش يصلح بعد بكر

فقال لي أعِد يا صام فعلتُ فقال لي من يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي الوليد ❊ وأيّ العيش يصلح بعد بكر ❊ هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تحجّر واسعا على رغم أنفه وحدّثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكر فوصف لها فقالت أذاك الأسيّد الذي كان يمرّ بنا والله لقد طاب كل شيء بعد ذاك حتى الخبز والزيت وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب قال يوما يقال ان الدنيا لم تصف لاحد قط يوما فاذا خلوتُ يومي هذا فاطووا عني الاخبار ودعوني ولذتي وما خلوت له ثم دعا بحبابة فقال اسقيني وغنّيني فحلوا في أطيب عيش فتناولت حبابة حبّة رمان فوضعتها في فيها فغصّت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله عليهم السلام ولا أحضرهم عجائب أنبيائه ولا أسمعهم احتجاجهم ولا أراهم تدبيرهم لم يكن بد من ان يطلع المعاينين على أخبار الغائبين وان يضطر اسماع الغائبين لأخبار المعاندين وان يخالف بين طبائع المخبرين وعلل الناقلين ليدل السامعين ومن يحبب من الناس على ان العدد الكثير المختلف العلل

بنى أمية ان هـذا عيب لا يستقال وانما هذه جيفة فأذن فى دفنها واتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيت والله فيك كما قال كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى • فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راءنى فهو قائل • من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

فمد بينهما خمسة عشر يوما وقوله راءنى يريد رآنى ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسى فى جمع قوس وانما الاصل قووس ولما أخر الواو بن ابدل منهما ياءين كما يجب فى الجمع تقول دلو ودلى وعات وعتى وان شئت قلت عتى ودلى من أجل الياء فان كان فعول لواحد قلت عتو ويجوز القلب والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مغزو ومدعو ويجوز مغزى ومدعى وفى القرآن وعتوا عتوا كبيرا وقال أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال ارجعى الى ربك راضية مرضية والاصل مرضوة لانه من الواو ومن الرضوان ومن القلب قولهم طأمن ثم قالوا اطمأن فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامة اليوم أو غد يقول ميت فى يومه أو فى غده يقال انما فلان هامة أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله قد مضى تفسيره

وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال سمعت اسحق بن ابراهيم الموصلى يحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا فنزلنا المدينة اخترت بها رجلا كان له سن ومعرفة وأدب فكان يغشانى فأتى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن على فظننت أمرا قد فدحه ففزع فيه الى فاسرعت نحو الباب فقلت ماجاء بك فقال اذن أخبرك دعانى صديق لى الى طعام عتيد وشراب قد اتفق طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مطرب فأجبته وأتت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حميا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب • وقل ان تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا وحدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى وضرب نعليه موليا عنى فقلت قف أكلمك فقال مابى الى الوقوف اليك من حاجة وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الانصارى يسنده قال كانت وليمة فى أخوالنا وهم حى يقال لهم بنو زبيط من الانصار قال فحضر الناس وجاء

المتضادى الاسباب المتفاوتى الهمم لا يتفقون على تحرص الخبر فى المعنى الواحد وكما لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد على غير التلاقى والتراسل الا وهو حق فكذلك لا يمكن مثلهم فى مثل علالهم التلاقى عليه والتراسل فيه ولو كان تلاقيهم ممكنا وتراسلهم جائزا لظهر ذلك وفشا واستفاض وبدا ولو كان ذلك أيضا ممكنا وكان قولا متوهما لبطلت الحجة ولنقضت العادة

حسان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده فلما وضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بني أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال طعام يدين فأمسك وفي المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان

انظر خليلي بباب جلق هل • تونس دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلا أعجبني ما أعجبه من أن تبكيا أباه يقول عجبت ما الذي اشتهى من أن تبكيا اباه فقوله أعجبني أي تركني أعجب ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها • رأت بي شيبة في الرأ

س عني ما أغيبها • فقالت أبن قيس ذا • وبعض الشيب يعجبها

أي تتعجب منه وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال كان خليلان الأموي يتغنى ويرى ذلك زائدا في الفتوة وكان خليلان شرب فاوذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عقبة بن سلم الهنائي وهو أمير البصرة وكان ثاجارا فلما طعموا وخلوا نظر خليلان الى عود موضوع في جانب البيت فعلم أنه عرض له به فأخذه فتغنى

يا ابنة الأزدي قلبي كئيب • مستهام عندها ما يؤوب

ولقد لاموا فقلت دعوني • ان من تلحون فيه حبيب

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان في سهو عما فيه عقبة يرى انه محسن ثم فطن لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

فسري عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود وأكد على نفسه الحلف ألا يغني عند من يجوز أمره عليه أبدا وحدثت أن رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مدح به علي بن ريطة وهو علي بن أمير المؤمنين المهدي وتغناه المغني على جهل وهو

قل لعلي أبا فتى العرب • وخير نام وخير منتسب

أعلاك جداك يا علي اذا • قصر جد في ذروة الحسب

ففتش عن المغني فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقاص

والفسدت العبرة والعادت النفس بعلة الاخبار جاهلة ولكان للناس على الله أعظم الحجة وقد قال الله جل وعز لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اذا كلفهم طاعة رسله وتصديق أنبيائه ورسله وكتبه والايمان بجنته وناره ولم يضع لهم دليلا على صدق الاخبار وامتناع الغلط في الآثار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان الله تعالى انما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ولم

فأمر به فضرب اربعمائة سوط * وحُدِّثتُ أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناءً أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان مُلهيك البارحة فقال له يزيد ذلك سائب خاثر قال اذا فأخثر له من العطاء وحُدِّثتُ أن معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروته حتى نَنْعَى عليه أى نعيب عليه فعله يريد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يُلقى على جوار لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ما كنت فيه فأمر بالكراسى فألقيت وأخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم

ديارًا التى كادت ونحن على منًى * تحلُّ بنا لولا نجاء الركائب

ومثلك قد أصبيتُ ليست بكنة * ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردّده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اتئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية اسكت لا أبا لك فان كل كريم طروب * وحُدِّثتُ من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السهمى قد أثرى وانفسحت له نعمة وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا الى الخلفاء فمن ذلك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان فيقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوف نهارى مع الطائفين * وأرفع من مئزرى المسبل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهر ليلى مع العاكفين * وأتلو من المحكم المنزل

قال حسنٌ والله جميل قال ان بعد هذا شيأ قال سفيان وما هو وقال

عسى فارج الكرب عن يوسف * يسخر لى ربة المحمل

فزوى سفيان وجهه وأومأ بيده أن كف وقال حلا لا حلا لا وانى ابن أبجر عطاء بن أبى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيث أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البنية لتسمعنه خفية أو لأشيدن به نوقف له فتغنى

يجب ان يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم لان الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة وكانوا مجبرين فى الامور المتفقة والمختلفة لجاز ان يختاروا باجمعهم الملك والسياسة وفى هذا ذهاب العيش وبطلان المصلحة والبوار والتواء ولو لم يكونوا مسخرين بالاسباب مرتهنين بالعلل لرغبوا عن الحجامة أجمعين والبيطرة والقصابة والدباغة ولكن لكل صنف من الناس مزين

عُوجي علينا لِرَبَّةَ الهَودَجِ • انَّكِ ان لا تفعلي تَحرَجي

انّي أُتيحت لي يمانيةٌ • احدى بني الحرث من مَذحِجِ

نلبث حولاً كاملاً كلَّه • لا نلتقي الا على مَنهَجِ

في الحج ان حَجَّت وماذا مِنى • وأهلُه ان هي لم تحجُجِ

فقال له عطاء الكثير الطيّب يا خبيث وسمع سليمان بن عبد الملك متغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد ما تغنيت فتغنى واحتفل وكان سليمان مفرط الغيرة فقال لاصحابه والله لكأنها جرجرة الفحل في الشَّول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت ثم أمر به فخُصِي وحُدِّثت أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقال له الاحوص ألا أُسمِعك غناء من غناء القرى فأتاه بمغنٍّ فجعل يغنيه فكان مما غناه

أتنسى اذ تودّعنا سُليمى • بفرع بشامة سُقيَ البشامُ

ولو وجدا الحَمام كما وجدنا • بسلمانين لاكتأب الحمام

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيالُ ولا أرى • شيأً ألذَّ من الخيال الطارق

ان البلية من تملُّ حديثه • فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبّك غادروا • وشلاً بعينك ما يزال مَعينا

غيّضن من عبراتهنّ وقُلن لي • ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا فقالوا لجرير فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي الى رقة شعره وقال الاحوص يوماً لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها معاذاً الانصاري ثم الزرقيّ وابن صائد النجاري فاستأذنوا عليها جميعاً فأذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن غضاب على الاحوص فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضنَّت عقيلة لما جئت بالزاد • وآثرت حاجة الثاوي على الغادي

عندهم ما هم فيه وسهل ذلك عليهم فالحائك اذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوء حذق أو خرقاً قال له يا حجام والحجام اذا رأى تقصيراً من صاحبه قال له يا حائك ولذلك لم يجمعوا على اسلام أبنائهم في غير الحياكة والحجامة والبيطرة والقصابة ولولا ان الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتفاق والائتلاف لما جعل واحداً قصيراً وآخر طويلاً وواحداً حسناً والآخر قبيحاً

فقلتُ والله لولا أن تقول له • قد باح بالسر أعدائي وحسّادي

قلنا لمنزلها حُيّيت من طلل • وللعقيق ألا حُيّيت من وادي

انى جعلت نصيبي من مودتها • لمعبد ومعاذ وابن صياد

لابن العين الذي يخبا الدخان له • وللمغني رسول الزور قوّادي

أما معاذ فاني لست ذاكره • كذاك أجداده كانوا الأجدادي

قال الزبيري وكان معاذ جلدا فخاف الاحوص أن يضربه فخاف معبد أن لا يكلم الاحوص ولا يتغنى في شعره فشق ذلك على الاحوص فلما طالت هجرته اياه رحل نجيبا له وجعل طلاء في مذرع (والمذرع زق سلخ حين سلخ مما يلي الذراع) في حقيبة رحله وأعدّ دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الاحوص فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عبّاد أتهجرني فخرجت اليه امرأته أم كردم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الاحوص فأدخله البيت وقال والله لا رمت هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء وأسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الا بعد هذا الشواء ا كلته والغناء سمعته فأنى لك بالطلاء قال قم الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا فعل كل ما قال فقالت أم كردم لمعبد أتهجر من ان زارنا أغدر فينا فضلا ونيلا وان فارقنا خلّف فينا عقلا ونيلا فانصرف الاحوص مع العصر فمر بين الدارين وهو عيل بين شعبتي رحله وحدثت ان سعد بن مصعب بن الزبير أتهم بامرأة في ليلة مناحة أو عرس وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الاحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعد النار من تذكرونه • ولكن سعد النار سعد بن مصعب

ألم تر أن القوم ليلة جمعهم • بغوه فألفوه لدى شر مركب

فما يبتغي بالشر لا در دره • وفي بيته مثل الغزال المربّب

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع ثم حمل الى قباب العرب وقال للاحوص وكان له صديقا تعال غض فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأوثق وأراد ضربه فقال له الاحوص دعني فلا والله لا أهجو زبيريا أبدا فخلاه ثم قال اني والله ما أمثل على من حلّ ولكني أنكرت قولك

وواحدا غنيا وآخر فقيرا وواحدا عاقلا وآخر مجنونا وواحدا ذكيا وآخر غبيا ولكن خالف بينهم ليعتبرهم وبالاختيار يطيعون وبالطاعة يسعدون ففرق بينهم ليجمعهم وأحب ان يجمعهم على الطاعة ليجمعهم على المثوبة فسبحانه وتعالى ما أحسن ما أبلى وأولى وأحكم ما صنع وأتقن ما دبر لان الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة ولو رغبوا بأجمعهم

وفي بيته مثل الغزال المربب • وحدثت ان ابن أبي عتيق ذكر له ان المخنثين بالمدينة خصوا وانه خصي الدلال فيهم فقال انا لله أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيش أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل ابن أبي عتيق القبلة يصلي فلما كبر سلم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يحسن خفيفه فاما ثقيله فلا الله أكبر وحدثت ان مدنيا كان يصلي مذ طلعت الشمس الى أن قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشرط قد قبض على المغني فقال اترفع عقيرتك بالغناء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فانفتل المدني من صلاته فلم يزل يطلب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدري لم شفعت فيك قال لا ولكني اخالك رحمتني قال اذاً فلا رحمني الله قال فأحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذاً فقطعها الله قال فليد تقدمت مني اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرني قال لاني سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد اما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الاعوان عليك والصوت الذي ينسب الى واوات معبد شعر الاعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيباني وهو قوله

هريرة ودعها وان لام لائم • غداة غد أم أنت للبين واجم
لقد كان في حول ثواء ثويته • تقضى لبانات ويسأم سائم

قوله هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودعها كأنه قال ودع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه وكان ذلك أجود من أن لا يضمر لان الامر لا يكون الا بفعل فأضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضرب به وزيدا فأكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس في حسن الاول ترفعه على الابتداء وتصير الامر في موضع خبره فأما قول الله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وكذلك الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فليس على هذا الرفع الوجه لان معناه الجزاء كقوله الزانية أي التي تزني فانما وجب القطع للسرق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذي يأتيني فله درهم فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذي يأتيني له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على ان زيدا خبر وليس بابتداء

عن كد البناء لبقينا بالعراء ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الاقوات ولبطل أصل المعاش فسخرهم على غير اكراه ورغبهم من غير دعاء ولولا اختلاف طبائع الناس وعللهم لما اختاروا من الاشياء الا أحسنها ومن البلاد الا أعدلها ومن الامصار الا أوسطها ولو كان كذلك لتناجزوا على طلب الواسط وتشاجروا على البلاد العليا ولما وسعهم بلد ولما تم بينهم صلح فقد صار بهم التسخير الى غاية

وللاشارة دخلت الفاء وفى القرآن الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ودخلت الفاء لان الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القرّاء الزانية والزانى فاجلدوا والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن فى هاتين الآيتين ومالم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه ويروى ان معبدا بلغه ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنّيت خمسة أصوات هنّ أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة بن مسلم والاصوات

ودّع هريرة ان الركب مرتحل • وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله

هريرة ودّعها وان لام لائم • غداة غد أم أنت للبين واجم

وقوله

رأيت عرابة الأوسى يسمو • الى الخيرات منقطع القرين

وقوله

ودّع لبابة قبل أن ترتحلا • واسأل فان قليلة أن تسألا

وقوله

لعمرى لئن شطّت بعثمة دارها • لقد كنت من خوف الفراق أليح

اما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وقوله هريرة ودعها وان لام لائم فللاعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيبانى يقول

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة • أبا ثبيت أما تنفك تأتكل

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا • ولست ضائرها ما أطّت الابل

كناطح صخرة يوما ليفلقها • فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ويقول فى الأخرى يعاتبه أيضا

يزيد يغض الطرف دونى كأنما • زوى بين عينيه على المحاجم

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى • ولا تلقنى الا وأنفك راغم

فأقسم ان جدّ التقاطع بيننا • لتصطفقن يوما عليك المآتم

وتأتى حصان تنصف ابنة عمها • كما كان يلقى الناصفات الخوادم

اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل • وبكر سبتها والأنوف رواغم

فأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس بن قيظى الانصارى

رأيت عرابة الأوسى يسمو • الى الخيرات منقطع القرين

القناعة وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكنى الآجام الى الفيافى وساكنى السهل الى الجبال وساكنى الجبال الى البحار وساكنى الوبر الى المدر لأذاب قلوبهم الهم ولاقى عليهم فرط النزاع وقد قيل عمر الله البلدان بحب الأوطان وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد ان

اذا مارايةٌ رُفِعَتْ لمجـد • تلقّاها عـرابةُ باليمـين

اذا بلّغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بقوله في بعض الروايات

ودّع لبابة قبـل ان تترحّلا • واسأل فان قليـلة ان تسألا

امكث لعمرك ساعة فتأنّها • فعسى الذي بخلت به ان يبذلا

لسنا نبالي حين ندرك حاجة • ان بات أو ظلّ المطيّ معقّلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله ولم يتغنّ معبد في مدح قط الا في ثلاثة أشعار منها ما ذكرنا في عرابة

ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

تقدّت بي الشهباء نحو ابن جعفر • سواء عليها ليلها ونهارها

والثالث قول موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير

حمزة المبتاع بالمال الثنا • ويرى في بيعه ان قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا • ذا اخاء لم يكدره بمن

ونحن ذاكرون قصص هذه الاشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى قال أبو العباس كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول

انما مصعب شهاب من الله • تجلّت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه • جبروت منه ولا كبرياء

يتّقي الله في الامور وقد أفـ • ـلح من كان همّه الاتقاء

قال أبو العباس وله فيه اشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه الى عبد الملك فشفّعه في ان ترك دمه فقال ويدخل اليك يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه في ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناك نثني بالذي أنت أهله • عليك كما أثنى على الارض جارها

تقدّت بي الشهباء نحو ابن جعفر • سواء عليها ليلها ونهارها

تزور فتى قد يعلم الناس أنه • تجود له كفّ قليل غرارها

أنزلهم من الشام منزلا خصيبا وفرض لهم في شؤون العطاء يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم وقال الله جل وعز ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقرن الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس وليس على ظهرها انسان الا وهو معجب بعقله لا يسره ان له بجميع ماله مالغيره ولولا ذلك لماتوا كمدا ولذا بوا حسدا ولكن كل انسان وان كان يرى انه

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر • لكان قليلا فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

عادَهُ من كثيرة الطربُ • فعينه بالدموع تنسكبُ

كوفية نازح محلّتها • لا أمَم دارها ولا صقبُ

والله ما ان صبَتْ الىّ ولا • يُعلم بينى وبينها سببُ

الا الذى أورثت كثيرة فى القلب وللحب سورة عجبُ

وفيها يقول

ما نقموا من بنى أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادة الملوك فلا • تصلح الا عليهم العربُ

ان الفنيق الذى أبوه أبو العاصى عليه الوقار والحُجُبُ

خليفة الله فى رعيته • جفت بذاك الاقلام والكتبُ

يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهبُ

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

وتقول لى

يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

واما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما أعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر

حمزة المبتاع بالمال الثنا • ويرى فى بيعه أن قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا • ذا انامل يكدره بمن

واذا ما سنة مجحفة • برت المال كبرى بالسفن

حسرت عنه نقيا لونه • طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى

حاسد فى شئ فهو يرى انه محسود فى شئ ولولا اختلاف الاسباب لتنازعوا بلدة واحدة واسما واحدا وكنية واحدة فقد صاروا كما ترى مع اختيار الاشياء المختلفة الى الأسماء القبيحة والألقاب السمجة والأسماء مبذولة والصناعات مباحة والمتاجر مطلقة ووجوه الطرق مخلاة ولكنها مطلقة فى الظاهر مقسمة فى الباطن وان كانوا لايشعرون بالذى دبره

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال عتبة بن شماس

ان

انّ أولى بالحق فى كل حقٍّ • ثمّ أحرى بان يكون حقيقا

من أبوه عبدُ العزيز بن مروا • ن ومن كان جدّه الفاروقا

ردّ أموالنا علينا وكانت • فى ذرا شاهقٍ يفوت الأنوقا

يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمّ عمر أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والأنوق الرخمة ولا يقال الانوق الا للرخمة الانثى ومن أمثال العرب هو أعزّ من بيض الأنوق وتقول العرب لمن يطلب الامر العسير سألتنى بيض الأنوق وذلك انها تبيض فى رؤس الجبال فلا يكاد يوجد بيضها لبعد مطلبه وعسره فان سأله محالاً قال سألتنى الأبلق العقوق وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عقوق اذا حملت فامتلأ بطنها فالابلق العقوق محال ويروى ان رجلا سأل معاوية أمر الايوجد فأعلمه ذلك فسأل أمرا عسيرا بعده فقال معاوية

طلب الأبلق العقوق فلما • لم ينله أراد بيض الانوق

وانما الابلق الذكر من الخيل يقال فرس عقوق اذا حملت فامتلأ بطنها فالابلق العقوق محال وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

ما عدّ قوم كأجداد تعدّهم • مروان ذو النور والفاروق والحكم

أشبهت من عمر الفاروق سيرته • قاد البرية وائتمّت به الامم

تدعو قريش وانصار الرسول له • ان يمتعوا بابى حفص وما ظلموا

وفيه يقول جرير أيضا

يعود الحلم منك على قريش • وتفرج عنهم الكرب الشدادا

وقد أمنت وحشهم برفق • ويعيى الناس وحشك ان يصادا

(وتبنى المجد يا عمر ابن ليلى • وتكفى الممحل السنة الجمادا)

وتدعو الله مجتهدا ليرضى • وتذكر فى رعيتك المعادا

(فما كعب بن مامة وابن سعدى • بأجود منك يا عمر الجوادا)

وكان ابن سعد الازدى قد ولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

الحكيم من ذلك ولا بالمصلحة فيه فسبحان من حبب الى واحد ان يسمى ابنه محمدا وحبب الى آخر ان يسميه شيطانا وحبب الى آخر ان يسميه عبد الله وحبب الى آخر ان يسميه حمارا لان الناس لو لم يخالف بين عللهم فى اختيار الأسماء وجاز ان يجتمعوا على شئ واحد كان فى ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات وأنت اذا رأيت ألوانهم وشمائلهم واختلاف

انّ عيالى لا اقوات لهم عنـدهم • وعند ابن سعد سكّر وزبيب

وقـد كان ظنى بابن سعد سعادة • وما الظنّ الا مخطئٌ ومصيبُ

فان ترجعـوا رزقى الى فانه • متاعُ ليالٍ والاداءُ قريبُ

تحنّى العظامُ الراجفاتُ من البلى • وليس لداء الركبتين طبيبُ

وفيه يقول أيضا المائحى

نعى النعاةُ أميرَ المؤمنـين لنا • ياخـيرَ من حجّ بيتَ الله واعتمرا

حملتَ أمرا جسيما فاصطـبرتَ له • وقمتَ فيـه بحق الله يا عمرا

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ • تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

قوله يا عمرا ندبةٌ أراد يا عمراه وانما الالف للنـدبة وحـدها والهاء تزاد فى الوقف لخفاء الالف فاذا وصلتَ لم تزدها تقول يا عمرا اذا الفصل فاذا وقفت قلت يا عمراه فحذف الهاء فى القافية لاستغنائه عنها فاما قوله نجومَ الليل والقمرا ففيه أقاويل كلها جيد فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة يقول الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليل والقمر يقول انما تكسف النجومَ والقمرَ بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذى سار فيه المنذر بن المنـذر بعرب العراق الى الحرث الأعرج الغسّانى وهو الاكبر والحرث فى عرب الشام وهو أشـهر أيام العرب ومن أمثالهم فى الامر الفاشى ما يوم حليمة بسرٍّ وفيه يقول النابغة

تُخـيّرنَ من أزمان يوم حليمةٍ • الى اليوم قد جُرّبنَ كلَّ التجاربِ

وأظن قول القائل من العرب لأُرينّك الكواكب ظهرا انما أُخذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تنوّله فقد تمنعه • وتريه النجمَ يجرى بالظهرْ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسرى

لعمرى لقد سار ابن شَيبةَ سيرةً • أرتك نجومَ الليل مظهرةً تجرى

ويجوز ان يكون نجومَ الليل والقمرَ أراد بهما الظرف يقول تبكى الشمس عليك مدةَ نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهرَ والشهرَ وتبكى عليك الليلَ والنهارَ يا فتى ويكون تبكى عليك

صورهم وصفت لغاتهم ونغمهم علمت ان طبائعهم وعللهم المحجوبة الباطنة على حسب أمورهم الظاهرة وبعض الناس وان كانوا مسخرين الحياكة فليس بمسخر للفسق والخيانة والاحكام والصدق والأمانة وقد يسخر الملك لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة فلا يزال ذلك الملك مقصورا عليهم ما دامت تلك الأسباب قائمة فليس اذا كانوا للملك مسخرين وكان الناس لهم مسخرين

الشمس النجوم كقولك بكيت زيدا على فلان لما رأيت به وقد قال فى هذا المعنى أحد المحدثين شيأ مليحا وهو أحمد أخو أشجع السلمى يقوله لنصر بن شبث العقيلى وكان أوقع بقوم من بنى تغلب بموضع يعرف بالسواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيف فى يدى نصر • فى حده ماء الردى يجرى

أوقع نصر بالسواجير ما • لم يوقع الجحاف بالبشر

أبكى بنى بكر على تغلب • وتغلبا أبكى على بكر

ويكون تبكى عليك نجوم الليل والقمر على ان تكون الواو فى معنى مع واذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذى يليه أو بعده فعل انتصب لانه فى المعنى مفعول وصل الفعل اليه فنصبه ونظير ذلك استوى الماء والخشبة لانك لم ترد استوى الماء واستوت الخشبة ولو أردت ذلك لم يكن الا الرفع ولكن التقدير ساوى الماء الخشبة وكذلك مازلت اسير والنيل يا فتى لانك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد انك سيرك بحذائه ومعه فوصل الفعل وهذا باب يطول شرحه فان قلت عبد الله وزيد أخوك وأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لان قبلها اسما مبتدأ فهى على موضعه وأجود التفسير بن عندنا فى قول الله عز وجل فاجمعوا أمركم وشركاءكم ان تكون الواو فى معنى مع لانك تقول اجمعت رأيى وأمرى وجمعت القوم فهذا هو الوجه وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع الأول فى معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

ياليت زوجك قد غدا • متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد ولكن أدخله مع ما يتقلد فتقديره متقلدا سيفا وحاملا رمحا ويكون تقدير الآية فاجمعوا أمركم وأعدوا شركاءكم والمعنى يؤول الى أمر واحد ومن ذلك قوله

• شراب ألبان وتمر وأقط • فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فأدخل من ههنا لان الناس مع هذه الاشياء فجرت على لفظ واحد ولا تكون من الا لمن يعقل اذا أفردتها وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عماله

ان الذين أمرتهم أن يعدلوا • نبذوا كتابك واستحل المحرم

بالجبرية والنخوة والفظاظة والقسوة والطول الاحتجاب والاستئثار وسوء اللقاء والتضجيع وقد يكون الانسان مسخرا لامر ومخيرا فى آخر ولولا الأمر والنهى لجاز التسخير فى دقيق الأمور وجليلها وخفيها وظاهرها لان بنى الانسان انما سخروا له ارادة العائدة عليهم ولم يسخروا للمعصية كما لم يسخروا للفسدة وقد تستوى الأسباب فى مواضع وتتفاوت فى مواضع كل ذلك ليعمم الله

وأردت أن يلي الامانة منهم • بروهيات الابر المسلم

طلس الثياب على منابر أرضنا • كل بنقص نصيبنا يتكلم

أنشدنيه الرياشي عن الاصمعي ونظيره هذا قول ابن همام السلولي

اذا نصبوا القول قالوا فأحسنوا • ولكن حسن القول خالفه الفعل

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها • أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وقد مر تفسير هذا الشعر والاطلس الاغبر وربما اشتدت غبرته حتى يضرب في الغبار وانما أراد بقوله طلس الثياب انهم يظهرون تقشفا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو أحسن ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى رجلا بلدا فوفد عليه فجاءه مدهنا حسن الحال في جسمه عليه بردان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا وليناك ثم عزله ودفع اليه غنيمات يرعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعث في ثوبين أطلسين وذكر عند عمر بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا وادهنوا فانكم تعلمون الذي نهيت عنه ويروى عن الحسن انه قال اقربوا من هذه الاعواد فانهم اذا رقوها القنوا الحكمة التي تكون عليهم حجة يوم القيامة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشي

قد غيب الدافنون اللحد اذ دفنوا • بدير سمعان قسطاس الموازين

من لم يكن همه عينا يفجرها • ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتاني ثم مهلكه • لا يبعدن قوام الملك والدين

يقال هذا قوام الامر وملاكه لا غير وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط لا يكون الا ذلك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لانها متحركة الا ان يكون جمعا قد كانت الواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لان حركتها العلة تقول سوط وسياط وثوب وثياب وحوض وحياض فان كانت الواو في الواحد متحركة ثبتت في الجمع نحو طويل وطوال وكذلك فعال اذا كان مصدرا صح اذا صح فعله واعتل اذا اعتل فعله فما كان مصدرا لفاعلت فهو فعال صحيح نحو قاولته قوالا ولاوذته لواذا كقول الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا أي ملاوذة واذا كان مصدرا لفعلت اعتل لاعتلال الفعل فقلت قمت قياما وغمت نياما

تعالى لهم مصالح الدنيا ومراشد الدين ألا ترى ان أمة قد اجتمعت على ان عيسى عليه السلام هو الله وأمة قد اجتمعت على انه ابن الله وأمة اجتمعت على ان الآلهة ثلاثة عيسى أحدها ومنهم من يتذبذب ومنهم من يتدهر ومنهم من يقول نسطوريا بعد ان كان يعقوبيا ومنهم من أسلم بعد ان كان نصرانيا ولست واجدا هذه الامة مع اختلاف مذاهبها وكثرة تنقلها انتقلت مرة

ولذت

ولذت لياذا وعذت عياذا وقال عون بن القوافى شعرا يرثى سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهذا ما اخترنا منه

لاح سحاب فرأينا برقه • ثم تدانى فسمعنا صعقه

وراحت الريح تزجى بلقه • ودهمه ثم تزجى ورقه

ذاك سقى ودقا فروى ودقه • قبر امرئ أعظم ربى حقه

قبر سليمان الذى من عقه • وجحد الخير الذى قد بقه

فى العالمين جله ودقه • لما ابتلى الله بخير خلقه

وكادت النفس تساوى حلقه • ألقى الى خير قريش وسقه

يا عمر الخير الملقى وفقه • سميت بالفاروق فافرق فرقه

وارزق عيال المسلمين رزقه • واقصد الى الخير ولا توقه

بحرك عذب الماء ما أعقه • ربك والمحروم من لم يسقه

يقال لاح البرق اذا بدا وألاح اذا تلألأ وهذا البيت ينشد ❁ من هاجه الليلة برق ألاح ❁ ويقال شرقت الشمس اذا بدت وأشرقت اذا أضاءت وصفت ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصعق شدة الرعد ويعنى به فى أكثر ذلك ما يعترى من يسمع صوت الصاعقة وقوله تزجى يقول تسوقه وتستحثه والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفى الخيل كل لون يخالطه بياض فهو بلق والاورق الذى بين الخضرة والسواد وهو الأم ألوان الابل ويقال ان لحم البعير الاورق أطيب لحمان الابل والودق المطر يقال ودقت السماء يا فتى تدق ودقا قال الله جل وعز فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائى

فلا مزنة ودقت ودقها • ولا أرض أبقل ابقالها

وأصل العق القطع فى هذا الموضع وللعق مواضع كثيرة يقال عق والديه يعقهما اذا قطعهما وعققت عن الصبى من هذا وقالوا بل هو من العقيقة وهى الشعر الذى يولد الصبى به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشعر الصبا لم يحلقه ويقال سيف كأنه عقيقة أى كأنه لمعة برق يقال رأيت عقيقة البرق يا فتى أى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عقت تميمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك

واختلفت مرة متعمدة أو ناسية فى يوم واحد فجعلته وهو الجمعة يوم السبت ولم تخطب فى يوم جمعة بخطبة يوم خميس ولا غلطت فى كانون الأول فجعلته كانون الآخر ولا بين الصوم والافطار لان الباب الأول فى باب الامكان وتعديل الأسباب والامتحان والباب الثانى داخل فى باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان وقد زعم ناس من الجهال ونفر من

الموضع قال الشاعر

ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني • اذا أخصبت أو كان جدبا جنابها

أحبُّ بلاد الله ما بين مُشرفٍ • الىَّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلادٌ بها عقَّ الشبابُ تميمتي • وأوّلُ أرض مسَّ جلدي ترابها

وقوله وجد الخير الذى قد بقه يقال بق فلانٌ فى الناس خيرا كثيرا و بق ولدا كثيرا وأبق كلاما كثيرا وقوله ألقى الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلَّده أمره والوسْق الحمل وقوله الملقى وفقه يقال أُلقِيَ فلانٌ خيرا أى جعل يلقاه والوسْق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله ليس فى أقلّ من خمسة أوسق صدقة انما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصرى والوَفْق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فتأويل الفاروق هو الذى يفرِّق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون فى الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رزقه يقال رزقه يرزُقُه رزقا والاسم الرِّزْق وقوله بحرك عذب الماء ما أعقه مقلوب انما هو ما أقعه ربك يقال ماء قُعاعٌ وماء حُراق فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربك والحراق الذى يحرق كل شىء بملوحته والماء العذب يقال له النُّقاخ وما دون ذلك شيأ يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا • عذبَ المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فراتٌ وهو أعذب العذب ويقال ماء مِلْحٌ ولا يقال مالح وسمك مملوح ومليحٌ ولا يقال مالح وأشد الماء ملوحة الأجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلا مصفّى • بماء النيل أو ماء الفرات

لقالوا انه ملحٌ أجاجٌ • أراد به لنا اخدى الهنات

وقوله ذاك سقى ودقا فروى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروّى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر حمل الفعل والآخر كقولك روّيت زيدا ماء وروّى أكثر من أروى لان روّى لا يكون الامرة بعد مرة يقول فروى الله ودقه أى جعله رواء فأضمر لعلم المخاطب لأن قوله لاح سحاب انما معناه ألاحه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله جل وعز انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ولم يذكر الشمس وكذلك ما ترك على ظهرها

الشكاك ممن يزعم ان الشك واجب فى كل شىء الا فى العيان ان أهل المنصورة وافوا مصلاهم يوم خميس على انه يوم الجمعة فى زمن منصورى وان أهل البحرين جلسوا عن مصلاهم يوم الجمعة على انه يوم خميس فى زمن أبى جعفر فبعث اليهم وقومهم وهذا لا يجوز ولا يمكن فى أهل الامصار ولا فى العدد الكثير من أهل القرى لان الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة

من دابة ولم يذكر الارض وقال قوم ودقة يريد ودقة واحدة وهذا ردى في المعنى ليس عبالغ قال ابن

الموصلى
لعمرى لئن حلئت عن منهل الصبا • لقد كنت وراد المنهل العذب
ليالى أمشى بين بردى لاهيا • أميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب • ووصل الغوانى والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية • سوى نظر العينين أو شهوة القلب

قوله والشرب يريد جمع شارب يقال شارب وشرب وراكب وركب وتاجر وتجر وزائر وزور قال

الطرماح
حب بالزور الذى لا يرى • منه الا صفحة عن لمام

وهذا باب متصل كثير قال العجاج

بواسط أكرم دار دارا • والله سمى نصرك الانصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونصير وقوله سلام امرئ على البدل من قوله سلام على سير القلاص وان شئت نصبت بفعل مضمر كانك قلت أسلم سلام امرئ لانك ذكرت سلاما أولا ومثل ذلك له صوت صوت حمار لانك لما قلت له صوت دللت على أنه يصوت كانك قلت يصوت صوت حمار وكذلك له حنين حنين ثكلى وله صريف صريف القعو بالمسد أى يصرف صريفا فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يصرف صريفا مثل صريف جمل وان شئت جعلته حالا وتقديره يخرجه فى هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر فان كان الاول فى غير معنى الفعل لم يكن النصب ألبتة ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأس رأس ثور وله كف كف أسد فالمرتفع الثانى اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتا واذا كان معرفة كان بدلا ولم يكن نعتا لان النكرة لا تنعت بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان الكلام غير مستغن وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوته صوت الحمار وغناؤه غناء المجيدين وكذلك ان خبرت بامر مستقر فيه اخترت الرفع تقول له علم علم الفقهاء وله رأى رأى الفضلاء لانك انما تمدحه بان هذا قد استقر له وليس الابلغ فى مدحه ان تخبر بانك رأيته فى حال تعلم ويجوز النصب على انك رأيته فى حال تعلم فاستدللت بذلك على علمه فهذا يصلح والاجود الرفع فاذا قلت له صوت صوت حمار فانما خبرت أنه يصوت فهذا سوى ذلك المعنى ومما يختار فيه الرفع

له دون الجمعة وبين تجار قد اعتادوا الدعة فى الجمع والجلوس عن الاسواق ومن معلم كتاب لا يصرف غلمانه الا فى الجمع وبين معنى بالجمع يتلاقى هناك مع المعارف والاخوان والجلساء وبين معنى بالجمع حرصا على الصلاة ورغبة فى الثواب ومن رجل عليه موعد ينتظره ومن صيرفى يصرف ذلك اليوم سفاتجه وكتب أصحابه ومن جندى فهو يعرف بذلك نوبته وبعض

قولك عليه نوحٌ نَوْحُ الحمام وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه نائحا فكانك قلت ينوحون نوحَ الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخيّاط المدينىّ يعنى مالك بن أنس

يأبى الجوابَ فما يُراجَع هيبةً • والسائلون نواكسُ الاذقانِ

هَدْىُ التقىّ وعِزُّ سلطانِ النُهَى • فهو العزيز وليس ذا سلطان

أراد له هدىُ التقىّ أو معه هدى التقىّ

كالسؤال والمساكين والقصاص الذين يمدون أعناقهم للجمعة انتظارا للصدقة والفائدة فى أمور كثيرة وأسباب مشهورة ولو جاز ذلك فى فى أهل البصرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة ولو جاز ذلك فى الايام لكان فى الشهور أجوز ولو جاز ذلك فى الشهور لكان فى السنين أجوز وفى ذلك فساد الحج والصوم والصلاة والزكاة والاعياد ولو كان ذلك جائزا لجاز ان

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئ شيأ لتكون فيه استراحةٌ للقارئ وانتقالٌ ينفى الملل لحسن موقع الاستطراف وتخلط ما فيه من الجدّ بشئ يسير من الهزل ليستريحَ اليه القلبُ وتسكنَ اليه النفس قال أبو الدرداء رحمه الله انى لأستجمُّ نفسى بالشئ من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال على بن أبى طالب رحمه الله القلبُ اذا أُكرِهَ عَمِىَ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الابدانُ فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس رضى الله عنهما العلم أكثر من أن يُؤتى على آخره فخُذوا من كل شئ أحسنَه وليس هذا الحديث من الباب الذى ذكرنا ولكن نذكر الشئ بالشئ اما لاجتماعهما فى لفظ واما لاشتراكهما فى معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوبَ فانها سريعةُ الدُثور واقدعوا هذه الانفسَ فانها طُلَعَةٌ وانكم الّا تَزَعُوها تنزع بكم الى شر غاية وقد مضى تفسير هذا الكلام وقال أردشير بن بابك ان للآذان مَجَّةً وللقلوب مَلالةً ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أُصيبَ فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يُخلِىَ نفسه من واحدة من أربع من عُدّةٍ لمعاد أو اصلاحٍ لمعاش أو فكرٍ يقف به على ما يُصلحه مما يفسده أو لذّة فى غير محرّم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بُنىّ ان نفسى مطيّتى فان حملت عليها فى التعب حسرتُها اى ادّ قوله حسرتها بلغتُ بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داء مخامرها ● فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الشاعر

أقول لأم زنباع أقيمي ● صدور العيس شطر بنى تميم

ومن أمثال العرب فلان يحلب الدهر أشطره أى قد قاسى الخير والشر

اهن الوجالم كن عونا على النوى ● ولازال منها ظالع وحسير

يعنى الابل يقول هى المفرقة كما قال الآخر

ما فرق الألاف بعد الله الا الابل ● ولا اذا صاح غرا ● ب فى الديار احتملوا

وما غراب البين الا ناقة او جمل

(قال ابو الحسن وزادنى فيه غير ابى العباس

والناس يلحون غرا ● ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما ● تطوى عليه الرحل

(ويقال انه لابى الشيص) قال ابو العباس فمن قال آلف للواحد قال للجميع ألاف كعامل وعمال وشارب وشراب وجاهل وجهال ومن قال الف قال للجميع آلاف وتقديره عدل واعدال وحمل واحمال ونقل وانقال وقد انصف الابل الذى يقول

ألا فرعى الله الرواحل انما ● مطايا قلوب العاشقين الرواحل

على انهن الواصلات عرى النوى ● اذا ما رأى بالآلفين التواصل

وقال الآخر اقول والهوجاء تمشى والفضل ● قطعت الاحداج اعناق الابل

الهوجاء التى تجد فى السير وتركب رأسها كأن بها هوجا كما قال ● لله در اليعملات الهوج ●

وكما قال الاعشى وفيها اذا ما هجرت عجرفية ● اذا خلت حرباء الوديقة اصيدا

والفضل مشية فيها اختيال كأن مشيتها تخرج عن خطامها فتفضل عليه والاصل فى ذلك ان يمشى الرجل وقد افضل من ازاره ويمشى المرأة وقد افضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من الخيلاء ولذلك جاء فى الحديث فضل الازار فى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى تميمة الهجيمى واياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبل الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس ابن الخطيم)

ولا ينسينى الحدثان عرضى ● ولا ارخى من المرح الازارا

يتفق الشعراء على قصيدة واحدة والخطباء على خطبة واحدة والكتاب على رسالة واحدة بل جميع الناس على لفظة واحدة وانما نزلت لك حالات الناس وخبرتك عن طبائعهم وفسرت لك عللهم لتعلم ان العدد الكثير لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد فى المعنى الواحد فى الزمن الواحد على غير التشاعر فيكون باطلا وسأبين لك موضع اختلافهم واتفاقهم وانه لم يخالف بينهم فى

وقال أبو قيس بن الأسلت الانصاري

تمشي الهوينا اذا مشت فضلا • كانها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن علي بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصاري أعني تمشي الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا • أنعم بالي واتبع الغزلا

أنقل رجلي الى مجالسها • ولا أبالي مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها • تمشي الهوينا اذا مشت فضلا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعني ابله أو ناقته

ان لها لسانقا خدلجا • لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

الخدلج المدمج الساقين واغا عني المرأة التي ساقه حببه اليها والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي

اكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحب المكان القفر من اجل أنني • به أتغنى باسمها غير معجم

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نمير الثقفي

وقد أرسلت في السر ان قد فضحتني • وقد بحت باسمي في النسيب وما تكني

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة مخزومية وهو

ألمّا بذات الخال فاستطلعا لنا • على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها ان النوى أجنبية • بنا وبكم قد خفت ان تتيمما

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مدية قال له ابن أبي ربيعة أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان فقال له ماهو فقال كتبت

أضحى قريضك بالهوى نماما • فاقصد هديت وكن له كتاما

بعض الوجوه الا أرهاصا لمصلحتهم ولنصح أخبارهم الا ترى ان أحدا لم يبع قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان ذلك الدرهم خير له من سلعته ولم يشتر أحد قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان تلك السلعة خير له من درهمه ولو كان صاحب السلعة يرى في سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم وكان صاحب الدرهم يرى في الدرهم ما يرى فيه صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراء أبدا ولا بيع أبدا وفي هذا

واعلم

واعلم بان الخال حين ذكرته • فعدا العدو به عليك وقاما

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى مايدل على معناه من غيره قال الله وله المثل الاعلى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أو لامستم النساء والملامسة فى قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون فى الرجل يقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم فى قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادى وكذلك المرأة قال عمرو بن معدى كرب الزبيدى

فكم من غائط من دون سلمى • قليل الأنس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز فى المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هى كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل ان يدعى باسمه ووقعت فى الكلام على ضربين وقعت فى الصبى على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفى الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كنى عن كذا بكذا أى ترك كذا الى كذا البعض ماذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسرى لعنه الله يلعن على بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبى الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا أو بل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذى قصدناله قال اعرابى

وحقة مسك من نساء لبستها • شبابى وكأس باكرتنى شمولها

جديدة سربال الشباب كأنها • اباءة بردى سقتها غيولها

مخملة باللحم من دون خصرها • تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتنى شمولها زعم الاصمعى ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وقوله اباءة بردى الاباءة القصبة وجمعها الاباء قال كعب بن مالك الانصارى

من سره ضرب يرعبل بعضه • بعضا كمعمعة الاباء المحرق

جميع المفسدة وغاية الهلكة فسبحان الذى حبب الينا مافى أيدى غيرنا وحبب الى غيرنا مافى أيدينا ليقع التبايع واذا وقع التبايع وقع التراجع واذا وقع التراجع وقع التعايش ويدلك أيضا على اختلاف طبائعهم وأسبابهم انك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب فلا تجد بين تلتقيان على رطبة بعينها وكل واحد من الجميع يرى ماحواه الطبق غير ان شهوته

المعمعة صوت احراقه يقال سمعت معمعة القصب والقوصرة في النار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وما والاه ورقته قال حميد بن ثور الهلالي

لم آلف حمرة بعد اذ هي ناشئ • خرجت معطفة عليها مئزر

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هاديتها • بيض الوجوه كأنهن العنقر

(العنقر أصول القصب يقال عنقر وعنقر) وفي هذا الشعر

ذهبت بعقلك ريطة مطوية • وهي التي تهدى بها لو تنشر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب في قوله لو تنشر تشعر)

فهممت ان أغشى اليها محجرا • ولمثلها يغشى اليه المحجر

وقوله سقتها غيوثها الغيل ههنا الأجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسد غيل فاذا ما شربوا • وهبوا كل أمون وطمر

وقد أملينا جميع ما في الغيل والغيل وقوله تطول القصار والطوال تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فعل وهو ما يقع في نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكرم وما كان وضيعا أو لقد وضع وما كان شريفا أو لقد شرف وكان الشيء صغيرا فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طول وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما وهما متحركتان وعلى ذلك يقال في الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولني فطلته أي فعلوته طولا فتقديره فعل نحو خاصمني فخصمته وضاربني فضربته وفاعله طائل كقولك ضارب وخاصم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا مشى مع الطوال طالهم وقال رياح ابن سنيح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحا يجيب جريرا لما قال جرير

لا تطلبن خؤولة في تغلب • فالزنج أكرم منهم اخوالا

فعرك رياح فذكر أكثر من ولدته الزنج من اشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنج لو لاقيتهم في صفهم • لاقيت ثم جحاجحا ابطالا

ما بال كلب بني كليب سبهم • ان لم يوازن حاجبا وعقالا

وقعت على واحدة غير التي آثرها صاحبه وربما سبق الرجل الى الواحدة وقد كان صاحبه يريدها في نفسه غير ان ذلك لا يكون الا في الفرط ولو كانت شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدة بعينها لكان في ذلك التمانع والتجاذب والمبادرة وسوء المخالطة والمواكلة وكذلك هو في شهوة النساء والاماء والمراكب والكسى وهذا كثير والعلم به قليل وبأقل مما قلنا يعرف العاقل صواب

ان الفرزدق صخرة عادية • طالت فليس تنالها الاجبالا

يريد طالت الاجبال فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن ابى حفصة وهو مروان
ابن سليمان بن يحيى بن ابى حفصة واسم ابى حفصة يزيد

انّ الغوانى طالما قتلننا • بعيونهنّ ولا يدين قتيلا
من كل آنسة كانّ حجالها • ضمّنّ احور فى الكناس كحيلا
اردين عروة والمرقش قبله • كلٌّ اصيب وما اطاق ذهولا
ولقد تركن ابا ذؤيب هائما • ولقد تبلن كثيرا وجميلا
وتركن لابن ابى ربيعة منطقا • فيهنّ اصبح سائرا محمولا
الا اكن ممن قتلن فاننى • ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال ودى يدى وكل ما كان من فعل مما فاؤه واو ومضارعه يفعل فالواو ساقطة
منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فعل يفعل لان العلة فى سقوط الواو كسرة
العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن فى يدين علة اخرى وهى ان الياء التى هى لام الفعل بعد
كسرة فهى تعتل اعتلال آخر يرمى واوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا
ومثل ذلك وعى يعى ووقى يقى ووفى يفى ووشى يشى وونى فى امر ينى وما اشبه ذلك ويقع فى فعل
نحو ولى الامير الآن يلى فاذا امرت كان الفعل على حرف واحد فى الوصل لاتصاله بما بعده تقول
يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يا زيد من وليت فاذا وقفت قلت له وشه وقه لا يكون الا
ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى الف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف
عليه فادخلت الهاء لبيان الحركة فى الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لى بحرف واحد غير
موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لى
بساكن متحرك فى حال وقوله ضمّنّ يقول ضمّن القبر زيدا وضمن القبر زيد كلٌّ صحيح فمن قال
ضمّن القبر زيدا فانما اراد جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمّن زيد القبر فانما اراد جعل زيد فى ضمن
القبر وينشد هذا البيت على وجهين (لابى حيّة النميرى)

وما غائب من غاب يرجى ايابه • ولكنه من ضمّن اللحد غائب

مذهبنا والله تعالى
نسأل التوفيق وهو الذى
خالف بين طبائعهم
واسبابهم حتى لا يتفق
على تخرص خبر واحد
لان فى اتفاق طبائعهم
واسبابهم فى جهة الاخبار
فساد امورهم وقلة
فوائدهم واعتبارهم وفى
فساد اخبارهم فساد
متاجرهم والعلم بما غاب
عن ابصارهم وبطلان
المعرفة بانبيائهم ورسلهم
عليهم السلام ووعدهم
ووعيدهم وامرهم ونهيهم
وزجرهم ورغبتهم

ومن روى مَنْ ضُمِّنَ المحدَ فائبُ يريد من ضُمِّنَهُ الحدَ وحذف الهاء من صلة مَن وهذا من الواضح الذى لا يحتاج الى تفسير وقوله أحورَ يعنى ظبيا واهل الغريب يذهبون الى أن الحَوَرَ فى العين شدةُ سواد سوادها وشدةُ بياض بياضها والذى عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحَوَرَ والحَوارِىَّ والكِناس حيث تَكنس البقرةُ والظبيةُ وهو أن تتخذ فى الشجرة العادِيّة كالبيت تأوى اليه وتتعرَّفيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعى قال ذو الرمة

اذا استهلّت عليه غَبيةٌ أرِجَتْ • مَرابِضُ العينِ حتى يأرَجَ الخشبُ

كأنه بيتُ عَطّارٍ يُضَمِّنُهُ • لَطائمَ المسكِ يحويها وتُنتَهَبُ

قوله غبية هى الدُفعةُ من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والأرَج توَهُّج الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعِينُ جمع عَيناء يعنى البقرة الوحشية وبها شُبّهت المرأة فقيل حورٌ عِينٌ والطيمةُ الابل التى تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضُمّنَ ظبيا أحورَ العين أكحل وجعل الكِناس كالكِناس وقال ابن عباس فى قول الله جل وعز فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ الجوارِ الكُنَّسِ قال أقسم ببقر الوحش لانها الخُنَّسُ الأنوف والكُنَّسُ التى تلزم الكناس وقال غيره أقسمُ بالنجوم التى تجرى بالليل وتخنُسُ بالنهار وهو الاكثر وقوله أَرْدَيْنَ يقول أهلَكْنَ والرَدَى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذَهَلَ عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت أى تسلو وتنسى عنه الى غيره) قال كثيّر

تذهل عن ليلاه وإنى لعاشِقٌ • وأُضحى يريد الصرمَ أو يتدلّلُ

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجميلا أصل التَبْل الترة يقال تَبْلى عند فلان قال حسّان بن ثابت

تبلتْ فؤادكَ فى المنام خريدةٌ • تَشفى الضجيعَ ببارد بسّامِ

والخريدةُ الحَيِيّةُ وقوله من ترك فؤاده مخبولا يريد الخَبْلَ وهو الجنون ولو قال مخبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا فى الحبالة كما قال الاعشى

فكلنا هائم فى اثر صاحبه • دانٍ وناءٍ ومخبولٌ ومختبِلُ

وخُبِّرتُ أن رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكلمها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خريدةُ قد كنت أحسبك عروبا فاذا بك ناعقٌ وتشنيننا فقالت يا ابن الخبيثة

وحدودهم وقصاصهم الذى هو حياتهم والذى يعدل طبائعهم ويسوى أخلاقهم ويقوى أسبابهم والذى به يتمانعون من نوائب السباع وقله احتراس البهائم واضاعة الامهار وبه تكثر خواطرهم وتفكيرهم ويحسن معرفتهم ولم نقل ان العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل كالتكذيب والتصديق ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية وعباد المبدرة

أَنْجَمْشُنِي بالهمز الخريدة الجميلة والعروبُ الحسنةُ التبعُّل وفُسِّرَ في القرآن على ذلك في قول عُرُبًا أترابا فقيل هُنَّ المحبَّبات لأزواجهن قال أَوْسُ بن حَجَر (ويقال عَبِيدُ بن الأبرص

وقد لَهَوتُ بمثل الرئم آنسة) • تُصبي الحليم عَروبٍ غيرِ مكلاحِ

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يُتَوصَّلُ به الى النساء شيأ الا أنه كان يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فاخلفته فحيَّن وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحيتها في أخرى فتلا ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسقٌ بنبإ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قوما بجهالة • وذكروا أن أبا القمقام بن بحر السقاء عَشِقَ جارية مدينية فبعث اليها ان اخوانا لي زاروني فابعثي الي برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذلك ففعلت فلما كان اليومُ الثاني بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثي الي بقليَّة جزورية وبقرية وقديدية حتى نتغداها ونصطبح على ذلك فلما كان في اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثي الي بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذلك فقالت لرسوله اني رأيت الحبَّ يحلُّ في القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حبَّ صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخُبِّرتُ أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يُطلق له أن يُهدي الى أمير المؤمنين المهدي في النيروز والمهرجان فأهدى في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مُطيَّبٌ قد كتب في حواشيه

نفسي بشيءٍ من الدنيا معلقةٌ • اللهُ والقائمُ المهديُّ يكفيها

اني لأيأس منها ثم يُطمعني • فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمَّ بدفع عتبةَ اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالاً فقال الكتّاب أمر لي بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئتَ أعطيناك دراهم الى أن يُفصح عما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا ودعت أبا الحرث جُمَيز واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلني الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا قالت أما تستحي أما في وجهي ما يشغلك

يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون آياته وأعلامه ويقولون لم يأت بشيء ولا بان بشيء وانما قلنا ان العدد الكثير لا يتفقون على نفي مثل أخبارهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب التهامي الابطحي عليه السلام خرج بمكة ودعا الى كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وأباح كذا وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه وانه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه

عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لابدا كادن شيئا أبرق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأنشدت لاعرابي

وقد رابني من زهدم أن زهدما ● يشد على خبزي ويبكي على جملي

فلو كنت عذري العلاقة لم تكن ● سمينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

وقال أعرابي

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا ● وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة

ألم تعلمي يا مي أنا وبيننا ● مهاو لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن ● أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة ● شعاع الضحى في لونها يتوضح

هي الشبه أعطافا وجيدا ومقلة ● ومية أبهى بعد منها وأملح

كأن البرى والعاج عيجت متونه ● على عشر نهى به السيل أبطح

لئن كانت الدنيا علي كما أرى ● تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله مهاو واحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة ويقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

نظارة حين تعلو الشمس راكبها ● طرحا بعيني لياح فيه تحديد

اللياح من البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذي قد شدن أي تحرك وقوله تشرئب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوي ويقال هو يسرح في المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا ويقال ألفته الفا وفي القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرؤا الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على شيء نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثاني عطفه ويقال للاردية العطف لانها تقع على ذلك الموضع وفي الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا ليثبتهم في قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العطف واحدها عطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها فأعطاهم فيمن هم منه والجيد العنق والبرى

وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ولا ادعى انه قد فعل فيكون ذلك الخبر باطلا وليس قول جمعهم انه كان كاذبا معارضة لهذا الخبر الا ان يسموا الانكار معارضة وانما المعارضة مثل الموازنة والمكايلة فتى قابلونا بأخبار في وزن أخبارنا ومخرجها وتحيتها فقد عارضونا ووازنونا وقابلونا وقد تكافينا وتدافعنا فاما الانكار

الخلاخيل واحدتها أبرة وهي من الناقة التي تقع في مارن الانف والذي يقع في العظم يقال له الخشاش والعاج كان يتخذ مكان الاسورة قال جرير

ترى العبس الحولي جونا بكوعها • لها مسكا من غير عاج ولا ذبل

العبس ما يتعلق من الابعار والبول باذناب الابل والوذح الذي يتعلق باطراف ألايا الشاء ويكون العبس في أذناب الابل من البول اذا خثر والجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزند الذي يلي الابهام والكرسوع رأسه الذي يلي الخنصر والمسكة السوار والذبل شيء يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سوار وسوار واسوار قالت الخنساء • كانه تحت طي البرد اسوار • والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادي يقال أبطح وبطحاء بافتى وأبرق وبرقاء وأمعز ومعزاء وهذا كثير والبارح الشدائد يقال برح به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا برحا والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير •

ما كنت أول مشعوف أضر به • برح الهوى وعذاب غير تفتير

(قال أبو الحسن وقد سمعناه من غير أبي العباس يقال لقيت منك برحا بالفتح ويقال لقي منه البرحين أي الدواهي الشداد التي تبرح) قال أبو العباس في المثل السائر قيل لرجل ما أخفى قال ما لم يكن وفي تفسير هذه الآية يعلم السر وأخفى قال ما حدثت به نفسك كما قال أو اكننتم في أنفسكم وتقديره في العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وانه لكالبقة أو أصغر ولو قال رأيت زيدا أو شبيها لجاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيت الجمل أو راكبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قرب شيأ من شيء وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فأما قوله جل ثناؤه وهو أهون عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضي عندنا انما هو وهو عليه هين لان الله جل وعز لا يكون عليه شيء أهون من شيء آخر وقد قال معن بن أوس

لعمرك ما أدري واني لاوجل • على أينا تغدو المنية أول

أراد واني لوجل وكذلك بنا أول ما في الاذان الله أكبر الله أكبر أي الله كبير لانه انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله في باب فأما الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بين لانه من طريق العلم والمعرفة والبذل والاعطاء وقوم يقولون الله

فليس بحجة كان الاول ليس بحجة ولا تصديقنا النبي صلى الله عليه وسلم حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرناله حجة علينا وانما الحجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله فان قلت وأي مجيء أثبت خبرا النصارى عن عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك انك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك عن عيسى أسلافهم ان عيسى قد قال اني اله قلنا قد علمنا ان نصارى عصرنا لم

أكبر من كل شئ وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شئ وكذلك قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذى يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا • ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بنى أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد • صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا فى بيته الثانى بقوله

فخروا بمقتله ولا يوفى به • مثنى سراتهم الذين نقتل

والقول الثانى فى الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لا شئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة • ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذى ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سرى الى صديقى فأذاعه فهو فى حل فقيل له وكيف ذلك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه • فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ما سمع فى هذا ما يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا • ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبى أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبى فقلت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أو يدخل هذا بين الرجل

وابيه

يكذبوا على القرن الذى كان قبلهم والذين كانوا يلونهم ولكن الدليل على ان أصل خبرهم ليس كفرعه ان عيسى عليه السلام لو قال انى اله لما أعطاه الله تعالى احياء الموتى والمشى على الماء على ان فى عيسى عليه السلام دلالة فى نفسه انه ليس باله وانه عبد مدبر ومقهور ميسر وليس خبرهم هذا الا كاخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذى يليهم ان بولس قد كان جاء بالآيات

وأبيته فقال لا ولكنى أكره أن تذال لسانك بإفشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخى من رق الخطأ وقال معاوية أعنت على على رحمه الله بأربع كنت رجلاً أكتم سرى وكان رجلاً ظهرة وكنت فى أطوع جند وأصلحه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون علىّ منه وان ظفر بهم اعتددت بها عليه فى دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الىّ ومفرق عنه وعون لى وعون عليه وقال أردشير الداء فى كل مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قدمت • كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وقال جميل

ولا يسمعن سرى وسرك ثالث • ألا كل سر جاوز اثنين شائع

وقال آخر وهو مسكين الدارمى

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم • على سر بعض غير أنى جماعها
يظلون فى الارض الفضاء وسرهم • الى صخرة أعيا الرجال انصداعها
(لكل امرئ شعب من القلب فارغ • وموضع نجوى لا يرام اطلاعها)

وقال آخر

سأكتم سرى وأحفظ سره • ولا غرنى أنى عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يضيعه • ولا الناس الا جاهل وحليم

وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه

وقال آخر

ولى صاحب سرى المكتم عنده • مخاريق نيران بليل تحرق
عطفت على أسراره فكسوتها • ثيابا من الكتمان لا تتخرق
فمن تكن الاسرار تطفو بصدره • فأسرار صدرى بالاحاديث تغرق
فلا تودعن الدهر سرك أحمقا • فانك ان أودعته منه أحمق
وحسبك فى ستر الاحاديث واعظا • من القول ما قال الاريب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بعبد للرجال سريرتى • وما أنا عن أسرارهم بسؤول

والعلامات وكنقل المانوية عن القرن الذى كان يليهم منهم أن مانى قد كان جاءهم بالآيات والعلامات وكأخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم ان زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات وقد علمنا ان هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذى كان يليهم ولا الزنادقة ولا المجوس ولكن الدليل على أبطل خبرهم ليس كفرعه لأن الله تعالى جل وعز لا يعطى العلامات من

(ولا أنا بوما للحديث سمعته • الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تفشين له سرا ولا تغتبن عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله • من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطى دونه خبرى • وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به • بوادر من دمع تسيل على خدى

وشاع الذى أضمرت من غير منطق • كأن ضمير القلب يرشح من جلدى

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذرى

اذا جاوز الاثنين سر فانه • بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أى قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمين فى معنى قال الحرث بن خالد المخزومى

من كان يسأل عنا أين منزلنا • فالأقحوانة منا منزل قمن

وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يردد ثمنه فى مثله فذلك مال قمن ألا يبارك فيه وقال الرقاشى

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق • كلاما تكلمنا بأعيننا سرا

فنقضى ولم يعلم بنا كل حاجة • ولا نكشف الضوى ولا نهتك الستر

وقال معاوية لعياش بن صحار العبدى ما الايجاز قال الاختصار قال لحمة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الأسرار لكن أنمها • ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى

لا يعرفه لان بولس ان كان عنده أن عيسى عليه السلام اله فهو لا يعرف الله تعالى بل لا يعرف الربوبية من العبودية والبشرية من الالهية

(فصل منه) وللنصارى خاصة رياء عجيب وظاهر زهد والناس أبطأ شئ عن التصفح وأسرع شئ الى تقليد صاحب السمت والسمت وظاهر العمل أدعى لهم من العلم

(فصل منه على ذكرهم) وكل قوم بنوا على حب الاشكال وشدة الرجال

وان أحقّ الناس بالبغض لامرئ • تقلّبه الأسرار جنبا الى جنب

وقال آخر • وامنع جارتي من كل خير • وامشي بالنميمة بين صحبي

ويقال للنمام القتّات وفي الحديث لا يراح القتّات رائحة الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يا رسول الله ومن المثلث فقال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا • شرّا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلب بن أبي صفرة أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ اليه ويقال للنكاح السرّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يذكر الشيء بالشيء وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السرّ الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن سرّا الا ان تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سرّ جارتهم عليهم • ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الأعشى لسلامة ذي فائش الحميري

وقوم ان يضمنوا جارة • وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرّها للغنى • ولن يسلموها لازهادها

في هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون في ذوات الاموال وانما يرغبون في ذوات الأحساب اختيارا للاولاد وصيانة للأصهار ان يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة • ويأكل جارهم أنف القصاع • انما يريد المستأنف الذي لم يؤكل قبل منه شيء يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شيء قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف • والقينة الحسناء والكأس الأنف

للطاعنين الخيل والخيل خنف •

يشتد وجدهم به وتهيم له حتى ينقلب الحب عشقا والوجد صبابة للمشاكلة التي بين الطبائع والمناسبة التي بين النفوس وعلى قدر ذلك يكون البغض والحقد لان النصارى حين جعلوا ربهم انسانا مثلهم بخعت نفوسهم بالاهية له لتوهمهم الربوبية وسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية فلذلك قدروا من عبادة على ما لم يقدر عليه سواهم وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع من متممه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح فيها مالك بن على الخزاعى

عرضت عليها ما أرادت من المنى • لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله • كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

فلو اننى أصبحت فى جود مالك • وعزته ما نال ذلك مطلبى

فتى شقيت أموالهُ بسماحه • كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع فى كلمة له يمدح بها عاصما الغسانى

أقول ونفسى بين شوق وحسرة • وقد شخصت عينى ودمعى على خدى

أتريحى بقتل من تركت فؤاده • بلحظته بين التأسف والجهد

فقالت عذاب فى الهوى قبل ميتة • وموت اذا أقرحت قلبك من بعدى

لقد فطنت للجور فطنة عاصم • لصنع الايادى الغر فى طلب الحمد

سأشكوك فى الاشعار غير مقصر • الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد

أمل فتى غسان يجمع بيننا • فتأمن نفسى منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل • فى مثل ما أنت فيه ليس يكفينى

هذا زمان ألح الناس فيه على • زهو الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحة • عنى وزادك خيرا يا ابن يقطين

انى أريدك للدنيا وعاجلها • ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبى فى كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر انى • لابن بيت تهدى له الاشعار

غير انى أراك من أهل بيت • ما على الحر ان يسودوا عار

وقال أيضا فى كلمة أخرى واذا جددت فكل شئ نافع • واذا حددت فكل شئ ضائر

ممن ينفى التشبيه حتى ربما رأيته يتنفس من الشوق اليه ويشهق عند ذكر الزيارة ويبكى عند ذكر الرؤية ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب وما ظنك بشوق من طمع فى مجالسة ربه جل جلاله ومحادثة خالقه عز ذكره ولقد غالت القوم غول ودهاهم أمر فانظر ما هو وان سألتنى عنه خبرتك انما هو نتيجة أحد أمرين اما تقليد الرجال واما طلب تعظيمهم ولذلك السبب لم ترض اليهود

واذا أتاكَ مُهَلَّبِيٌّ في الوغى • والسيفُ في يده فنِعْمَ الناصرُ

وقال عبد الله بن الزُّبَيْر لما أتاه قتلُ مُصعب بن الزبير أشهده المُهَلَّبُ بن أبي صُفرة قالوا لا كان المهلب في وجوه الخوارج قال أفشهده عَبَّادُ بن الحُصَيْن الحَبَطِيُّ قالوا لا قال أفشهده عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ قالوا لا فتمثّل عبدُ الله بن الزُّبَير فقال

فقلتُ لها عِيثي جَعارِ وجَرِّري • بلَحم امرئٍ لم يَشْهَد اليومَ ناصِرُهْ

جَعارِ اسم من أسماء الضَّبُع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفَساقِ ولَكاعِ وحَلاقِ للمنية وقد فسرناهذا الباب مُسْتَقْصًى على وجوهه الاربعة ويروى ان ابنة جارية لهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْل بن شَيْبان قالت له يوما

أهمامَ بن مرةَ حن قلبي • الى اللاتي يَكُنّ مع الرجال

فقال يا فَساقِ أردتِ صفيحةً ماضية فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي • الى صَلْعاءَ مُشْرِفةِ القَذالِ

فقال يا جَعارِ أردتِ بيضةً حصينة فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي • الى أيْرٍ أسُدُّ به مَبالي

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشَّمَقْمَق وهو مَرْوانُ بن محمد وزعم التَّوَّزِيُّ عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن نُوَيم الكاتبُ من أهل خُراسانَ من بُخاريةِ عبيد الله ابن زياد (وبُخاريةُ اسم قريةٍ من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لَحَنَ ويَهْزِلُ كثيرا ويُجِدُّ فيُكثِرُ صوابه قال يمدح مالكَ بن عليّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سعيدَ بن سَلْمٍ الباهليَّ

قد مررنا بمالكٍ فوجدنا • هُ جوادا الى المكارم يَنْمِي

ما يبالي أتاه ضيفٌ بخُفٍّ • أم أتته يأجوجُ من خلف رَدْمِ

فانتهينا الى سعيد بن سَلْم • فاذا ضيفُه من الجوع يَرْمِي

واذا خبزُه عليه سيكفيـ • ـكَهُمُ اللهُ مابدا ضوءُ نجمِ

واذا خاتمُ النبيِّ سُلَيما • نَ بن داود قد علاه بختمِ

فارتحلنا من عند هذا بحمدٍ • وارتحلنا من عند هذا بذَمِّ

من انكار حقه بتكذيبه حتى طلبت قتله وصلبه والمثلة به ثم لم ترض بذلك حتى زعمت انه لغير رشدة فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صبابة وتحرقا وأفرط غضبا وأدوم حقدا وأحسن تواصلا من غيرهم أيضا ورب خبر قد كان فاشيا فدخل عليه

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم ● وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضت الحوادث نادى ● رضي الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لي اعرابي فمدحني فبلغ فقال

الا قل لساري الليل لا تخش ضلة ● سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد ● جواد حثا في وجهه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ فقال

لكل اخي مدح ثواب يعده ● وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة ● فكان كصفوان عليه تراب

وقال ابو الشمقمق

قال لي الناس زر سعيد بن سلم ● قلت للناس لا ازور سعيدا

وامير في خزاعة بالبصرة قد عمها سماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن ● مالك اكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرني مع مالك وانه اخذ مني امنيته وقال ابو الشمقمق ايضا

هيهات تضرب في حديد بارد ● ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحار باسرها ● واتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره ● لأبى وقال تيممن بصعيد

(ومثله قول الآخر

لو ان قصرك يا ابن يوسف كله ● ابر يضيق بها فضاء المنزل

واتاك يوسف يستعيرك ابرة ● ليخيط قد قميصه لم تفعل)

وقال مسلم بن الوليد

ديون لا يقضي الزمان غريمها ● وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم الأم الناس كلهم ● وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا ● تداركنا مجده بيزيد

خزيمة لا باس به غير انه ● لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

حين العلل ما منعه من الشهرة رب خبر ضعيف الأصل واهن المخرج قد تهيأ له من الاسباب ما يوجب الشهرة

(فصل منه) واعلم ان لاكثر الشعر طعنا وحظوظا كالبيت يحظى ويسير حتى يحظى صاحبه بحظه وغيره من الشعر أجود منه وكالمثل يحظى ويسير وغيره من الامثال أجود وماضاع من كلام الناس وضل أكثر مما حفظ وحكي واعتبر ذلك من نفسك وصديقك

رُزِينا أبا عمرٍو فقلنا للناعمرو • سيكفيك ضوء البدر غيبوبة البدر

وكان أبو عمرو مُعارًا حياتُه • بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيدُ يوماً لسعيد بن سَلْم يا سعيدُ من بيتُ قيس في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين من شرَّفتموه قال صدقت أنت وقومك

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي قال حدثني رجل من أهل مكة قال رأيت في منامي سعيد بن سَلْم في حياته وفي نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه وكمال مروءته قال فقلت في نفسي ما أجلّ ما أُعطيه سعيد بن سلم فقال لي قائل وما ذخره الله في الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنة التي يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نسمة وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لمديني ان سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذا لا يبيعه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبني سعيد انكم من معشر • لا يعرفون كرامة الأضياف

قوم لباهلة بن يعصر ان هُم • نُسبوا حسبتهم لعبد مناف

قرنوا الغداء الى العشاء وقرّبوا • زاداً لعمرُ أبيك ليس بكاف

وكأنني لما حططت اليهم • رحلي نزلت بأبرق العزّاف

بينا كذلك أتاهم كبراؤهم • يلحون في التبذير والاسراف

وأنشدني المازني

سلِ اللهَ ذا المَنِّ من فضله • ولا تسألن أبا وائله

فما سأل الله عبدٌ له • فخاب ولو كان من باهله

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا

ترى الباهليّ على خبزه • اذا رامه آكلٌ آكله)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهل ينبحني كلبكم • وأُسْدُكم ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهلي • عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وحدثني علي بن القاسم قال حدثني أبو قلابة الجرمي قال حججت مع أبي نوح بن عمرو بن سعيد

وجلبك وأمر الأسباب عجيب ومن ذلك قتل علي بن أبي طالب من السادة والقادة والحماة ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته فاضرب الناس عن ذكرهم وجهلت العوام مواضعهم وأخذوا في ذكر عمرو بن عبد ود فرفعوه فوق كل فارس مشهور وقائد مذكور وقد قرأت على العلماء كتاب الفجار الأول والثاني والثالث وأمر المطيبين والأحلاف ومقبل أبي أزيهر ومجيء

قال وكنا في ذراه وهو إذ ذاك يجبي ومضى فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام من بني الحرث بن كعب لم
نر أفصح منهم فرأوا هيئة أبي جزء وإعظامنا إياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة
أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس
من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك أصر إلى فصيلتك التي تؤويك قال رجل من
بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بني يعصر قال من أيها قال رجل
من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فأقبلت على الحارثي فقلت أتعرف هذا قال ذكر أنه باهلي فقلت
هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو
وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثي الأمير أعظم
أم الخليفة فقلت بل الخليفة قال أفالخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له
في النبوة أضعاف ما عددت له في الإمارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيئا قال فكادت نفس أبي جزء
تخرج فقلت انهض بنا فإن هؤلاء أسوأ الناس أدبا (قال أبو الحسن يقال للرجل إذا سئل عن
شيء فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما أراد منه) وحدثت أن أعرابيا لقي
رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال إي والله وأنا مع ذلك
مولى لهم فأقبل الأعرابي يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لأني أثق بأن الله
عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا إلا وأنت من أهل الجنة وزعم الرقاشي أن قتيبة بن مسلم لما
فتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وإلى آلات لم يسمع بمثلها فأراد أن يري الناس عظيم ما فتح الله
عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى بالسلاليم فإذا
بالحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ
كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فإنه خبيث الجواب فأبى
عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا إلى امرأة قبل ذلك فأقبل
على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال
أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل
ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

الفيل وكل يوم جمع كان
لقريش فما سمعت لعمرو
هذا في شيء من ذلك ذكرا
فإن قلت إن نبل القاتل
زيادة في نبل المقتول
فكل من قتله علي بن أبي
طالب رضوان الله تعالى
عليه أنبل منه وأحق
بالشهرة ولكن أشعار
ابن ود ومناقلة الصبيان
في الكتاب هما اللتان
أورثتاه ما ترى وتسمع
(فصل منه في أمر
الأخبار)
وإنما ذكرت هذا لتعلم أن
الخبر قد يكون أصله

عزلنا وأمّرنا وبكر بن وائل • تجرّ خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غني • وباهلة بن يعصر والركاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أفتعرف الذي يقول

كأنّ فقاح الأزد حول ابن مسمع • وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول

قوم قتيبة أمهم وأبوهم • لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الاكثر الاطيب هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فاغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواء علي بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لمن راية سوداء يخفق ظلها • اذا قيل قدمها حضين تقدما

وللحرث بن وعلة يقول الأعشى وكان قصده فلم يحمده وعرج عنه الى هوذة بن علي ذي التاج وهوذة من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل والحرث بن وعلة من بني رقاش وهي امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن علي

أتيت حريثا زائرا عن جنابة • فكان حريث عن عطائي جامدا

اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما • يرى أسدا في بيته وأساودا

لعمرك ما أشبهت وعلة في الندى • شمائله ولا أباه مجالدا

وانّ امرأ قد زرته قبل هذه • بجو لخير منك نفسا ووالدا

تضيفته يوما فقرب مجلسي • وأصفدني على الزمانة قائدا

ضعيفا ثم يعود قويا ويكون أصله قويا فيعود ضعيفا للذي يعتريه من الأسباب ويحل به من الاعراض من لدن مخرجه ووصوله الى أن يبلغ مدته ومنتهى أجله وغاية التدبير فيه والمصلحة عليه فلما كان هذا مخوفا وكان غير مأمون على المتقادم منه وضع الله تعالى لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة أمارة ليعيد قوة الخير ويجدد ما فدهم بالدروس من أنبياء

وأمتَعَنى على العَشا بوَليــدة • فأُبتُ بخيرٍ منــــك يا هَوذَ حامدا

فتًى لو يُبارى الشمسَ ألقَتْ قناعها • أوالقمَرَ السارى لألقى المَقالدا

يَرى جَمْع مادون الثلاثين قُصرَةً • ويَعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أنبت حُرَيْثًا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حُوَيْرِث وهذا التصغير الآخر يقال له الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حُمَيْد لانه من الحمد وفى الحرث حُرَيْث لانه من الحرث وفى غضبان غُضَيْب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول فى تصغير قنديل على لفظه قُنَيْديل فان صغرته مُرَخَّمًا حذفت الياء فقلت قُنَيْدِل فعلى هذا مجرى الباب وقوله عن جنابة يقول عن غُرْبة وبُعد يقال هم نِعم الحىّ لجارهم جار الجنابة أى الغربة يقال رجل جُنُب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز والجار الجُنُب وقال الحطيئة

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُبا • فى آل لأى بن شمّاس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة فلا تحرمنّى نائلًا عن جنابة ❁ فانى امرؤٌ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جُنُب قال للجميع أجناب كقولك عُنُق وأعناق وطُنُب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جُنّاب كقولك راكب ورُكّاب وضارب وضُرّاب قالت الخنساء

ابكى أخاك لايتام وأرملة ❁ وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جُنُب ورجلان جُنُب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جُنُبان وامرأة جُنُبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا فى بيته وأساودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فُعْل نحو أحمر وحُمْر وأسود وسُود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا أردت القيد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت أدهم الذى هو نعت محض قلت دُهْم قال الاشهب بن رميلة

أسود شرى لاقت أسود خفيّة ❁ تساقوا على حَرْد دماء الاساود

فاجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والاكابر والاحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى

المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين لان نوحا عليه السلام هو الذى جدد الاخبار التى كانت فى الدهر الذى بينه وبين آدم عليهما السلام حتى منعها الخلل وحماها النقصان بالشواهد الصادقة والامارات القائمة وليس ان أخبارهم وحججهم قد كانت درست وأخلت بل حين همت بذلك وكادت بعثه الله عز وجل بآياته لئلا تخلو الارض من حجة ولذلك سموا آخر الدهر الفترة وبين

شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يبدل أحد الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تبالى أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررت بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد وآخر أن يبدل بعض الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب منه فمثل الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثل البدل الثانى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثله الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم والبدل الثالث مثل ما ذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألك عن زيد أمره لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سلب زيد ثوبه فالثوب غيره ولكن به وقع السلب كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الاخطل)

ان السيوف غدوها ورواحها ● تركت هوازن مثل قرن الاعضب

وبدل رابع لا يكون مثله فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يغلط المتكلم فيتدرك غلطه أو ينسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصده وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد أراد أن يقول مررت بدار زيد فاما نسى واما غلط فاستدرك فوضع الذى قصده فى موضع الذى غلط فيه وقوله بجو فهى قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أى نزلت به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطانى وهو الاصفاد والصفد الاسم والاصفاد المصدر قال النابغة ● فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد ● ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل وعز مقرنين فى الاصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله فتى لو يبارى الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان أى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يبارى الريح من

الفترة والقطعة فرق فاعرف ذلك ثم بعث الله جل وعز ابراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التى كانت بينه وبين دهر نوح وانما جعلها الله تعالى أطول فترة كانت فى الارض لان نوحا كان لبث فى قومه يحتج ويخبر ويؤكد وبين ألف سنة الا خمسين عاما ولان آخر آياته كانت أعظم الآيات وهى الطوفان الذى أغرق الله تعالى به جميع أهل الارض غيره وغير شيعته وانما

هذا أي يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فاما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من أبرأني وأبرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يا فتى والمصدر منهما البرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصي وأوصياء وتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ومن همز الواحد قال في الجمع نبآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمي

يا خاتم النبآء انك مرسل • بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله أو القمر الساري لألقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن في الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التي في مثنى التي هي على هيئة واحدة في جميع الاعراب قال النابغة ردت عليه أقاصيه ولبده • ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رؤبة

كأن أيديهن بالقاع القرق • (أيدي جوار يتعاطين الورق)

وقال • سوى مساحيهن تقطيط الحقق • (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان بعده

• تقليل ما قارعن من سمر الطرق • والطرق جمع طرقة) وقال آخر

كفى بالنأي من أسماء كاف • وليس لحبها ما عشت شاف

وأما قوله وأمنعني على العشا بوليدة • فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا عنهم وقال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت • عسرا علي طلابك ابنة مخرم

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

فار الماء من جوف تنور ليكون أعجب للآية وأشهر للقصة وأثبت للحجة ثم مازالت الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعضهم على أثر بعض في الدهر الذي بين ابراهيم وبين عيسى عليهما السلام فلترادف حججهم وتظاهر أعلامهم وكثرة أخبارهم واستفاضة أمورهم ولشدة ما تأكد ذلك في القلوب ورسخ في النفوس وظهر على الألسنة لم يدخلها الخلل والنقص والفساد في

وترى

وترى العواذل يبتدرن ملامتي • فاذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر • فدى لك والدي وسراة قومي • ومالي انه منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع مادون الثلاثين قصرة أي قليلا من الاقتصار ويروى ويغدو ويغدو جميعا وكان هوذة بن علي ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثني التوزي عن أبي عبيدة قال ماتتوج معدي قط انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى

من ير هوذة يسجد غير متئب • اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهي صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه في الأرض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يجدونه حتى فكروا وافاعدوا له السلام فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العز بزمنهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين بمواضع هناك كانت لطسم وجديس والخبر في ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها • حقا كما نطق الذئبي اذ سجعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف • أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم • ذو آل غسان يزجي الموت والشرعا

وحدثني التوزي عن أبي عبيدة والأصمعي عن أبي عمرو وقال قال لي رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس فخفت السلطان فأخفيتها وقد ذكر ذلك زهير في قوله

عهدي بها يوم باب القريتين وقد • زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية • ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم

الدهر الذي كان بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فخرت بالضعف وكادت تنقص عن التمام وانتهت قوتها بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فجدد أقاصيص آدم ونوح وموسى وهارون وعيسى ويحيى عليهم السلام وأمورا بين ذلك وهو الصادق بالشواهد الصادقة وأن الساعة آتية وانه ختم الرسل عليهم السلام به فعلمنا

وقال جرير يهجو بني حنيفة هجا فى الناس من أحياء كلّهم ✽ حتى حنيفة تَفْسُو فى مَناحيها

(تُعَيَّرُ بنو حنيفة بالفُسُولان بلادهم بلاد نخل فيأ كلونه ويُحْدث فى أجوافهم الرياح والقراقير)

أصحابُ نخل وحيطانٍ ومَزرعة ✽ سُيوفهم خُشُبٌ فيها مَساحيها

ذَلَّتْ وأعطتْ يَداً للسِلْم صاغرةً ✽ من بعدما كاد سيفُ الله يُفْنيها

صارتْ حنيفةُ أثلاثاً فثُلْثهُم ✽ أضحَوْا عَبيداً وثُلْثٌ من مَواليها

قوله مناحيها المَنْحاةُ مَقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته بمُسَيلمةَ الكذّاب والنسّابون بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ وقال جرير

أبَنِى حَنيفة نَهْنِهوا سُفَهاءَكُمْ ✽ انى أخاف عليكم أن أغْضَبا

أبَنِى حنيفة اننى ان أهْجُكُمْ ✽ أدَعِ اليَمامةَ لا تُوارى أرْنَبا

وقال عُمارة بن عقيل

بل أيها الراكبُ الماضى لطِيَّته ✽ بَلِّغْ حنيفة وانْشُر فيهمُ الخَبرا

أكان مُسَيلمةُ الكذّابُ قال لكم ✽ لن تُدْرِكوا المَجْدَ حتى تَغْضَبوا مُضَرا

فَهلا حَنيفةُ ان الحرب ان طَرَحَتْ ✽ عليكم بَرْكَها أضْرَعَتْم النَحَرا

البَرْكُ الصدر اذا فتحت الباء ذكّرت وان أردت التأنيث كسرت الباء قلت بِرْكَةٌ قال الجعدى

ولوْ حاذراعَيْن فى بِرْكةٍ ✽ الى جُؤْجُؤ رَهِل المَنْكِب

وزعم الاصمعى أن زياداً كان يقال له أشْعَرُ بَرْكاً لأنه كان أشعر الصدر وغير الاصمعى يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط بن أبى عمرو بن أُميّة وذكروا أن عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائى قال يوماً ألا تَعْجَبون لهذا أشعرَ بَرْكاً يُوَلّى مثل هذا المصر والله ما يُحْسن أن يقضى فى تَمْرتين فَبلَغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنْشُدُ الله رجلاً سمّانى أشعرَ بركاً الا قام فقام عديٌّ بن حاتم فقال أيها الامير ان الذى يقوم فيقول أنا سمّيتك أشعر بركاً لَجرِئ، فقال اجلس يا أبا طَريف فقد بَرّأكَ الله منها فجلس وهو يقول والله ما برّأنى الله منها وكانت أمُّ الوليد بن عقبة أمّ عثمان بن عفّانَ رحمهما الله وهى أرْوَى بنتُ كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَناف وأمُّها البَيْضاء

عند ذلك ان حجته متم الى مدتها او بلوغ امر الله عز وجل فيها

(فصل منه) ثم رجع الكلام الى القول فى الأخبار فأقول ان الناس موكلون بحكاية كل عجيب ومسرورن للاخبار عن كل عظيم وليسوا للحسن أحكى منهم للقبيح ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر وعلى قدر كبر الشئ تكون حكايتهم له واستماعهم ألا ترى ان رجلا من الخلفاء لو ضرب عنق رجل من العظماء

بنت عبد المطّلب بن هاشم ومن ثمّ قال الوليد لعلى بن أبى طالب رحمه الله أنا أتقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأمى من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب قبة الديباج واسمها
أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبنى هاشم لهذا السبب
حين قتل عثمان رحمه الله

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم • ولا تنهبوه لا تحلّ مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا • وعند علىّ درعه ونجائبه
هم قتلوه كى يكونوا مكانه • كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهذا القول باطل وكان عروة بن الزبير اذا ذكر مقتل عثمان يقول كان علىّ أتقى الله من أن يعين
فى قتل عثمان وكان عثمان أتقى لله من أن يعين فى قتل علىّ وقال الوليد بن عقبة

ألا انّ خير الناس بعد ثلاثة • قتيل التجوبىّ الذى جاء من مصر
ومالى لا أبكى وتبكى أقاربى • وقد حجبت عنا فضول أبى عمرو

وقالت ليلى الأخيلية أنشدنيه الرياشىّ عن الأصمعىّ

أبعد عثمان ترجو الخير أمّته • وكان آمن من يمشى على ساق
خليفة الله أعطاهم وخوّلهم • ما كان من ذهب جمّ وأوراق
فلا تكذّب بوعد الله وارض به • ولا توكّل على شئ باشفاق
ولا تقولن لشئ سوف أفعله • قد قدّر الله ما كلّ امرئ لاق

وقال آخر

ألا قل لقوم شاربى كأس علقم • بقتل امام بالمدينة محرم
قتلتم أمين الله فى غير ردّة • ولا حدّ احصان ولا قتل مسلم
تعالوا فقاتونا فان كان قتله • لواحدة منها فحلّ لكم دمى
والّا فاعظم بالذى قد أتيتم • ومن يأت ما لم يرضه الله يظلم
فلا تهنئنّ الشامتين مصابه • فحظّهم من قتله حرب جرهم

وأنشدنى الرياشى عن الاصمعى (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبىّ)

لعمر أبيك فلا تذهلن • لقد ذهب الخير الا قليلا

لما أمسى وفى عسكره
وبلدته جاهل ولا عالم
الا وقد استقر ذلك عنده
وثبت فى قلبه لان الناس
بين حاسد فهو يحكى ذلك
الذى دخل عليه من
الشكل وقلة العدد وبين
واجد يعجب الناس وبين
واعظ معتبر وبين قوم
شأنهم الأراجيف بالفاسد
والصالح ولو كان ضرب
عنقه فى يوم عيد أو حلبة
أو استمطار أو موسم
لكان أشد لاستفاضته
وأسرع لظهوره ولو جاز
ان يكتم الناس هذا

وقد فتن الناسُ في دينهم • وخلّى ابن عفّان شرًّا طويلا

ومثله قول الراعي قتلوا ابن عفّان الخليفة مُحرِمًا • ودعا فلم أرَ مثله مخذولا

فتفرّقت من بعد ذلك عصاهمُ • شققًا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرمًا يريد في الشهر الحرام وكان قُتل في أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خُرَيم بن فاتك الأسدي وكانت له صُحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحيةً • أيَّ قتيلٍ حرامٍ ذبّحوا ذبحوا

ضحّوا بعثمان في الشهر الحرام ولم • يخشوا على مطمح الكفّ الذي طمحوا

فأيّ سُنّة جورٍ سنّ أوّلهم • وباب جورٍ على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضلّ الله سعيهمُ • من سفح ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا

فاستوردتهم سيوفُ المسلمين على • تمام ظِمْءٍ كما يُستورد النَّضَحُ

ان الذين تولّوا قتله سفهًا • لاقوا أثامًا وخسرانًا فما ربحوا

الظِّمْء ما بين الشربتين وقوله ضحّوا بعثمان انما أصله فعلٌ في الضحى قال زهير

ضحّوا قليلًا على كُثبان أسنمةٍ • ومنهم بالقَسوميّات مُعتَرَكُ

أي نزلوا ضُحًى ويقال بيّتوا ذاك أي فعلوه ليلًا قال الله جل وعز اذ يُبيّتون ما لا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة أتوني فلم أرضَ ما بيّتوا • وكانوا أتوني بأمرٍ نُكُرْ

لأُنكح أيِّمهم مُنذرًا • وهل يُنكح العبدَ حُرٌّ لحُرّ

وقوله في سفح ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا أي في صبّ ذاك الدم يقال سفحتُ دمَه وسفكتُ دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون ميتةً أو دمًا مسفوحًا وقوله على تمام ظِمْءٍ فهذا مثلٌ وأصل الظِّمْء أن تشرب الابل يومًا ثم تُغبّ يومًا لا ترِدُ الماء فما بين الشربتين ظِمْءٌ فيكون الظِّمْء يومين فيقال له الرِّبْع كما يقال في الحُمّى لانهم يعتدّون بيومَي شربها او الخِمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنَّضَح الحوض والأثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلقَ أثامًا ثم فسّر فقال يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا فجزم يُضاعف لانه بدل من قوله يلق أثامًا اذ كان اياه في المعنى وأنشدني أبو عبيدة

وشبهه على الايثار للكتمان وعلى جهة النسيان لكنا لا ندري لعله قد كان في زمن صفين والجمل والنهروان حرب مثلها أو أشد منها ولكن الناس آثروا الكتمان واتفقوا على النسيان فاذا كان قتل الملك للرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ومن قلوب الحكماء والغوغاء فما ظنك بمن لو أبصروا رجلا قد أحياه بعد أن ضرب عنقه وأبان رأسه من جسده أليس يكون

جزى الله ابن عروة اذ لحقنا • عقوقا والعقوق من الاثام

وقوله على مطامح الكف يقول على رفعها او ابعادها يقال طمح بصره اذا ارتفع فابعد النظر

قال امرؤ القيس   لقد طمح الطماح من بعد ارضه • ليلبسني من دائه ما تلبسا

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسن ذلك ما جاء باجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كانه رطبا العناب وكانه يابسا الحشف قيل له العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الأعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله   كأن عيون الوحش حول خبائنا • وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ومن ذلك قوله   اذا ما الثريا في السماء تعرضت • تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله   خطاطيف حجن في حبال متينة • تمد بها أيد اليك نوازع

وقوله   فانك شمس والملوك كواكب • اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها • على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقوله   فجاءت بنسج العنكبوت كأنه • على عصويها سابري مشبرق

وتأويل هذا أنه يصف ماء قديما لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

يكون تعجبهم من احيائه أشد من تعجبهم من قتله وكان يكون اخبارهم من خافوا في منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل ليكون سببا للاخبار عن الاحياء اذ كان الأول صغيرا في جنب الثاني فهذا يدل على ان اعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام وآياتهم أحق بالظهور والشهرة والقهر للقلوب والاسماع من مخارجهم وشرائعهم بل قد نعلم ان موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر

وماءٍ قديمِ العهدِ بالانسِ آجنٍ • كأنَّ الدَبى ماءُ الغَضا فيه تبصُقُ

وقد أجاد علقمةُ بن عبدة الفحلُ في وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماءً كأنَّ جمامَهُ • من الآجن حِنّاءٌ مَعاً وصبيبُ

فقال ذو الرُّمَّة في وصف هذا الماء فقرن بتغيره بُعدَ مَطلبه

فأدلى غلامي دلوَه يبتغي بها • شفاءَ الصدى والليلُ أدهمُ أبلقُ

يريد أن الفجر قد نجم فيه فجاءت يعني الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابري مشبرق والسابري الرقيق من الثياب والدرع والمشبرق الممزّق وأنشد أبو زيد

ألهونا بسربال الشباب ملاوةً • فأضحى سربالُ الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم

شَخْتُ الجزارةِ مثلُ البيتِ سائرُهُ • من المُسوحِ خِدَبٌّ شَوقَبٌ خَشِبُ

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعني اذا مدّ جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صَعْلٌ كأنَّ جناحيهِ وجؤجؤَهُ • بيتٌ أطافت به خرقاءُ مهجومُ

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التي لا تحسن شيأ فهي تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هُم صنعوا لجارهمُ وليستْ • يدُ الخرقاءِ مثلَ يدِ الصَناعِ

والمهجوم المهدوم وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هجم أي هُدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذي ليس بلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله في صفة روضة قرحاءَ حوّاءَ أشراطيةٍ وكفت • فيها الذِهابُ وحفَّتها البراعيمُ

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريّها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون في قول الله جل وعز مُدهامّتان تضربان الى الدُهمة لشدة خضرتهما وريّهما وقوله أشراطية ليس مما قصدناه ولكنه مما يجري فيفسّر ومعناه أنها مُطرت بنوء الشرطين وحدثني الزيادي قال سمعت الاصمعي وسُئل بحضرتي أو سألته عن قوله أشراطية فقال بأسته وأست عرسه وذلك أن الاصمعي كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله صلى الله

الاّ ما جيبه ولاّ بانه وكذلك عيسى عليه السلام ولولا ذلك لما كانا الا كغيرهما ممن لا يشعر بموته ولا مولده وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة باعلامهما وأعاجيبهما وأنت لا تسمع بذكرهما قط دون ماذكر من اعلامهما فاذا كان شأن الناس الاخبار عن كل عجيب وحكاية كل عظيم والاطراف بكل طريف وايراد كل غريب من أمور دنياهم فالا يمتنع في طبائعهم ولا

عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فامسكوا لان الخبر في هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول الشماخ

طوى ظمأها في بيضة الصيف بعدما • جرى في عنان الشعريين الأماعز

فأبى أن يفسر في عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهي الأمطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر في النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعي

أميرعم بالنعماء حتى • كأن الارض جللها العهاد

والبراعيم واحدتها برعومة وهي أكمة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كم وكمام فمن قال كمام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فالجماع أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الأكمام ومن ذلك قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بني عامر وهو الصواب)

كأن القلب ليلة قيل يغدى • بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت • تعالجه وقد علق الجناح

(لها فرخان قد غلقا بوكر • فعشهما تصفقه الرياح

فلا بالليل نالت ما ترجى • ولا بالصبح كان لها براح)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيباني للحجاج

هلا برزت الى غزالة في الوغى • بل كان قلبك في جناحي طائر

فهذا يجوز أن يكون في الخفقان وفي الذهاب البتة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طليق الله لم يمنن عليه • أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء • تقلب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان ونصب عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءني عبد الله الفاسق الخبيث فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعني وما أشبهه من الافعال نحو أذكر وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم اغاه وعلى هذا ومن زعم أنه أراد ومن

يخرج من قوى الخليقة في البطش والحيلة أحق بالاخبار والاذاعة وبالاظهار والافاضة هذا على ان يترك الطباع وما تولد عليه والنفوس وما تنتج والعلل وما يسخر فكيف ان كان الله عز وجل قد خص اعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السلام من تهييج الناس على الاخبار عنها ومن تسخير للاسماع لحفظها بخاصة لم يجعلها لغيرها

((فصل منه)) فان قال

المقيمين الصلاة فخطئ في قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذي تساءلون به والأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ٭ فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته في جيدها حبل من مسد فنصب حمالة على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فاما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبت وزيد وأذهب وعمرو وقال جرير

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ٭ ما لم يكن وأب له لينالا

وقال ابن أبي ربيعة قلت اذ أقبلت وزهر تهادى ٭ كنعاج الملا تعسفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لعمري وما عمري علي بهين ٭ لقد نطقت بطلا علي الأقارع

أقارع عوف لا أحاول غيرها ٭ وجوه قرود تبتغي من تخادع

وقال عروة بن الورد العبسي سقوني الخمر ثم تكنفوني ٭ عداة الله من كذب وزور

والعرب تنشد قول حاتم الطائي رفعا ونصبا

ان كنت كارهة معيشتنا ٭ هاتا فحلي في بني بدر

الضاربين لدى أعنتهم ٭ والطاعنين وخيلهم تجري

وانما خفضوهما على النعت ورفعوهما على القطع والابتداء. وكذلك قول الخرنق بنت هفان القيسية من بني قيس بن ثعلبة

لا يبعدن قومي الذين هم ٭ سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ٭ والطيبين معاقد الأزر

وكل ما كان من هذا فعلى هذا أكثر انشاده وان لم يرد مدحا ولا ذما قد استقر له فوجهه النعت

قائل ان الجنة لا تكون جنة حتى تعجز الخليقة وتخرج من حد الطاقة كاحياء الموتى والمشي على الماء وكفلق البحر وكاطعام الثمار في غير أوان الثمار وكانطاق السباع واشباع الكثير من القليل وكما كان جسما مخترعا وجرما مبتدعا وكالذي لا يجوز ان يتولاه الا الخالق ولا يقدر عليه الا الله عز وجل ذكره فاما الاخبار التي هي أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت وبقولهم حدثت

وقرأ بعض القراء. فتبارك الله أحسن الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيت ذي الرمة نصبا لانه لما
ذكر ما يحن اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان يبغي فقال

ديار مية اذ مي تساعفنا • ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاء في دعج صفراء في نعج • كأنها فضة قد مسها ذهب

وفيها من التشبيه المصيب

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما • أن المريض الى عواده الوصب

الخشاش ما كان في عظم الانف وما كان في المارن فهو برة يقال أبريت الناقة فهي مبراة قال
الشماخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراة تخال ضلوعها • من الماسخيات القسي الموترا

وماسخة من بني نصر من الازد واليهم نسبت القسي الماسخية وأحسن ما قيل في صفة الضلوع
واشتباكها قول الراعي وكأنما انتطحت على أثباجها • فدر بشابة قد تممن وعولا
الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدي

اذا ما قمت أرحلها بليل • تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبي على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي
من بني رياح بن يربوع وكان شبث سيد بني يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها • رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندي قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله وكان
عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرز بن المناقير وكان أبوه صلب في خرابة والخرابة
عندهم سرق الابل خاصة فأقبل يعرض لابي الهندي بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندي
أحدهم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في است أبيه وفي الخرابة يقول الراجز

فلا يجوز ان يكون حجة اذ كان لا حجة الا ما لا يقدر عليه الخليقة وما لا يتوهم من جميع البرية قلنا انا لم نزعم ان الاخبار حجة فيحتجوا علينا بها وانما زعمنا ان مجيئها حجة والمجيء ليس هو أمر يتكلفه الناس ويختارونه على غيره ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيؤا له ولفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحق والمجيء أيضا ليس هو فعلا قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه وانما

والحاربُ اللصُّ يحبُّ الحاربا • وتلك قربى مثلُ أن تُناسبا • ان تُشبه الضرائبُ الضرائبا

وقال الآخر

انْتِ الطريقَ واجتنبْ أرماما • انّ بها أكتلَ أو رزاما • خويربين ينقفان الهاما

(زاد أبو الحسن • لم يتركا لمسلم طعاما •) نصب خويربين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومر نصر بن سيار الليثي بأبي الهندي وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندي لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحج به نصر بن سيار مرة فلما ورد الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحل وفوده فدع الشراب حتى ينفر الناس واحتكم عليّ ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول

رضيعُ مُدامٍ فارق الراح روحُهُ • فظلّ عليها مستهلّ المدامع

أديرا عليّ الكأس اني فقدتُها • كما فقد المفطوم درّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندي

قل للسري أبي قيس أتوعدنا • ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت • فيك الشمول لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حُمَيّاها ولذّتها • ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما اعترض الشيء والقصد غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عروة بن حزام العذري

كأنّ قطاةً عُلّقت بجناحها • على كبدي من شدة الخفقان

ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدّة النظر عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردت أن أعلم كيف حالي عند امرأتي فالتفتُّ وقد نهضتُ من بين يديها فاذا هي تكلح في قفاي وقال الفرزدق في هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله بن الزبير

فدونكها يا ابن الزبير فانها • مولّعة يوهي الحجارة قيلها

اذا جلست عند الامام كأنها • ترى رفقة من خلفها تستحيلها

هو ان الانسان يعلم انه اذا لقي البصريين فأخبروه انهم قد عاينوا كذا شيأ ثم لقي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك انهم قد صدقوا اذ كان مثلهم لا يتواطؤ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم فليس بين هذا وبين احياء الموتى والمشي على الماء فرق اذ كان الناس لا يقدرون عليه ولا يطمعون فيه والجيء انما هو معنى معقول

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رفقة ورفقة ومعنى
تستخيلها تتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستخيل الشخوص • من الخوف تسمع مالا ترى

(قوله مروعة يقول كل شيء يذعرها من الظفر بها او رعها او ينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصبيان ما كفة عليها • كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين انشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن
التشبيه الحسن قول جرير في صفة الخيل

يشتفن للنظر البعيد كأنما • ارنانها ببوائن الاشطان

قوله يشتفن ويتشوفن في معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الاشطان اراد شدة صهيلها
يقول كأنما يصهلن في آبار واسعة تبين اشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

ويصهل في مثل جوف الطوى • صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرن نضلة في معرك • يجر الاسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط
قول الخنساء   وان صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل قال جرير • اذا قطعن علما بدا علم •
وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام ومن هذا الضرب من التشبيه قول
العجاج • تقضي البازي اذا البازي كسر • والتقضي الانقضاض وانما اراد سرعتها والعرب
تبدل كثيرا الياء من احد التضعيفين فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن
وكذلك تقضيت من الانقضاض اي تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه
المحدثين المستطرف قول بشار   كأن فؤاده كرة تنزى • حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر • مخافة أن يكون به السرار)

وشيء موهوم اذا كان
كيف يكون ومعلوم ان
الناس لا يمكنهم ان يقدروا
عليه ولا يستطيعون فعله
وانما مدار أمر الحجة على
عجز الخليقة فإن وجدت
أمرا ووجدت الخليقة
عاجزة عنه فهي حجة ثم
لا عليك جوهرا كان
أو عرضا أو موجودا أو
متوهما معقولا ألا ترى
أن فلق البحر ليس هو من
جنس اختراع الثمار لأن
الفلق هو انفراج أجزاء
والثمار أجرام حادثة
وكذلك لو ادعى رجل ان

وفي هذه القصيدة: جَفَتْ عيني عن التغميض حتى • كأنّ جفونها عنها قصارُ
أقولُ وليلتي تزدادُ طولاً • أما لليل بعدهمُ نهارُ

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباءٌ • تمنع اللمس ما تبيح العيونا
درس الدهر ما تجسم منها • وتبقّى لبابها المكنونا
فهي بكر كأنها كل شئ • يتمنّى مخيّرٌ أن يكونا
في كؤوس كأنهنّ نجومٌ • جارياتٌ بروجها أيدينا
طالعاتٌ مع السقاة علينا • فاذا ما غربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخف كلام المحدثين وقال الحنفي وهو اسحق بن خلف في صفة السيف

ألقى بجانب خصره • أمضى من الأجل المتاح
فكأنما ذرّ الهبا • ء عليه أنفاس الرياح

وقال مسلم بن الوليد الانصاري في مدحه يزيد بن مزيد

تمضي المنايا كما تمضي أسنّته • كأنّ في سرجه بدراً وضرغاما

وقال دعبل بن علي في صفة مصلوب

لم أر صفّاً مثل صفّ الزطّ • تسعين منهم صلبوا في خط
من كل عال جذعه بالشطّ • كأنه في جذعه المشتطّ
أخو نعاس جدّ في التمطي • قد خامر النوم ولم يغطّ

(وقال آخر في صفة مصلوب وهو يزيد المهلبي

قام ولما يستعن بساقه • ألف مثواه على فراقه • كأنما يضحك في أشداقه

أراد بياض الشريط في فيه) وقال أعرابي في صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذي يعني رجل محدث من أهل البصرة ويعرف بالأخيطل ويلقب ببرقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يدلّس به)

كأنه عاشق قد مدّ صفحته • يوم الفراق الى توديع مرتحل

الله عز وجل أرسله فجعل حجته علينا لاخبار بما أكلنا وادخرنا وأضمرنا لكان قد احتج علينا فان قلت ان المنجمين ربما أخبروا بالضمير وبالأمر المستور وببعض ما يكون قلنا هنالك فرق فان خطأ المنجمين كثير وصوابهم قليل بل هو أقل من القليل وأنتم لا تقدرون ان تقفون من أخبار المرسلين عليهم السلام في كثير أخبارهم على خطأ واحد والذي سهل قليل المنجمين

أوقاتُ من نُعاس فيه لوثتهُ • مواصلُ لتمطّيه من الكسل

(وقال مسلم بن الوليد وضَعَتْهُ حيث ترتابُ الرياحُ به • وتحسُدُ الطيرَ فيه أضبُعُ البلدِ)

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعني به اسحق بن ابراهيم الطاهري)

قد قلّصت شفتاه من حفيظته • فخيلَ من شدّة التعبيس مبتسما

وقال أيضا في رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهري)

وتنقّلُ من معشرٍ في معشرٍ • فكأنَّ أمّكَ أو أباكَ الزئبقُ

يقال زئبِق وزئبَر مهموزان ودرهم مزأبق وثوب مزأبر ومن افراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو

كأنّهم يسعون في إثر طائر • خفيف المُشاش عظمهُ غير ذي نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذٌ • يحثّ الجناح بالتبسّط والقبض

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يرونها للعبيد بن الأبرص)

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقت • من ماء أدكن في الحانوت نضّاحِ

أو من معتّقة ورهاء نشوتها • أو من أنابيب رُمّانٍ وتفّاحِ

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهت على نكهة أخدريّ • شتيم شابك الأنياب ورد

وفي هذا الشعر فما يدنو الى فيه ذبابٌ • ولو طليت مشافره بقند

يرين حلاوة ويخفن موتا • وشيكا ان هممن له بورد

الذباب الواحد من الذبّان وأدنى العدد فيه أذبّة والكثير الذبّان ولكنه ذكر واحدا ثم خبّر عن سائر الجنس والاسد أنتن السباع فما كما أن الصقر أنتن الطير فما قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولي الأهواز وفارس والشعر لابي الشمقمق

وله لحية تيس • وله منقار نسر

وله نكهة ليث • خالطت نكهة صقر

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة

من يكن إبطه كآباط ذا الخلق فإبطاي في عداد الفقاح

طرافة ذلك منهم لأنهم لو قالوا فأخطأوا أبدا لما كان عجبا لأنه ليس بعجب ان يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل ان يكون ومن أعجب العجب ان يوافق قولهم بعض ما يكون وقد نجد المنجمين يختلفون في القضية الواحدة ويخطئون في أكثرها وقد نجد الرسول يخبرونهم عما يأكلون ويشربون ويدخرون ويضمرون في الامور الكثيرة المعاني والمختلفة في

لي ابطان يرميان جليسي • بشبيه السلاح أو بالسلاح

فكأني من نتن هذا وهذا • جالس بين مصعب وصباح

يعني مصعب بن عبد الله الزبيري وصباح بن خاقان المنقري وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحدثت أن أحمد بن هشام لقيهما يوما فقال أما سمعتما ما قال فيكما هذا يعني اسحق بن الموصلي فقالا ما قال فينا الا خيرا قال قال

لام فيها مصعب وصباح • فعصينا مصعبا وصباحا

وأبينا غير سعي اليها • فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال الا خيرا والمكروه ما قال فيك اذ يقول

وصافية تغشى العيون رقيقة • رهينة عام في الدنان وعام

أدرنا بها الكأس الروية موهنا • من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا • من العي نحكي أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حدا فالاشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه فانما ينظر الى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والاحراق قال الله جل وعز كأنهن بيض مكنون والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعمة لونه قال الراعي

كأن بيض نعام في ملاحفها • اذا اجتلاهن قيظ ليله ومد

وقيل للدوسية وهي امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أي منظر أحسن فقالت قصور بيض في حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد

كدمى العاج في المحاريب أو كالـبيض في الروض زهره مستنير

وقال الآخر

كالبيض في الأدحي يلمع بالضحى • فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير

ما استوصف الناس عن شيء يروقهم • الا أروا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء رائحة • أو درة لا يواري لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها قال الأعشى

الوجوه حتى لا يخطئ في شيء من ذلك وليس في الارض منجم ذكر شيئا أو وافق ضميرا الا وأنت واجد بعض ما زجر قد يجيء بمثله وأكثر منه فان قلت ان الناس يكذبون في الأخبار عن الاعراب والكهان من كل جيل قلنا فهم في أخبارهم عن المنجمين أكذب وبعد فالناس غير مستعظمين لكثرة كذب المنجمين وخطئهم وخدعهم والناس يستقطعون اليسير من المرسلين عليهم

كأنّ مشيتها من بيت جارتها ● مرّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

الريثُ الابطاء. فهذا ما تلحقه العين منها فاما الحقة فهى كاسرع مار وان خفى ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب والعرب تشبّه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرّة والبيضة وانما تقصد من كل شىء الى شىء قال ذو الرمّة

ومية أحسن الثقلين جيدا ● وسالفة وأحسنهم قذالا

فلم أر مثلها نظرا وعينا ● ولا أمّ الغزال ولا الغزالا

تريك بياض غرّتها ووجها ● كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصة فبدا كليلا ● كلا وانغلّ سائره انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذال ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا اذا نظرنا الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشده استنارة وقوله كلا يريد فى سرعة ما بدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننت الشىء اذا صنته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم فى أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير فى يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان

الحزم والجود والايمان قد نزلوا ● على يزيد أمين الله فاختلفوا

ضخم الدسيعة والايمان غرته ● كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمّة فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ● وبين النقا آأنت ام أم سالم

وقال ابن أبى ربيعة أبصرتها ليلة ونسوتها ● يمشين بين المقام والحجر

يرفلن فى الريط والمروط كما ● تمشى الهوينا سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطوى

قد رأينا الغزال والغصن والنيـ ● ـرين شمس الضحى وبدر الظلام

السلام وكلما كان الرجل فى عينك أعظم وكان عن الكذب أزجر كان كذبه عندك أعظم وانما المنجم عند العوام كالطبيب الذى ان قتل المريض علاجه كان عندهم ان القضاء هو الذى قتله وان رأى كان هو أرأه على ان صوابهم أكثر ودليلهم أظهر وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم دون ان يولدوا لهم ويضعوا الاعاجيب عن

فوحق البيان يعضده البر * هان فى مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى المليحة شيئا * جمع الحسن كله فى نظام

فهى تجرى مجرى الاصالة فى الرأ * ى ومجرى الارواح فى الاجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أى حجتكم والمأقط موضع الحرب فضرب به مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والالد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الاخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الالد ويملأ الـ * ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهى ثمان فى المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتى الجنوب من قبل اليمن قال جرير وحبذا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان أحيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهى الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهى شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهى تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهى الدبور وهى تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبى زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعى فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام فى العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء

وكذلك

ألسنتهم وكل ملحد فى الارض للرسول طاعن عليه عائب له يرى ان يصدق عليه كل كذاب يريد ذمه وان يكذب كل صادق يريد مدحه وبعد فلو كان خبر المنجمين فى الصواب كخبر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذى هو حجة لما كان خبر المنجمين حجة فان قلت ولم ذاك قلت لان من كثر صوابه على غير استدلال ومقايسة وعلى غير حساب وتجربة أو على نظر

وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك فى عقب هذا الباب ان شاء الله

يقال جَنَبَتِ الريحُ جُنوبًا وشَمَلَتْ شُمولًا ودَبَرَتْ دُبورًا وصَبَتْ صُبُوًّا وسَمَّتْ سُمومًا وحَرَّتْ حُرورًا مضمومات الاوائل فاذا أردتَ الاسماء فتحتَ أوائلها فقلت جَنوبٌ وشَمولٌ وسَمومٌ ودَبورٌ وحَرورٌ ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وَضوءًا حسنا وتطهرت طَهورًا وأُولِعْتُ بالشئ وَلوعًا وان عليه لقَبولًا ووقَدَتِ النارُ وَقودًا واكثرهم يجعل الوَقود الحطب والوُقود المصدر ويقال الشمالُ على لغات ست يقال شَمالٌ وشَأْمَلٌ وشَمْأَلٌ وشَمَلٌ وشَمْلٌ وشامَلٌ غير مهموز ويقال للشمال الجِرْبياء قال ابن أحمر

بِجَوٍّ من قَسًا ذَفِرِ الخُزامَى • تَداعَى الجِرْبِياءُ به الحَنينا

ويقال للجنوب الأَزْيَبُ ويقال للصبا القَبولُ وبعضهم يجعله للجنوب وهو فى الصبا أشهر بل هو القول الصحيح والاِبْرُ والهِبْرُ والأَيْرُ والهَيْرُ قال الشاعر • مَطاعيمُ أَيْسارٌ اذا الهَيْرُ هَبَّت ۞ فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يتمدحون بالاطعام فى المَشْتاة وشدة الزمان كما قال طَرَفَةُ

نحن فى المَشْتاةِ ندعو الجَفَلَى • لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلى العامة والنَقَرى الخاصة والآدِب صاحب المَأْدُبة يقال مَأْدُبة ومَأْدَبة للدعوة وفى الحديث ان القرآن مَأْدُبةُ الله قال أهل العلم معناه مَدْعاةُ الله وليس من الأَدَبِ وأكثر المفسرين قالوا القولَ الاول وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما الجَفْنَةُ الغَرّاءُ أى التى يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال فى الدعوة أَدَبَه يَأْدِبُه أَدْبًا اذا دعاه قال الشاعر وما أصبح الضحاك الا كحالِمٍ • عصانا فأرسلنا المَنِيَّةَ تَأْدِبُهْ

وقولنا فى الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جَنوب وريح شَمال وريح دَبور فتجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زَجَلٌ كحفيف الحصا • د صادف بالليل ريحا دَبورا

وقال زُهَيْرٌ مُكَلَّلٌ باصول النبت تَنْسِجُهُ • ريحٌ شَمالٌ لضاحى مائه حُبُكُ

وقال جرير • ريحٌ خَرِيقٌ شَمالٌ أو يَمانِيَةٌ • فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهى الشديدة من كل ريح قال حُمَيْدُ بن ثَوْر

ومعاينة لم يكن الأمر من قبل الوحى لانك لو قلت قصيدة فى نفسك فحدثك بها رجل وأنت تعلم انه ليس بمنجم وأنشدكها كلها لعلمت ان ذلك لا يكون الا بوحى ومثل ذلك رجل اشتد وجع عينه فعالجه طبيب فبرئ فلو جعل الطبيب ذلك حجة على نبوته لوجب علينا تكذيبه ولو قال رجل من غير ان يمسه أو يدنو اليه اللهم ان كنت صادقا عليك فاشفه الساعة فبرئ من

بِمَنْوِى حَرامٍ والمَطِىُّ كأنه ❁ قَنَا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير ابن العوام فى كلمة يقول فيها

انى تذكرنى الزبير حمامة ● تدعو بأعلى الأيكتين هديلا

يا لهف نفسى اذ يغرك حبلهم ● هلا اتخذت على القيون كفيلا

قالت قريش ما أذل مجاشعا ● جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا

أفبعد متركم خليل محمد ● ترجوا القيون مع الرسول سبيلا

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم ● وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصارى وكان بخيلا اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هبى هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا فى الجاهلية والاسلام قد نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضى فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبى عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار يشحذ مديتاه ● اذا هبت رياح أبى عقيل

طويل الباع أبيض جعفرى ● كريم الجد كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفرى بما لديه ● على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الأمير خيرا قد عرف الأمير أنى لا أقول شعرا ولكن اخرجى يا بنية فخرجت خماسية فقال لها أجيبى الأمير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره ففى ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبى عقيل ● دعونا عند هبتها الوليدا

ساعته لعلمنا انه صادق فان قالوا وما علمنا ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن منجما قلنا ان علمنا بذلك كعلمنا بان العباس وحمزة وعليا وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا منجمين ولا أطباء متكهنين وكيف يجوز ان يصير انسان عالما بالنجوم من غير ان يختلف الى المنجمين أو يختلفوا اليه أو يكون علم النجوم فاشيا فى أهل بلاده أو يكون فى أهله واحد معروف به

(طويل الباع أبيض عبشميا • أعان على مروته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركبا • عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرا • نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معاد • وظني بابن أروى أن يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت فقالت إن الملوك لا يستحى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها إذا سمى بشئ منها رجل لأنك إذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لا علامة للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة نحو عناق وأتان وعقرب وإن كان نعتا انصرف لأنك إذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لأنه مذكر نعت به المؤنث نحو حائض وطالق ومتئم ومرضع وإذا ذكرنا من الباب شيأ فلم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ما وصفنا أسماء

حالت وحيل بها وغير آيها • طول البلى تجري به الريحان

ريح الشمال مع الجنوب وتارة • رهم الربيع وصائب التهتان

وقد أنشدوا بيت زهير • ريح الجنوب لضاحي مائه حبك • وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لأن ذلك إنما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف في معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسكرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فإن كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف إذا كان لمذكر في المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالأصلي نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقوباء يا فتى ومن قال قوباء يا فتى أنث ولم يصرف لأن الأولى ملحقة وهذه للتأنيث فأما الألف المقصورة التي لغير التأنيث فإن كانت أصلية انصرفت في المذكر نحو ملهى ومغزى ومشترى وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت في النكرة ولم تنصرف في المعرفة نحو أرطى وعلقى فيمن جعل الواحدة علقاة وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف في النكرة وغير منصرف في المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب المقتضب وتقول في أكثر

ولو بلغ انسان في علم النجوم وليست معه علة من هذه العلل وكان ذلك يخفى لكان ذلك كبعض الآيات والعلامات ومتى رأينا حاذقا بالكلام أو بالطب أو بالحساب أو بالغناء أو بالنجوم أو بالعروض خفي على الناس موضعه وسببه وجميع ما ذكرنا فعناية الناس به وعداوتهم له وشهرته في نفسه دون محمد صلى الله عليه وسلم وهل نسب أحد قط لأحد إلا دون ما نسبه

الكلام هبّت جنوباً وهبت شمالاً فتستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكد أنها نعوت لان الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبّت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم • عند الصفاة التى شرقى حورانا

وقال الآخر فأىّ حىّ اذا هبّت شآمية • واستذفأ الكلبُ بالمأسور ذى الذئب

المأسور يعنى قتباً وانما الأسر الشد بالقِد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشدّ بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الأسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ثم وقوله ذى الذئب يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته يقال غبيط مذأب أى ذو ذئب أى موسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الاسدى

والحافظ الناس فى قحوط اذا • لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزّت الشمأل الرياح وقد • أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة الحسناء فى زادها سبعا

قحوط وقحوط وكحل وبحرة أسماء للسنة المجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتنحر أولادها فى السنة المجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذى ينتج فى الربيع والهبع الذى ينتج فى الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمى هبعا لان الربع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يلحقهن الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى قد حال دون دريسيه مؤوبة • نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومؤوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية • ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاه شجر ذو شوك فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة وللجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما • وعضوات تقطع اللهازما

له رهطه وأدانى أهله ومن معه فى بيته وربه وما أعرف رحمك الله المعاند والمسترشد والمصدق والمكذب ينكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم يكن منجما ولا طبيبا واذا قال الجاهل انه قد كان يعلم الخط خفى له ذلك وتعلم الاسباب والقضاء فى النجوم خفى له ذلك وتعلم البيان وقدر منه على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك أليس مع قوله مايعلم خلافه يعلم انه قد سلم له

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء في قول بعض العرب والواو في قول بعضهم تقول في جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف في القرآن يقرأ على ضربين فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التي هي سنيهة ومن جعله من الواو قال في الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء في قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال اسن في هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشام ريحا

ومعنى مرته استدرته وفي الحديث ما هبت الريح الجنوب الا اسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتي بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لأنها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنت ريحا كانت الدبورا * أو كنت غيما لم تكن مطيرا

أو كنت ماء لم تكن طهورا * أو كنت مخا كنت مخا ريرا

* أو كنت بردا كنت زمهريرا *

الرير المخ الرقيق يقال مخ رير ورار في معنى واحد وقال السليك

* بصيدلة قافلا والمخ رار * والشئ يذكر بالشئ وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب * أو كنت سيفا كنت غير عضب

أو كنت لحما كنت لحم كلب * أو كنت عيرا كنت غير ندب

وأما قول السليك فانه يرثي فرسه وكان يقال له النحام فقال

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتي أصلا محار

على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار

أعجوبة كالعجوبة ابراء الاكمه والابرص والمشي على الماء اذ كان ذلك لا يجوز ولا يمكن في الطبائع والعقل والتجربة وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك هل يجد التارك لصديقه انه لا يدري بزعمه لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ناظرا لنفسه غير معاند لحجة عقله وهو لم يجد أحدا قط برع في صناعة واحدة تخفي على الناس موضعه بكل ما حكيناه وفسرنا وأنت كيف تعلم انه ليس في

وما يُدْرِينَ ما فَقْرِي إليه * إذا ما القَومُ وَلَّوْا أو أغاروا

ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّا * يَصِيدُكَ قافلا والمُخُّ رار

قوله كانّ قوائم النعام مجار المحارةُ الصَدَفَةُ يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للريّ والأُصُلُ جمع أَصِيلٍ والأصيلُ العَشِيُّ يقال أَصِيلٌ وأُصُلٌ مثل قَضِيب وقُضُب وجمع أُصُلٍ آصال وهو جمع الجمع وتقديره عُنُقٌ وأعناقٌ وطُنُبٌ وأطناب ويقال في جمع أَصِيلةٍ أصائلُ مثل خَلِيفةٍ وخَلائف قال الأعشى * ولا بأحسنَ منها اذ دنا الأُصُلُ * وقال أبو ذُؤَيْب

لَعَمْرِي لَأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ * وأَقْعُدُ في أفيائه بالأصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طَلَبوا أو هَرَبوا وقوله يصيدك أي يصيد لك يقال صِدْتُكَ ظَبْيًا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كِلْتُكَ ووَزَنْتُكَ لانه قد قال تعالى أولا اذا اكتالوا على الناس يستوفون فاما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تَلْقَحُ السحابُ الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذي يُرْسِلُ الرياحَ فتُثِيرُ سحابا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذاءَبَتْ قال الشاعر * تَمُجُّ اذا تذاءَبَتِ الرياحُ * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتَناوَحَتْ أي تقابلت وتَناوَحَ الشجرُ اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت النائحة نائحة لانها تُقابِلُ صاحبتها فاذا أخلصت الريح عندهم دَبُورًا فهي من جنس البوار واذا أخلصت شمالا شَتْوِيَّةً فهي من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان يُطْعِمُ في الشمال كما تقول يُطْعِمُ في المَحْلِ قال أوس بن حجر * وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرياحَ * أي غلبتها فكانت أقوى منها فلم تدع لها موضعا وقوله تعالى وعَزَّني في الخطاب أي غلبني في المخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عَزَّ بَزَّ وتأويله من غَلَبَ سَلَبَ قالت الخنساءُ

كأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى * اذ الناسُ اذ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلا من بني فَزارةَ ثم أحد بني بدر بن عمرو وكان الغنويُّ متمكنا من لسانه وكان الفزاريُّ بَكِيًّا فقال الغنوي

اخوانك من ليس بمنجم وان فيهم من ليس بطبيب الاعثل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وسلم وآله منه وكيف لم يشتهر ذلك ولم يحتج به عليه ولقد بلغ من اسرافهم في شتمه وافراطهم عليه ان نافقوا واحالوا الانهم كانوا يقولون له أنت ساحر وأنت مجنون وانما يقال للرجل ساحر لحلاوته وحسن بيانه ولطف مكائده وجودة مداراته وتحببه ويقال مجنون

ماؤنا ما بين الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء أنا ريف السهول ومعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم املاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك بين عز تزفيعزنا ما تخيرنا عليهم وبذلهم ما رضوا عنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكى وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن وقد بكؤت وهو مهموز فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكؤت قال الشاعر

فاذا ما حاردت أو بكؤت * فُكَّ عن خاتم أخرى طينها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول محبسها أدنى لمرتعها * وان تداعى بيلد كل محلوب

يقول ان تحبس الابل على ضر ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعز فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الان أن طردناها وهو بلا مطمع فينا واسنده للناو يقال فى الكلام رجل عى بكى قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا عادل بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ فى البهت وأشمت العدو بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الاخطل

وقد سرنى من قيس عيلان أننى * رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا أو شاب وثب بشيخ أو جاهل امتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عمارة لبنى أسد بن خزيمة

يا أيها السائلى عمدا الاخبره * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تستقيم أسد ترشد وان شغبت * فلا يلم لائم الا بنى أسد

انى رأيتكم يعصى كبيركم * وتجمعون الى ذى الفجرة النكد

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفا كم من الاضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه رفعا كأن مقاولة الشريف للئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذ أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك العتب حين تقاوله

اضد ذلك كله

(فصل منه) وليس ينتفع الناس بالكلام فى الاخبار الا مع الصادق ولا صادق الا مع كثرة السماع والعلم بالاصول لان رجلا لو نازع فى الاخبار وفى الوعد والوعيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والفريضة والنافلة والسنة والشريعة والاجماع والفرقة ثم حسنت نيته وناصح عن نفسه لما عرف حقائق باطل دون ان يكون قد

واست كمن يرضى بما غيره الرضا * ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وستسمع في هذا المعنى ان شاء الله وفي هذا الشعر بيت يقدم في باب القتل وهو

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

(وقل للفؤاد ان نزى بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا وبعضهم تنبي عن ذلك وامتنع قوم عيا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسب سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجاني * ملت على الأغطش او أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلت من أعراضهم كفاني * وان سكت عرفوا احساني

وقال أحد المحدثين اني اذا اهر كلاب الحي قلت له * اسلم ورب المخنوق على الجرر

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر في الشتاء وليدها * القدر ينزلها بغير جعال

الجعال الذي يوضع فيه البرمة وربما توقيت به حرارتها قال الراجز

لا نسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفي مثل اختيار النبيل لمتكافئ الأعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غني ولا جسر

ولا جشم شر القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببني ذبيان بلت رماحنا * لقرت بهم عيني وباء بهم وترى

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي

أليس من الكبائر ان وغدا * لآل معذل يهجو سدوسا

هجاعرضا لهم غضا جديدا * وأهدف عرض والده اللبيسا

عرف الوجوه وجمع الجمل وعرف الموازنة وما كان في الطبائع وما يمتنع فيها وكيف أيضا يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق واعلم ان من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف والنفس عزوف فما عودتها من شيء جرت عليه والمخبر الى تقوية قلبه وردفونه عليه وافهامه موضع رأيه وتوفيقه على الأمر الذي أشغل صدره

وقال

وقال آخر

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالدهِ * واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدا

قومٌ اذا جرَّ جاني قومهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

اللؤم داءٌ لوبرٍ يقتلون به * لا يقتلون بداءٍ غيره أبدا

قال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاء فدقَّ عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليلُ

فاذهب فأنت عتيق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليلُ

وقال آخر

نُبِّئتُ كلباً هاب رميي له * يُنبحني من موضع نائي

لو كنت من شيء هجوناك أو * لو نلت الشاتم والرائي

فاقعد عن شتمي فاني امرؤ * حلمي قليلة أكفاني

وقال آخر (هو دعبل)

فلو أني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالي فانظري بمن ابتلاني

ووقف رجل عليه مقطعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الاهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهاميه ويقول يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الأحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الأحنف القيام للغداء فأقبل على الرجل فقال له يا هذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال والثقال من الابل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث وعدت على الاحنف سقطة في هذا الباب وهو أن عمرو بن الأهتم دسَّ اليه رجلا ليسفه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففطن الاحنف انه من قبل عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها ويقري ولم يك أهتم سلاعا وجعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن في موضع مرضي فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال أردت أن أعرف أم الأمير فقال نعم كانت من عنزة ثم من بني جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ما جعل لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أي رجل أنت لولا أمك

أحوج منه الى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله والمجيء الذي لا يكذب مثله وستتكلف من علاج دائه وترتيب افهامه ان أعان على نفسه بما لا يبقى سببا للشك ولا علة للضعف والله تعالى المعين على ذلك والمحمود عليه (فصل منه) ومتى سمعنا نبي الله عليه السلام اتكل على عدالة وعلى معرفة قومه بقديم طهارته وقلة كذبه دون ان جاءهم بالعلامات

قال فانى أحمد الله اليك انى فكرت فى هذه البارحة فأقبلت أنقاها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس على بال ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى قالوا أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وامى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه واغا نذكر من الشئ وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين وأعرض عنه فقال له الزبيرى ما يمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجل وقد روى قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى • فأجوز ثم أقول لا يعنينى

وقال رجل لرجل يسبه فلم يلتفت اليه اياك أعنى فقال له الرجل وعنك أعرض فأما قول الشعبى للرجل ما قال فى غير هذا الباب فاعا نخرجه للدلالة وذلك أن رجلا سب الشعبى بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبى ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال أبو العباس قال رجل لابى بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لى الحسن بن على بن أبى طالب فامتلأت له بغضا فسرت اليه فقلت أنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسى منه فانطلقت وما أجد على وجه الأرض أحب الى منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها ان تبدلت • هلال بن قعقاع ببشر بن غالب

وماهى الا كالعروس تنقلت • على رغمها من هاشم فى محارب

وقال الفرزدق حين ولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى بعقب مسلمة بن عبد الملك

والبرهانات ولعمرى لولم نجد الحافظ ينسى والصادق يكذب والمؤمن يبدل لقد كان ماذهبوا اليه وجها

(فصل منه فى ذكر دلائل النبى صلى الله عليه وسلم) وباب آخر يعرف به صدقه وهو اخباره عما يكون واخباره عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ولدعائه المستجاب الذى لا تأخير فيه ولا خلف له وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين اتى من قريش

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لاهناك المرتع

ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع

ذارى الأمور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع

عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع

فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجا عمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت بر * أمين لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريا أحذ يد القميص

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذه من طبع السيف يقال طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى يغطي عليه والمثل من هذا في الذي طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

والعرب ما تلقى من شدة أذاهم له وتكذيبهم اياه واستعانتهم عليه بالاموال والرجال دعا الله عز وجل ان يجدب بلادهم وان يدخل الفقر في بيوتهم فقال صلى الله عليه وآله اللهم سنين كسني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مضر فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع وماتت المواشي وحتى اشتووا القد والعلهز فعند ذلك وفد حاجب بن

وقال بعضهم أراد في النفاف من الظلمة وقال آخرون أراد في يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون في الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون في القوافي لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنة قال الراجز

بُنَيّ ان البرّ شيءٌ هَيِّنُ ٭ المَنطِقُ اللَّيِّنُ والطُعَيِّمُ

وقال آخر ماتنقم الحربُ العَوانُ مني ٭ بازلُ عامَينِ حديثٌ سِنّي

٭ لمثل هذا ولدتني أمّي ٭

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلةُ والفُراتُ وقوله أحذ يد القميص الأحذ الخفيف قال طرفة ٭ وأتلع نهّاض أحذُّ مُلَملَمُ ٭ وانما نسبه بالخفة في يده الى السرق وقوله تفهق أي امتلاء ماء يقال بئرٌ تَفهَقُ وغديرٌ يَفهَقُ اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا ذنب لي قد قلتُ للقوم استقوا ٭ والقومُ في عُرضِ غديرٍ يَفهَقُ

وقال الاعشى في مدحه المُحَلَّقَ بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب

نفى الذمّ عن رهط المُحَلَّقِ جَفنةٌ ٭ كجابيةِ الشيخِ العراقيّ تَفهَقُ

هكذا رواية أبي عبيدة وقوله

ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ٭ ليأمَنَه على وركي قَلوص

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمَنَنّ فزاريًّا خلوتَ به ٭ على قَلوصكَ واكتُبها بأسيار

فلما عُزِلَ ابن هُبَيرَةَ وحبسه خالد بن عبد الله القسريّ قال الفرزدق

لعمري لئن نابت فزارةَ نَوبَةٌ ٭ لمن حَدَثِ الايام تحسبها قَسْرُ

لقد حَبَسَ القسريُّ في سجن واسطٍ ٭ فتًى شيظَميًّا ما ينهنهُهُ الزجرُ

فتًى لم تُرَبِّبهُ النصارى ولم يكن ٭ غذاءً له لحمُ الخنازير والخمرُ

الشيظميّ الطويل قال ذو الرمة

اذا مار منّا رميةً في مفازةٍ ٭ عراقيبها بالشيظميّ المَواشِكُ

يريد حاديًا يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يحرّكه وقوله فتى لم تربّبه النصارى يُنبِّه به على

زرارة على كسرى يشكو اليه الجهد والأزل ويستأذنه في رعي السواد وهو حين ضمنه عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الازل وبلغت الجهد مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها عاد بفضله صلى الله عليه وسلم على الذي بدأهم به فسأله ربه الخصب وادرار الغيث فأتاهم منه ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه في ذلك فقال اللهم حوالينا

أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها فى يوم عيد للروم فاولدها خالدا وأسدا ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تمادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بان الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها النصارى لأمه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال

عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا

بنى بيعة فيها الصليب لامه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الانصار وهو

ليتنى فى المؤذنين حياتى * انهم يبصرون من فى السطوح

فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روى من عتوه أنه استغنى من بيعة بناها لامه فقال للامين المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له السجن وهرب وسار تحت الأرض هو وابنه حتى نفذا

لما رأيت الأرض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا

دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا

خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قوله حيث أدلجا تقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره فى السحر قال زهير

بكرن بكورا وادّلجن بسحرة * فهن لوادى الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغنى وقالوا كان لبنى كلاب ولا ينكر هذا الان حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت بنى جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بنى جعفر بن كلاب من غنى والعرب تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب واليحموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى * تخب نزائعا خبب الذئاب

ولا علينا فأمطر الله عز وجل ماحولهم وأمسك عنهم وكتب الى كسرى يدعوه الى نجاته وتخليصه من كفره فبدأ باسمه على اسمه فأنف من ذلك كسرى لشقوته وأمر بتمزيق الكتاب فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال اللهم مزق ملكه كل ممزق فمزق الله جل وعز ملكه وجذ أصله وقطع دابره لان كل ملك فى الأرض وان كان قد أخرج من معظم ملكه فهو مقيم على بقية منه

جلبنا كلّ طرف أعوجي * وسلهبة تكافيه العقاب

ثم رجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس فى طول الليل

كأن الثريا علقت فى مصامها * بأمراس كتان الى صم جندل

فهذا فى ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فدعها وسل الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والامراس جمع مرس وهو الحبل قال ابو زبيد يرثى غلامه وتعرض للحرب فقتل

اما تعلق بك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

وقال فى ثبات الليل فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرت الحبل اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأن أبانا فى أفانين ودقه * كبير أناس فى بجاد مزمل

أبان جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الابيض قال مهلهل وكان نزل فى آخر حربهم حرب البسوس فى جنب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك وهو مذحج وجنب حى من أحيائهم وضيع فخطبت ابنته ومهرت أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

وقوله فى أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والودق المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائى

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وقوله كبير أناس فى بجاد مزمل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا وهو المتزمل والتاء مدغمة فى الزاى وانما وصف امرؤ القيس الغيث فقال قوم أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطر

وذلك ان الاسلام لم يترك ملكا بحيث تناله الحوافر والاخفاف والاقدام الا أزاله عنه وأخرجه منه الى عقاب يعتصم بها ومعاقل يأوى اليها أو طرده الى خليج منيع لا يقطعه الا السفن فهم من بين هارب قد دخل فى وجار واختفى فى غيضة أو مقيم على فم شعب ورأس مضيق قد سخت نفسه عن كل سهل وأسلم كل مرج أو ملك لا قرار له وليس بذى مدر فيوتى وانما أصحابه اكراد

من خضرة النبت وكلاهما حسنٌ وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيما

أقبلَ فى المُستَنّ من رَبابه * أسنمةَ الآبال فى سَحابه

أراد أن ذلك السحاب يُنبتُ ما تأكله الابل فتصير شحوما فى أسنمتها والرباب سحاب دُونَ المُعظم من السحاب قال المازنىّ كأنّ الربابَ دُوَينَ السحاب * نَعامٌ تَعلَّقُ بالأرجُلِ

وقوله جل وعز انى أرانى أعصر خمرا أى أعصر عنبا فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأنّ فُتاتَ العِهنِ فى كل منزلٍ * نَزَلنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

الفنا شجر بعينه يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهنُ الصوف الملوّنُ فى قول أكثر أهل اللغة وأما الأصمعى فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحنتمُ الخزفُ الاخضر وقال الأصمعى كل خزف حنتم قال القرشى

مَن مُبلغُ الحسناءِ أن حليلَها * بمَيسانَ يُسقَى فى زجاجٍ وحَنتَمِ

وقال جرير

مافى مَقام ديار تغلبَ مسجدٌ * وبها كنائسُ حَنتَمٍ ودِنانِ

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يُبعِد قال الله عز وجل وله المَثَلُ الأعلى فى الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرّىٌّ وقال طَلعُها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال انما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويلُهُ وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الأستَنُ منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذى ذكره النابغة فى قوله * تحيدُ من أستَنٍ سُودٍ أسافلُهُ * وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصَّوْمَ والقول الآخر وهو الذى يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنّع صورة الشياطين فى قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مَثَّلَ هذه الشجرة بما تنفرُ منه كل نفس وحُدِّثتُ فى اسناد متصل أن أبا النجم العجلىّ أنشد هشام بن عبد الملك

* والشمس قد صارتْ كعينِ الأحوَلِ * لما ذهب به الروىُّ عن الفكر فى عين هشام فأغضبه فأمَرَ بطرده فأمّلَ أبو النجم رجعتَهُ وكان يأوى المساجد فأرقَ هشامٌ ليلةً فقال لحاجبه ابغنى رجلا عربيًّا فصيحا يحادثنى ويُنشدُنى فطُلبَ له ما طَلَبَ فوقف على أبى النجم فأتَى فلما دُخلَ به اليه قال

يطلبون النجعة أو كوارج يطلبون الغرة فاما ان يكون ملك يصهرهم ويقيم بازائهم ويغاديهم الحرب ويعديهم ويساجلهم الظفر ويناهضهم كما كانت ملوك الطوائف وكالذى كان بين فارس والروم فلا وذلك لقوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الى قوله عز ذكره ولو كره المشركون فلم يرض ان أظهر دينه حتى جعل أهله الغالبين

أين تكون منذ اليوم قال بحيث ألفتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له ما لك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ما هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال

* فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتم اذ تلتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس أتوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبي الحماة وابهتي عليها

بالقدرة والظاهرين بالمنعة والاخذين الاتاوة وكتب كسرى الى فيروز ابن الديلمي وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن ان احمل الى هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي واجترأ علي ودعاني الى غير ديني فأتاه فيروز فقال ان ربي أمرني ان أحملك اليه فقال صلى الله عليه وآله ان ربي خبرني انه قد قتل ربك البارحة فامسك على ريث ما يأتيك الخبر فان تبين لك صدقي والا فأنت على

انما

انما بريدا جئتها او وضع ابهى فى موضع اكذبى فمن ثم وصلها بعلى والذى يستعمل فى صلة الفعل
اللام لانه لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو اكرمت والمعنى عمرا اكرمت فانما تقديره اكرامى
لعمرو وضربى لزيد فاجرى الفعل مجرى المصدر واحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل
انما يجئ وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان اخر المفعول فعربى حسن
والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان اكون اول المسلمين والنحويون
يقولون فى قوله جل ثناؤه قل عسى ان يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

اريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع قال الله جل ذكره
ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على ولكن الجذوع اذا احاطت دخلت فى لانها للوعاء يقال
فلان فى النخل اى قد احاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا باجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه اى عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين يديه ومن
خلفه يحفظونه من امر الله اى بامر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه تنفض الطل بعدما * رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر غدت من عليه بعدما تم ظمؤها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

اى من عنده وقال العامرى

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله اعجبنى رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان ابت فازدلفى اليها يقول تقربى ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الاين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكتاب خبرا والحماة شرا كلام معيب عند
النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك انه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال
ضربت زيدا فى الدار والحجرة عمرا وكان ابو الحسن الاخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار
وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف

أمرك فراع ذلك فيروز وهاله وكره الاقدام عليه والاستخفاف به فاذا الخبر قد أتاه ان شيرويه قد وثب عليه فى تلك الليلة فقتله فأسلم وأخلص ودعا من معه من بقية الفرس الى الله عز ذكره فأسلموا

((فصل منه فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم))

ثم ان الذى تقدمه صلى الله عليه وآله من البشارات فى الكتب المتقادمة فى الازمان المتباعدة والبلدان

على انّ وعلى فى وقال عدىّ بن زيد

أكلّ امرئ تحسبين امرأ * ونار توقّدُ بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعد ما تمّ خمسها فالخمس ظِمْءٌ من أظمائها وهو أن تردَ ثم تُغِبَّ ثلاثاً ثم تردَ فيمتنعُ يومين فى ردها مع ظِمئها فيقال خمس والربع كحُمّى الربع وقوله تَصِلُّ أى تسمع لاجوافها صليلاً من يبس العطش يقال المسمار يَصِلُّ فى الباب اذا أكره فيه قال جرير يخاطب الزبير عرّض به فى هجائه الفرزدق

لو كنت حين غُررت بين بيوتنا * لسمعت من وقع الحديد صليلا

ويقال للحمار المُصَلْصِل اذا أخرج صوته من جوفه حاداً خفيفاً قال الأعشى

عنتريس تعدو اذا حرّك السو * ط كعدو المصلصل الجوّال

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل من صلصال من حمأ مسنون قالوا هو الطين الذى قد جفّ فاذا قرعه شىء كان له صليل وتفسير ذلك عند العرب التقن الذى يذهب عنه الماء فى الغدران فينشقق ثم ييبس والقيض قشر البيضة الاعلى والذى يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الغرقئ يقال ثوب كأنه غرقئ بيض والزيزاء ما ارتفع من الأرض وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة اذا كان المذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مفسرا ان شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه فى الكتاب المقتضب والمجهل الصحراء التى يجهل فيها فلا يهتدى لسبيلها ويقال للشىء اذا غاب وتغيرت رائحته صلَّ وأصلَّ فهو صالٌّ ومُصِلٌّ ويقال نتن وأنتن ويقال خمّ وأخمّ وذلك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا عتق اللحم فتغير خنز وخزن وبيت طرفة أحسن ما ينشد عليه

ثم لا يخزن فينا لحمها * انما يخزن لحم المدّخر

ويقال لرب البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هى أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أم مثوى كريم قد نزلت بها * انّ الكريم على علاته يسع

وفى كتاب الله جل وعز أكرمى مثواه معناه عند العرب اضافته ومن التشبيه المطرد على ألسنة العرب ما ذكروا فى سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

الموجودة بكل مكان على شدة عداوة أهلها وتعصب حامليها ومع قوة حسدهم وشدة بغيهم وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم على انهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم وكل الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم وآبائهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام وتعنتوا رسلهم صلى الله عليهم حتى خلاهم الله عز وجل من يده وأفقدهم عصمته وتوفيقه ولم استدل على ذكره فى التوراة

كأنها ليلة غب الازرق * وقد مددنا باعها للسوق * خرقاء بين السلمين ترتقى

قوله ليلة غب الازرق انما يعنى موضعا واحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهى الصافية قال

زهير فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم

وقال آخر فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا

مدت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقى يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود وقال

الآخر كأنها نائحة تفجع * تبكى لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتى ومنصبى أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدى مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها

الذى به تدل ومنصبها المتصل عن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هى مدلة

بجمالها فلا تختمر وتستتر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها وقد كشف هذا

المعنى عمر بن أبى ربيعة المخزومى حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفننى * وقلن امرؤ باغ أكل فأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تستطع نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

والانجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به فى الكتب الا لأنك متى وجدت النصرانى واليهودى يسلم بأرض الشام وجدته يحتل بأمور ويحتج بأشياء مثل الامور التى يحتج بها من أسلم بالعراق وكذلك من أسلم بالحجاز ومن أسلم من اليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر وكيف يتلاقون ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ولو كانوا كذلك لظهر

كأنّ كحيلاً معقداً أو عنيّةً * على رجع ذفراها من الليت واكفُ

(الكحيل القطرانُ والعنية ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى في أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو وكأنّ كحيلاً معقداً أو عنيةً واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك موضع دجلة من بغداد انما هو للحد بينهما الا أنه وكف من شيء على شيء وأما قوله

كأنّ ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهي لا تستقر وقال أوس ابن حجر كأن هراً جنيباً تحت غرضتها * والتفّ ديكٌ بحقويها وخنزير

والغرضُ والغرضةُ واحد وهو حزام الرحل وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بذيّة * مفجّعة لاقت خلائل عن عفر

سمعن لها واستفرغت في حديثها * فلاشيءَ يفري باليدين كما تفري

(قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المعذّل وأنشدنيهما سعيد بن سلم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان ذلك بعيداً وصفها بأنها بذية وقد فُجعت بما أسمعت ونيل منها ولقيت خلائلها بعد زمان وذلك الشكوى كامنة فيها وأصغين اليها يسمعن والفري الشق يقال فريت أوداجه أي قطع وفريت الأديم واذا قلت أفريت فمعناه أصلحت وقول الحجاج اني والله ما أهمّ الا مضيتُ ولا أخلقُ الا فريتُ يقول اذا قدّرت قطعت يقال فريت القربةَ والمزادةَ فهما مفريّتان قال ذو الرمة * كأنه من كلى مفريّةٍ سرب * وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلُها خذفُ أعسرا

كأن صليل المرو حين تشذّه * صليلُ زيوفٍ ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه وقال آخر كأن يديها يدا ماتح * أتى يوم وردٍ لغبّ زرودا

يخاف العقاب وفي نفسه * اذا هو أنهل ألا يعودا

يقول هذا الساقي يخاف العقاب ان قصّر ولا عودة له اليه ثانية فهي تسقى سقية في مرة واحدة

ذلك ولم يتشكنم كما حكينا قبل هذا ولو قابلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الالفاظ واختلاف المعاني لوجدتها متساوية

(فصل منه) فان قال قائل لم كانت أعلام موسى عليه السلام في كثرتها مع غي بني اسرائيل ونقصان أحلام القبط في وزن أعلام محمد صلى الله عليه وسلم وفي قدرها مع أحلام قريش وعقول العرب ومتى أحببت أن تعرف

وقد أكثروا في هذا فن الافراط في السرعة قول ذي الرمة

كأنه كوكب في إثر عفرية * مسوّم في سواد الليل منقضب .

يقال عفريت وعفرية في معنى واحد والتاء في عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان

(عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال)

عفرية نفرية على التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفارية ولم يتبع بنفارية) ومن

الافراط قول الحطيئة · وان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر مروح برجليها اذا هي هجرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ مروح تغتلي في البيد حرف * تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الاعرابي الذي يقول * لو ترسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح ما قيل في هذا

المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

جعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له أعرابي أتحب أن تكون لك

قال نعم قال فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص في إثرها فجدّت وجدّ حتى

أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول .

وهي على البعد تلوي خدها * تريغ شدي وأريغ شدها * كيف ترى عدو غلام ردها

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ في صفة

الفرس مفج الحوامي عن نسور كأنها * نوى القسب ترّت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامي يريد مفرق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور واحدها نسر وهي نكتة

غى بني اسرائيل ونقص
أحلام القبط ورجحان
عقول العرب وأحلام كنانة
فانظر بواديهم ورباعهم
وانظر الى بنيهم وبقاياهم
كما نظرت الى بني
اسرائيل من اليهود
وغى بني من مضى من
القبط تعتبر ذلك وتعرف
ما أقول ثم انظر في الاشعار
الصحيحة والخطب
المعروفة والامثال
المضروبة والالفاظ
المشهورة والمعاني
المذكورة مما نقلته
الجماعات عن الجماعات
وكلام العرب ومعانيهم
في الجاهلية ثم تفقد
وسل أهل العلم والخبرة
عن بني اسرائيل فان

فى داخل الحافر ويُحمَد الفرس اذا صَلُبَ ذلك منه ولذلك شُبِّه بنوى القسب وترٌّ سقطت والجريم المصرّوم والملجاج الذى قد لُجلج مضغاً فى الفم ثم قُذف لصلابته وقوله مفح ليس يريد الذى هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النسر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرحّ وهو مذموم فى الخيل وكذلك ان ضاق وصغر قيل له مُصطَرٌّ وكان عيبا فيها قال حُمَيد الارقط

لا رَحٌ فيها ولا اصطرارُ * ولم يُقَلِّم أرضها البيطار

(* ولا لحبليه بها حبارُ *

الحبار الاثر) ويروى ولم يُقلَّب وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شئ بعد شئ فحفها وقال علقمة بن عبدة

لا فى شظاها ولا أرساغها عنتٌ * ولا السنابك أفناهن تقليم

وانما يُحمَد الحافر المُقعَّب وهو الذى هيئته كهيئة القعب وان كان كذلك قيل حافر وأبٌ قال ابن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليـ * ـد يتخذ الفأر فيه مغارا

يريد لو دخل الفأر فيه أصلح كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرة أى لو قعد عليها عشرة أصلح وقال الراجز * وأب حمت نسوره الاوقارا * (يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرهصة) وفى كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومقدمه السنبك ومؤخره الدابرة ومثل قوله عن جريم ملجاج قول علقمة بن عبدة

سُلاءة كعصا النهدى غُلّ بها * ذو فيئة من نوى قُرّان معجوم

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يحمد منها أن يدق صدرها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحصان يحمد منه أن يعرض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضمورا فيقال فى صفته كأنه جَلَم وقوله كعصا النهدى يريد فى الصلابة قال * وكل كميت كالهراوة صلدم * وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رجعة يقول مضغته الابل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا ومعجم ممضوغ يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شئ العجم متحرك العين قال الاعشى

* وجذعانها كلقيط العجم * وقال النابغة

وظل يعجم أعلى الروق منقبضا * فى حالك اللون صدق غير ذى أود

وجدت لهم مثلا سائرا كما تسمع للقبط والفرس فضلا عن العرب فقد أبطلنا فهما قلنا وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف وينشئ عدة أمثال كل واحد منها ركن يبنى عليه وأصل يتفرع منه أو هل تسمع لهم بكلام شريف أو معنى يستحسنه أهل التجربة وأصحاب التدبير والسياسة أو حكم أو حكمة أو حذق فى صناعة مع ترادف الملك فيهم وتظاهر الرسالة فى رجالهم وكيف لا نقضى عليهم بالغى والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان فى المبدأ ولا ممن كان فى

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبري

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشماخ)

كأن المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمى به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شئ حده فأراد شرخي الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفي الحديث اقتلوا مسان المشركين واستبقوا شرخهم أي الشباب لان الشرخ الحد قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسود * ما لم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب في هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيض * وشيب القذال شئ زهيد

فأما قول الشنفرى كأن لها في الأرض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيئا في الأرض والنسي على ضربين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لاخته قصيه أي اتبعي أثره والأم القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الاعمى قول كثير

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال فقال الله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا الا قال كما قلت وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

المحضر ولا من قاطن السواد ولا من نازلي الشام ثم انظر الى أولادهم مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا اهل غير ذلك من أخلافهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم وليس النصارى كاليهود لان اليهود كلهم من بني اسرائيل الا القليل وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم لان منا كحهم مقصورة فيهم ومحبوسة عليهم قصورا ولهم موداة الى آخره وعقول أسلافهم مردودة على أخلافهم ثم اعتبر بقولهم لنبيهم

الابن الاعياء والنجد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بمنخرق من بطن واد كأنما * تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بعندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو خالد عينين العبدي

كم عمة لك يا خليد وخالة * خضر نواجذها من الكراث

نبتت عينيه فطاب لريحها * ونأت عن القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الأحساء وطيب ترابها * وركالها غادٍ علينا ورائح

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البري وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاء صحوتها وصفـ ـراء العشية كالعراره

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أي بعد دخولنا في الليل وأنشد أبو زيد

هبت تلومك بعد وهن في الندى * بسل عليك ملامتي وعتابي

والمندل العود يقال له المندل والمندلي قال الشاعر

أمن زينب ذي النار * قبيل الصبح ما تخبو

اذا ما خمدت يلقى * عليها المندل الرطب

قال أبو العباس ذي معناه ذه يقال ذا عبد الله وذي أمة الله وذه أمة الله وته أمة الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذي أمة الله وان شئت أسكنت في الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهي أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت في لفظ

عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها وككفرهم أرنا الله جهرة وكعكوفهم على عجل صنع من حليهم يعبدونه من دون الله بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم وكقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فكان الذي جاء به موسى عليه السلام مع نقص بني اسرائيل والقبط مثل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع رجحان قريش والعرب وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبد كوعيد موسى

المضمر شبيه وهابه فى زيادة الياء نحو مررت بهى يا فتى لا يجوز أن تضم الهاء فى هذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يا فتى ورأيتهم يا فتى وهذه الهاء ليست من هذه اغا هى مشبهة وتقول هاته هند وهاتى هند وهاتا هند على زيادة ها التنبيه قال جرير

هذى التى جدعت تيما معاطسها * ثم اقعدى بعدها يا تيم أو قومى

وقال عمران بن حطان وليس لعيشنا هذا مهاه * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء فى الوصل فيقولون مهاه وتقديره فعال ومعناه اللمع والبهاء يقال وجه له مهاه يا فتى والأصمعى يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة وتقديرها فى قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام رب رحيم * بمهاة ضياؤها منشور)

فاذا صغرت ذه قلت تيا كأنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لانك اذا صغرت ذا قلت ذيا فلو صغرت ذى فقلت ذيا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك فى باب نفرده له ان شاء الله تعالى ۞ عاد القول الى التشبيه أنشدتنى أم الهيثم فى صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطاف على كلابه

أرادت الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ما تدور عليه البكرة والكلاب ما وليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدرك وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذى قد ركب بعضه بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب قال ذو الرمة

كأن على أنيابها كل سدفة * صياح البوازى من صريف اللوائك

يقول مما تلوكه ويقال فى الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرق ويحرق ورأيته يعض

بنى اسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم والهم على أفئدتهم وتسليط الموتان على ماشيتهم وباخراجهم من ديارهم وان يظفر بهم عدوهم فكان تعجيل العذاب الأدنى فى استدعائهم واستمالتهم وردعهم عما يريدهم وتعديل طباعهم كتأخير العذاب الشديد على غيرهم لان الشديد المؤخر لا يزجر الا أصحاب النظر فى العواقب وأصحاب العقول التى تذهب فى المذاهب فسهان من خالف بين طباعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم

عليك الأُرَّم قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة (بن بدر الفزاري)

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

وقال آخر نبئت أحماء سلمى أنما * ظلوا غضابا يعلكون الأرما

وقال بعض النحويين يعني الشفاه وقال بعضهم يعني الأصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخران يكون للاطراق والتشدد ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضوا على النواجذ فان ذلك ينبي السيوف عن الهام ● ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباس * جنية في رأسها أمراس

بها سكون وبها شماس * يخرج منها الحجر الكباس

عزّ لا يحبسه حباس * لا نافذ الطعن ولا ترّاس

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مرسة والكباس الضخم يقال هامة كبساء يافتى ورأس اكبس والحباس الذي من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذي يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضرّاب وقتّال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضر من معدن ذي قساس * كأنه في الحيد ذي الأضراس

* يرمى به في البلد الدهاس *

يصف معولا وذو قساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بني أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غيرذلك يقال للطنف حيد وهو الذي يسميه أهل الحضر الافريز يقال طنف حائطك ويقال للناتئ وسط الكتف حيد وعير وكذا الناتئ في القدم وقوله ذي الأضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع في الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس ما لان من الرمل قال دريد بن الصمة في يوم حنين ابن مجتلد القوم فقالوا بأوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا لين دهس وقال العجاج يصف حمارا

كأن فيه اذا ما شحجا * عودا دُوَين اللهوات مولجا

في دنياهم ومن اشدهم في دينهم مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها في العقل موقع كموقع فلق الصبح من العين وذلك قوله اقريش خاصة وللعرب عامة مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والحلماء وأصحاب الرأي والمكيدة والتجارب والنظر في العاقبة ان عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي وصدقتم في تكذيبي ولا يجوز ان يكون مثل العرب في كثرة عددهم واختلاف عللهم الكلام كلامهم وهو سيد عملهم قد فاض بيانهم وجاشت

هذا يوصف به العير الوحشى اذا أسن تراه لا يشتد نهيقه وكأنه يعالجه علاجا قال الشماخ

اذا رجع التعشير عجا كأنه * بناجذه من خلف قارحه شجى

فأما قول عنترة   بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فانما شبهه بالزمير وأراد القصب الذى يزمر به قال الأصمعى هو الذى يقال له بالفارسية ناى قال الراعى يصف الحادى

زجل الحداء كأن فى حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

المقنع الرافع رأسه فى هذا الموضع ويقال فى غيره الذى يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مقنعى رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بعد يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كأشد الحنين الى الآفه اذا أخذ من القطيع قال وأكثر ما يحن عنده العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بين الجميع لنية * لابد أن يتفرق الجيران)

لا تصبر الابل الجلاد تفرقت * بين الجميع ويصبر الانسان

وقال آخر   وهل ريبة فى أن تحن نجيبة * الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح البروق وقال عوف بن محلم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر * وغصنك ميال ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شىء فاننى * بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكى والفؤاد قريح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسى والقمرى والورشان وما أشبه ذلك قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشة * أو النخل من تثليث أو بيلملما

مطوقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

به صدورهم وغلبتهم
قومهم عليه عند أنفسهم
حتى قالوا فى الحيات
والعقارب والذئاب
والكلاب والخنافس
والجعلان والحبر والحمام
وكلما دب ودرج ولاح
لعين وخطر على قلب
ولهم بعد أصناف النظم
وضروب التأليف
كالقصيد والرجز والمزدوج
والمجانس والاسماع
والمنثور وبعد فقد
هجوه من كل جانب
وهاجى أصحابه شعراءهم
ونازعوا خطباءهم
وحاجوه فى المواقف
وخاصموه فى المواسم
وبادروه العداوة
وناصبوه الحرب فقتل

تغنّت على غصن عشاءً فلم تدع ● لنائحة في شجوها متلوّما

اذا حركته الريح أومال ميلة ● تغنت عليه مائلا ومقوّما

عجبت لها أنّى يكون غناؤها ● فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما

فلم أرمثلى شاقه صوت مثلها ● ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجانى أننى كنت نائما ● أعلل من برد الكرى بالتنسم

الى أن بكت ورقاء فى غصن أيكة ● تردد مبكاها بحسن الترنم)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ● بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهاج لى البكا ● بكاها فقلت الفضل للمتقدم

اما قول حميد عن ساق حر فانما حكى صوتها او يقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والأنثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثور أو ديك بينت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير ويقال الحمامة تغنت وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا قال قيس بن معاذ

ولولم يشفنى الظاعنون لشاقنى ● حمائم ورق فى الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى ● نوائح ما تجرى لهن دموع

وقوله وانجال الريح يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشق يقال المجوب الحديدة التى ينقب بها العسيب ويقال جبت البلاد أى دخلتها وطوفتها وفى القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من تميمة التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله ولم تفغر بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغر فاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها او استحزنته فحننت له ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير

منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا واذكرهم لخير او لشر وأنفاهم له وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة ثم لا يعارضه معارض ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر ومحال فى التعارف ومستنكر فى التصادق ان يكون الكلام أخصر عندهم وأيسر مؤنة عليهم وهو أبلغ فى تكذيبهم وأنقض لقوله وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به وهم يبذلون مهجهم وأموالهم ويخرجون من ديارهم فى اطفاء أمره

ماقصدت له وحُدِّثتُ أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ماهو غير أنه شوّقه لشجاه وحسنه فقال في ذلك حمدتُ لليلة شرفت وطابت * أقام سهادها ومضى كراها

سمعتُ بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسي من غناها

الغناء الأول الممدود من الصوت والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور

ومسمعة يحار السمع فيها * ولا تصممه لا يصمم صداها

مررتُ أوتارها فشفت وشاقت * فلو يسطيع حاسدها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن * ورتْ كبدي فلم أجهل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنّى * بحب الغانيات وما يراها

(وقال عبد بني الحسحاس

وراهن ربي مثل ما قد ورينني * وأحمى على أكبادهن المكاويا)

قال أبو العباس والشيء يذكر بالشيء وان كان دونه فيجري لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفي شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأحرى ان يتمثل به الأشراف وتسوّد به الصحف وهو قوله

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء ۞ ثم نرجع الى التشبيه والعرب تشبه على أربعة أضرب فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قول بعضهم (وهو بكر بن النطاح بقوله لابي دلف القاسم بن عيسى)

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر صار البر أندى من البحر

ولو أن خلق الله في مسك فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

وقد قيل ان امرأة عمران بن حطان قالت له أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط قال أو فعلت قالت

وفي توهين ماجاء به ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم والحيلة في أمره يسيرة والمأخذ في أمره قريب ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما في نظم كلامه كأقصر سورة يتحداكم بها وكأصغر آية دعاكم الى معارضتها بل لو نسوا ما تركهم حتى يذكرهم ولو تغافلوا ماترك ان ينبههم بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف فدل ذلك العاقل على ان أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد

أنت القائل فهناك مجزأة بن ثو * ركان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه فى افراط غير أنه خرج فى كلام جيد وعنى به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه فى غاية ما يستحسن قول النابغة يعنى حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزارى)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والأديم صحيح

فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندى الحى وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبى الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلا يختال فى أزرق فى يوم قرّ فى مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشى الخيزلى ويدفئنى حسبى وقيل لآخر فى هذه الحال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكنى أذكر حسبى فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذى سئل فى يوم قرها بجد فقال ما على منه كبير مؤنة وقيل وكيف فقال دام بى العرى فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدننى * كما تعترى الأوصاب رأس المطلق

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله * تطلقه طورا وطورا تراجع * وذلك أن المنهوش اذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه واغا ذكر خوفه من النعمان

أمرين اما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الاضراب عن ذكره والتغافل عنه فى هذا الباب وان قرعهم به أمثل لهم فى التدبير واجدر ان لا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف واجدران يجدوا الى الدعوى سبيلا والى اختداع الانبياء سببا فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه وهو قوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهل يذعن الاعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز والتوقيف على

وما يعتريه من لوعة في إثر لوعة والفترة بينهما والخائف لا ينام الا غرارا فلذلك شبهه بالملدوغ المسهد وقوله لحلي النساء في يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حلي النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تقعقعها فيمنعه النوم فلا ينام فيدب فيه السم ويسهد لذلك وقال الآخر

كأن فجاج الأرض وهي عريضة ٭ على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤتي اليه أن كل ثنية ٭ تيممها ترمي اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كفة يقال كفة الثوب لحاشيته وكفة الحابل اذا كانت مستطيلة ويقال لكل شيء مستدير كفة ويقال ضعه في كفة الميزان فهذه جملة هذا وكفة الحابل يعني صاحب الحبالة التي ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتني أخت جيراننا ٭ اذ أنا في الدار كأني حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا المبين الواضح كمثل الحمار يحمل أسفارا والسفر الكتاب وقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار في أنهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته فقال

زوامل للاشعار لا علم عندهم ٭ بجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ٭ بأوساقه أو راح ما في الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية والانف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان في غرزه كأنهما جمارتان فأردته فوقعت في مقنب من خيل الانصار فقرعوني بالرماح وقالوا أين تريد وقال كعب بن مالك الانصاري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور

النقص ثم لا يبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وأطلبه بطائلة وقد سمعوه في كل منهل وموقف والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغات فمن كان شاهدا فقد سمعه ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده واما ان يكون غير ذلك ولا يجوز ان يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها الا انه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم وبعد هممهم وشدة عداوتهم الاطباق على بذل الكثير وصون

وشعرهم المنظوم من جارى ما تكلمت به العرب وكثر فى أشعارها قال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

(وقال ذو الرمة

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى * مشابه جنبت اعتلاق الحبائل

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولونك الا انها غير عاطل)

وقال الآخر فلم تر عينى مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ * ـجآذر وامتدت بهن الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مبرد فهذا الجارى فى الكلام كما يقال للطويل كأنه رمح ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارح ومن مليح التشبيه قول القائل

لعينيك يوم البين أسرع واكفا * من الفنن الممطور وهو مروح

وذلك أن الغصن يقع المطر فى ورقه فيصير منها فى مثل المداهن فاذا هبت به الريح لم تلبث ان تقطره ۞ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم فقد شرطناه فى أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها لاتساعه فى القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال فى مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائن الجد غره * سنى برق غاو وصيبح رعاد

تردى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضى الظبى أزهاه طول نجاد

أمام خميس أرجوان كأنه * قميص محوك من قنا وجياد

فما هو الا الدهر يأتى بصرفه * على كل من يشقى به ويعادى

قوله الحائن الجد يقال حان الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائن والمصدر الحين والجد الحظ والجد والجدة مفتوحان فاذا أردت المصدر من جددت فى الأمر قلت أجد جدا مكسور الجيم ويقال جددت النخل أجده جدا اذا صرمته ويقال جذذته جذا وتركت الشئ جذاذا اذا قطعته قطعا ويروى هذا البيت لجرير على وجهين

آل المهلب جذ الله دابرهم * أضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

اليسير وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل الأمور التى لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف فكيف على الأعداء لان تحبير الكلام أهون من القتال ومن اخراج المال ولم يقل ان القوم قد تركوا مسائلته فى القرآن والطعن فيه بعد ان كثرت خصومتهم فى غيره ويدلك على ذلك قوله عز وجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا

ويروى جذّ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذاً فلم يقرأ بغيره ويقال كم جذاذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى فى قول الله جل وعز وأنه تعالى جد ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جدار بنا ولو قرأ قارئ جدار بنا على معنى جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أجدك لم تغتمض ليلة • فترقدها مع رقادها

ومثله (قول الأعشى) • أجدك لم تسمع وصاة محمد • رسول الاله حين أوصى وأشهدا

لان معناه أجدا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجد جدا ويقال امرأة جداء اذا كانت لا ثدى لها فكأنه قطع منها الان أصل الجد القطع ويقال بلدة جداء اذا لم تكن بها مياه قال الشاعر

وجداء ما يرجى بها ذو هوادة • لعرف ولا يخشى السماة ربيبها

(القرابة والهوادة فى المعنى واحد قال أبو الحسن السماة هم الصيادة نصف النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال انما سمى ساميا بالسماة وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه وهو عندى من سما للصيد) وينشد هذا البيت

أبى حبى سليمى أن يبيدا • وأصبح حبلها خلقا جديدا

يقول أصبح خلقا مقطوعا لان جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدود اذا كان ذا خطر أى حظ وفى الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى من كان له حظ فى دنياه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجد منك الجد يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برق غاو والسنى من الضياء مقصور قال الله جل وعز يكاد سنى برقه يذهب بالابصار والسناء من المجد ممدود وقال الشاعر

وهم قوم كرام الحى طرا • لهم خول اذا ذكر السناء

وضربه الحسن ههنا مثلا وجمع الرعد فقال رعاد كقولك كلب وكلاب وكعب وكعاب وقوله بماضى الظبى ظبة كل شئ حده يقال وخزه بظبة السيف يراد بذلك حد طرفه وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حمائل السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول حمائله قال مروان بن أبى حفصة يمدح المهدى

أو بدله وقوله تعالى ذكره وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ويدلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على ان التقريع لهم بالعجز كان فاشيا وان عجزهم كان ظاهرا ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تحداهم بالنظر والتأليف ولم يكن أيضا أزاح عللهم حتى قال تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وعارضونى بالكذب لقد كان فى تفصيله له وتركيبه وتقديمه له واحتجاجه ما يدعو الى معارضته ومغالبته وطلب مساويه

قصرت حمائله عليه فقلصت • ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الأمين

سبط البنان اذا احتبى بنجاده • غمر الجماجم والسماط قيام

وقال جرير للفرزدق تعالوا فقاتونا في الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الأكارم

فاني لأرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من أهل هاشم

وقال الآخر لما التقى الصفان واختلف القنا • نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أن القماءة ذلة • وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله أمام خميس الخميس ههنا الجيش وكذلك قال ربيئة أهل خيبر لما أطل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمد والخميس أى والجيش وقال الشاعر وهو طرفة

وأى خميس لا أفأنا نهابه • وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أفأنا رددنا يقال أفاءه بنى اذا رده والأرجوان الاحمر قال الشاعر

عشية غادرت خيلى حميدا • كأن عليه حلة أرجوان

والجياد الخيل وفى القرآن اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

ترى الناس أفواجا الى باب داره • كأنهم رجلا دبى وجراد

فيوم لالحاق الفقير بذى الغنى • ويوم رقاب بوكرت لحصاد

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نواس الحسن بن هانئ)

فكأنى عما أزين منها • قعدى يزين التحكيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تشدد عليه فى شرب الخمر وحبسه من اجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الرائحان باللوم لوما • لا أذوق المدام الا شميما

نالنى بالملام فيها امام • لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواى فانى • لست الا على الحديث نديما

كبر حظى منها اذا هى دارت • أن أراها وأن أشم النسيما

فكانى

ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا الا تحديه له واكثاره فيه لكان ذلك سببا موجبا لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه اذ كان كلامهم وهو سيد علمهم والمؤنة فيه أخف عليهم وقد بذلوا النفوس والأموال وكيف ضاع منهم وسقط على جماعتهم نيفا وعشرين سنة مع كثرة عددهم وشدة عقولهم واجتماع كلمتهم وهذا أمر جليل الرأى ظاهر التدبير

((فصل منه فى كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها))

فكأني بما أُزيِّنُ منها • قَعَدِيٌّ يزين التحكيما

لم يطق حمله السلاح الى الحر • ب فأوصى المطيق الا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه احد قال وحُدِّثت ان العُماني الراجز انشد الرشيد في صفة فرس

كأنَّ أُذْنيه اذا تشوّفا • قادمةً أو قلماً محرّفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم احد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل

• تخال أُذنيه اذا تشوّفا • والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه ويروى أن جريرا دخل

الى الوليد وابنُ الرقاعِ العاملي عنده يُنشدُهُ القصيدة التي يقول فيها

غلب المسامحَ الوليدُ سماحةً • وكفى قريشَ المُعضلاتِ وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية • تُزجي أغنّ كأنّ ابرة روقه • قال

فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يُشبّه به قال فقال • قلمٌ أصاب من الدواة مدادها •

قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله

تُعاطيكها كفٌّ كأنّ بنانها • اذا اعترضتها العينُ صفُّ مدارى

ومن التشبيه المليح قوله وكأنّ سُعدى اذ تودّعنا • وقد اشرأبّ الدمعُ أن يكفا

رشأٌ تواصينَ القِيانُ به • حتى عقدنَ بأذنه شُنُفا

(يقال اشرأبّ لان يكلمني اذا تهيأ الكلام واشرأبّ الدمع اذا تهيأ للوكف) وفي هذا الشعر من

التشبيه • خبّر فؤادك أو تخبّره • قسماً لتنتهينّ أو حلفا

الحبُّ ظهرٌ أنت راكبه • فاذا صرفتَ عنانه انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله اليك رمت بالقوم خوصٌ كأنما • جماجمها فوق الحِجاج قبور

وله أيضا سأرحل من قود المهاري شملة • مسفّرة ما تسغف بحادى

مع الريح ما راحت فان هي أعصفت • تهوز براس كالعلاة وهادى

العلاة السندان قال جرير أيفخر بالحمم قين ليلى • وبالكير المرقع والعلاة

وقال الحسن بن هاني في صفة السفينة

بُنيت على قدر ولاءم بينها • طبقان من قير ومن ألواح

والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء واسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الارجاس الذين استبدلوا بالعز ذلا وبالايمان كفرا والسعادة شقوة وبالحجة شبهة بل لا شبهة في الزندقة خاصة فقد كانوا يصنعون الآثار ويولدون الاخبار ويبثونها في الأمصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله وليس شيء مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبي ولا معاند ذكي

(فصل منه) ولما كان

فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة في يد الملاح

جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوي بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله بنيناعلى كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم

فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه * اذاً لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى في الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوّق به من الزبد

وقد قال في أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلفوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جرّ الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنيّ ويابس

حبست بها صحبي فألّفت شملهم * واني على أمثال تلك لحابس)

أقمنا بها يوما ويوما وليلة * ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زرّت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدي

قالت ألا لا تشتري ذا كم * الا عماشئتنا ولم يوجد

الا بيدري ذهب خالص * كل صباح آخر المسند

من مال من يجبي ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدّريها أي تختلها يقال درّيت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتني اذ رميتني * بسهميك والرامي يصيد وما يدري

وقال الحسن بن هانئ ما حطّك الواشون من رتبة * عندي ولا ضرّك ما اغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

أعجب الامور عند قوم فرعون السحر ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاما فيه منهم في زمانه بعث الله موسى عليه السلام على ابطاله وتوهينه وكشف ضعفه واظهاره ونقض أصله لردع الاغنياء من القوم ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام لانه لو كان أتاهم بكل شيء ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة لكانت نفوسهم الى ذلك متطلعة ولا عتل به أصحاب الاشغال واشغلوا به بال الضعيف ولكن الله تعالى جده أراد حسم الداء وقطع المادة وان

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لجلان بن نضلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أبيت اللعن انه لقعو الاليتين مقبل النعلين اخج الفخذين مشاء بأقراء تباع اماء قتال ظباء . فقال النعمان ان أردت أن تذيمه فذهته قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبال ينسبه الى الترفه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذيمه معناه تذمه يقال ذمه يذمه ذما وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخرج منها مذؤما مدحورا وقال الحرث بن خالد المخزومي لعبد الملك

فحملتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي أذيمها

وقوله فذهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ونحوها ومن قاربهما قال رؤبة

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهي

يريد المدح وفي هذه الأرجوزة * براق أصلاد الجبين الأجله * يريد الاجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجله يجله جلها وجلي يجلى جلي والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائح القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأن محرشا في بيت سعدى * يعل بعيبها عندي شفيع

وفي قصيدة الحسن هذه

ان جئت لم تأت وان لم أجئ * جئت فهذا منك لي دأب

كأنما أنت وان كنت لا * تكذب في الميعاد كذاب

وهذا كلام طريف ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار

وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه * بنانها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنه في سرجه بدر وضرغام * ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت * تضيء للناس وهي تحترق

لا يجد المبطلون متعلقا ولا الى اختداع الضعفاء سبيلا مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات وضروب العلامات وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الاغلب على أهله وعلى خاصة علمائه الطب وكانت عوامهم تعظم على خواصهم فأرسله الله عز وجل باحياء الموتى اذ كانت غايتهم علاج المرضى وابراء الاكمه اذ كانت غايتهم علاج الرمد مع ما أعطاه الله تعالى عز وجل من سائر العلامات وضروب الآيات لان الخاصة اذا نجعت بالطاعة وقهرتها الحجة

فهذا حسن فى هذا جدا ومن حسن ما قالوا فى التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبى العتاهية للرشيد

أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس

تساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تساس

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى على بن جبلة فقال فى مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد فى الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسى

فالناس جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الراس

والعرب تختصر فى التشبيه وربما أومأت به ايماء قال أحد الرجاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * مازلت أسعى بينهم وألتبط

حتى اذا كان الظلام يختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول فى لون الذئب واللبن اذا جهد وخلط بالماء ضرب الى الغبرة وأنشد الاصمعى

وتشرب بمحضا وتسقى عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقرب ان الجنبان والواحد قرب من ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور فى رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى أن توجع قربيه فقال القوم يا رسول الله انك ان تشدد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترحله مرا ومرا ترجعه

فى مثل صدر السبت خلق تقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه

أسود كالسبجة فيه مبضعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضا

وعرفت موضع العجز والقوة وفصل ما بين الآية والحيلة كان أنجع للعامة واجدر ان لا يبقى فى أنفسهم بقية وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها فى صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به فحين استحكمت افهامهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون انهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم

بات بها حين حُبيش يَفجعه • وبات جذلان وتيرا مَفجعه

ذا سنة آمن ما يروعه • حتى دنت منه لحتف ترمعه

فاظت تَجمّ همّها وتجمعه • يا بؤس للمودعه ما يودعه

فشرعت أمّ الحمام اصبعه • أنحت عليه كالشهاب تلذعه

عطّت سربال حرير تخلعه • فكل خل ظاهر تفجعه

يزداد من بغت الحمام جزعه • واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجي قال أبو الحسن شك أبو العباس في أنه لأحدهما أعني هذا البيت) ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة • وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه وما يعد قول رجل يهجو رجلا برثاثة الحال

يأتيك في جبة مخرقة • أطول أعمارها مثلها يوم

وطيلسان كالآل يلبسه • على قميص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيئا لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ في غير هذا الباب إن شاء الله قال طفيل تقريبه المرطى والجوز معتدل • كأنه سبد بالماء مغسول

السبد طائر بعينه وقد قالوا الخرقة التي توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وإنما أراد العرق في هذا الوقت وخير الخيل ما لم يسرع عرقه ولم يبطئ فإذا جاء في وقته شمله قال الراجز

كأنه والطرف منه سام • مشتمل جاء من الحمام

وقال الأعشى يعادي العوص ومسحلها • وعفوهما قبل أن يستحم

العوص جماعها أعوص وهي التي لم تحمل في عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء فاعلم وهو أسنى له إذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفي حديث أم زرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا مما يمدح به العرب وتستحسنه فأما قول متمم بن نويرة

• في غير مبطان العشيات أروعا • فإنما أراد أنه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضيف إذا أرغى طروقا بعيره • وعان ثناه القيد حتى تكنعا

وينقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبيا قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات ولكل شيء باب ومأتى واختصار وتقريب فمن أحكم الحكمة إرسال كل نبي بما يفحم أعجب الأمور عندهم ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم

(فصل منه في ذكر أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام)

وآية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة في ذلك

وقالوا فى قول الخنساء يُذَكِّرُنى طلوعُ الشمس صَخْرًا • وأذكُرُهُ لكل غروبِ شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقتَ الغارة وبغروب الشمس وقتَ الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيدًا ولا بأرسَحَ فتكونَ فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما أفنقت فتقَ السادة ولا مُطلتَ مَطْلَ الفُرسان فهذه كلها نعوت قد عُرِفَت لقوم حتى كأنها سِمات لهم ينبغى للفارس أن يكون مُهَفهَفَ الخصر بن متوقد العينين خمش الذراعين وأنشد الاصمعى • كأنما ساعداه ساعدا ذيب • قالوا ومن نعت السيد أن يكون ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعَدَ واذا أُومِلَ مَلأَ العين لان حقه أن يكون فى صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد ملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السودد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته • وتنحيت له فى الحاشيه
واذا سايرته قدمته • وتأخرت مع المستأنيه
واذا يامرته صادفته • سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عامرته صادفته • شرس الرأى أبيا داهيه
فاحمد الله على صحبته • واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجمله جرير فى قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته • عسر وعند يساره ميسور

مثل الخاصة وهى الاخلاق والافعال التى لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك انا لم نرو لم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته وكرم عشيرته ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته اذا صمت ولا كقوله اذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كقلة تلونه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه ولم نجد شجاعا قط الا وقد جال جولة وفرفرة وانحاز مرة من معدودى شجعان

﴿ باب ﴾

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار ان شاء الله

• كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات فى معاتبته المهلب بن أبى صفرة

أبلغا جارى المهلب عنى • كل جار مفارق لا محاله

انّ جاراتكَ اللواتي بتكريـ * ـتَ لتنبيذ رجالهنّ مقالَهْ

لو تعلّقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن حبالَهْ

غلبتْ أمّـهُ أباه عليـه * فهو كالكابلي أشبه خالَهْ

ولقـد غالني يزيدُ وكانتْ * في يزيد خيانةٌ ومغالَهْ

عتكيٌّ كأنه ضوءُ بدرٍ * يحمدُ الناس قولَه وفعالَهْ

وقال أسماء بن خارجة الفزاريّ لا أشاتم رجلا ولا أردّ سائلا فانما هو كريم أسدّ خلّته أو لئيم أشترى عرضي منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بُدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عنـد التعزية التهنئـةُ بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودّعه فقال له شعبة أما انك ان لم ترا الحلم ذلاًّ والسفه أنفة سلم لك حجّك وقال أويس القرني ان حقوق الله لم تترك عنـد مسلم درهما وقال دعبل ابن علي الخزاعي يذم رجلا

رأيتُ أبا عمران يبذلُ عرضَهُ * وخبزُ أبي عمران في أحرز الحرز

يحنّ الى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحنّ الى الخبز

وقال آخر قومٌ اذا أكلوا أخفوا كلامهمُ * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لا يقبسُ الجارُ منهم فضلَ نارهمُ * ولا تكفُّ يدٌ عن حرمة الجار

(أظن تمامه) حتى اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمّهمُ بولي على النار

فامت بأحرها تندى مشافره * كأنه رئة في كفّ جزّار)

وقال رجل من طيئ وكان رجلٌ منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيـل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

عـلا زيدُنا يوم الحمى رأسَ زيدكم * بأبيض مصقول الغرار يمان

فان تقتـلوا زيدًا بزيد فانما * أقادكمُ السلطانُ بعـد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدُنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

الاسـلام مشهوري فرسان الجاهلية كفلان وفلان وبعد فقـد نصر النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر معـه قوم ولم نر كنجدتهم نجـدة ولا كصبرهم صبرا وقد كانت لهم الجولة والفرة كما قد بلغك عن يوم أحد وعن يوم حنين وغـير ذلك من الوقائع والايام فـلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري ان يحدث ان محمدا صلى الله عليـه وسلم جال جولة قط ولا فر فرة قط ولا حام عن غزوة ولا هاب حرب من كاثره ثبتك الله بالحجة وحصن دينك من كل شبهة

قال كلثم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت * عداتى فلا عيب على ولا نكر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع فى حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع فى ذم قط وقال آخر

ألا ترين وقد قطعتنى عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فانى لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضرب به مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذى قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفى يده عصا فقال الضيف يا راعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال الحطيئة للضيفان أعددتها

وقال دعبل وابن عمران يبتغى عربيا * ليس يرضى البنات الا كفاء

ان بدت حاجة له ذكر الضيف * وينساه عند وقت الغداء

وقال أيضا أضياف سلم في خفض وفى دعة * وفى شراب ولحم غير ممنوع

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل ما رحل الضيف عنى بعد تكرمة * الا بزاد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان

صوت مضغ الضيوف أحسن عندى * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشى من بنى أمية

اذا ما زرنا لم تنم عن تراتنا * ولم نك أرضا لانعيم البواكيا

ولكننا نقضى الجياد شوازبا * فنرمى بها النحو والثنيات الراميا

وتوفاك مسلما وجعلك من الشاكرين قد أعجبنى حفظك الله استهدافك للعلم وفهمك له وشغفك بالانصاف وميلك اليه وتعظيمك الحق ومواساتك فيه ورغبتك عن التقليد ودرايتك عليه ومؤازرة كتبك على بعد دارك وتقطع أسبابك وصبرك الى أوان الامكان وتساعك عند تضايق العذر وفهمت حفظك الله كتابك الأول وما حثثت عليه من تبادل العلم والتعاون على البحث والتحابب فى الدين والنصيحة لجميع المسلمين وقلت اكتب الى كتابا تقصد فيه لى حاجات النفوس

وقال جرير

ان الذى حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

ان الفرزدق اذ تحنف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا

ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقى الصليب من العذاب مهينا

هل تشهدون من المشاعر مشعرا * أو تسمعون من الأذان أذينا

قال أبو العباس حدثنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذلك به ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطيا له ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره * مرمى القصية ما يذقن بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أشعر من ذاك هلما فاختصما وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا * كدار بين تلعة والنظيم

عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدإ الجثوم

وقال آخر

لقد تيمت فؤادك اذ تولت * ولم تخش العقوبة فى التولى

عرفت الدار يوم وقفت فيها * بريح المسك تنفح فى المحل

(باب من أخبار الخوارج)

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصفرية أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى من الأزد تكره ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى قوله استبيتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيتون ما لا يرضى من القول أى أداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

والى صلاح القلوب والى معتلجات الشكوك وخواطر الشبهات دون الذى عليه أكثر المتكلمين من التطويل ومن التعمق والتعقيد ومن تكلف ما لا يجب واضاعة ما يجب وقلت كن كالمعلم الرفيق والمعالج الشفيق الذى يعرف الداء وسببه والدواء وموقعه ويصبر على طول العلاج ولا يسأم كثرة الترداد وقلت اجعل تجارتك التى اياها تؤمل وصناعتك التى اياها تعتمد اصلاح الفاسد ورد الشارد وقلت ولا بد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع ومن حسم كل خاطر وقع

أتونى فلم أرض ما بيّتوا * وكانوا أتونى بأمر نُكُر

لأُنكح أيّمهم منذرا * وهل يُنكح العبدَ حرٌّ لحر

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشئ كما قال جرير

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأى وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤا اليه وخلعوا معدان الايادى لقول معدان

سلام على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلام

فتبرأت منه الصفرية وقالوا خالفت لانك برئت من القعد قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحُدثت ان واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا الخوارج فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معى قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن وذكر أهل العلم من غير وجه ان عليا رضى الله تعالى عنه لما وجه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكّم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر نعد له فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكّم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حُكم عليه فلم يرض فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خصمون وقال عز وجل وتنذر به قوما لُدًّا والشئ يذكر بالشئ وجاء فى الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله

كل ناجم وصرف كل هاجس ودفع كل شاغل حتى تتمكن من الجنة وتتهنأ بالنعمة وتجد رائحة الكفاية وتثلج ببرد اليقين وتفضى الى حقيقة الأمر وان كان لابد من عوارض العجز ولواحق التقصير فالبر لها أجمل والضرر علينا فى ذلك أيسر وقلت ابدأ بالأخوف فالأخوف وبكل ما كان آنق فى السمع وأحلى فى الصدور وبالباب الذى منه يؤتى المريض المتكلف والجسور المتعجرف وبكلما كان أكثر علما وأنفذ كيدا وسألتنى بتفتيح الاستناد والعلة

عنه فقال انى أصبت ظبيا وأنا مُحْرِمٌ فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يُهْدِى شاةً فقال عمر أهْدِ شاةً فقال الاعرابى والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيرَه فَخَفَقَهُ عمر رضوان الله عليه بالدِّرّة وقال أتقتُلُ فى الحَرَمِ وتَغْمِصُ الفُتْيا ان الله عز وجل قال يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أَوَلَا يكون قولُ الامام حُكْمًا قاطعا ومنها انه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فَجَزَاءٌ مثلُ ما قَتَلَ من النَّعَمِ وانه لم يسأله أَخَطَأً قتلتَه أم عَمْدًا وجعل الأمرين واحدا ومنها انه لم يسأله أَقَتَلْتَ صيدًا قبله وأنت مُحْرِمٌ لان قوما يقولون اذا أصابه ثانية لم يُحْكَمْ عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى ومن عاد فَيَنْتَقِمُ الله منه قال أبو العباس من طريف أخبار الخوارج قول قَطَرِىّ ابن الفُجاءة المازنىّ لابى خالد القَنانىّ وكان من قَعَدِ الخوارج

أبا خالد يا انفِرْ فلستَ بخالدٍ * وما جعلَ الرحمنُ عُذْرًا لقاعدِ

أتزعُمُ ان الخارجىَّ على الهدى * وأنتَ مقيمٌ بين لِصٍّ وجاحدِ

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياةَ الىَّ حُبًّا * بناتى انهنَّ من الضِعافِ

احاذرُ أن يَرَيْنَ الفقرَ بعدى * وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِ

وان يَعْرَيْنَ ان كُسِىَ الجوارى * فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجافِ

ولولا ذاكَ قد سَوَّمْتُ مُهْرى * وفى الرحمن للضُعَفاء كافِ

(أبانا مَنْ لنا ان غِبْتَ عنا * وصار الحىُّ بعدكَ فى اختلافِ)

وهذا خلاف ما قال عِمْرانُ بن حِطَّانَ أحدُ بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب ابن على بن بَكْر بن وائل وقد كان رأسَ القَعَد من الصُفْرِيّة وخطيبَهم وشاعرَهم قال لما قُتِلَ أبو بلال وهو مِرْداسُ ابن أُدَيَّةَ وهى جدته وأبوه حُدَيْرٌ وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياةَ الىَّ بُغْضًا * وحُبًّا للخروج أبو بلالِ

أحاذرُ أن أموتَ على فراشى * وأرجو الموتَ تحت ذُرا العَوالى

ولو أنى علمتُ بأن حتفى * كحتفِ أبى بلالٍ لم أُبالِ

الى الاعتقاد وصفة الاناة ومقدارها ومقدمات العلوم ومنتهاها وزعمت أن من اللفظ مالا يفهم معناه دون الاشارة ودون معرفة السبب والهيئة دون اعارته وركته وتحديده واحتيازه وقلت فان أنت لم تصور ذلك كله صورة تغنى عن المشافهة وتكتفى بظاهرها عن المرسلة أحوجتنا الى القائل على بعد دارك وكثرة أشغالك وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسى وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن والرد على كل طعان

فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قال

وفيه يقول أيضا

يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلنى كمرداس

تركتنى هائما ابكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس وزد بعد أنفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه

ففى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى عك وعامر عوبثان

وفى لخم وفى أدد بن عمرو * وفى بكر وحى بنى الغدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامرا لعبد الملك ابن مروان أثيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحا فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران ابن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

انى لاذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا

انى لاذكره يوما فألعنه * اها وألعن عمران بن حطانا

فلم أدع فيه مسألة لرافضى ولا لحديثى ولا لحشوى ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة فلما ظننت انى قد بلغت أقصى محبتك وأتيت على معنى صفتك أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن وانما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ولم أك أن أحدث لك فيها تأليفه فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلهما وأغمضهما معنى وأطولهما

قال محمد بن أحمد الطيب يردّ على عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها * أشقى البرية عند الله انسانا
اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه * وألعن الكلب عمران بن حطانا

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران ابن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئنى به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك فامض فانى بالأثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبد الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

يا روح كم من أخى مثوى نزلت به * قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى اذا خفته فارقت منزله * من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولا ما تروعنى * فيه روائع من انس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى * ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * فى النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى
لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * كنت المقدم فى سرى واعلانى
لكن أبت لى آيات مطهرة * عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابى أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديا مرة وأوزاعيا مرة ان كنت خائفا آمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف فى منزله رقعة فيها

ان التى أصبحت يعيى بها زفر * أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشى * أعيا عياها على روح بن زنباع * وأنكره كما أنكرناه

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر وأبى كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجازدون الحقيقة وان متكلمى الحشوية والنابتة قد صار لهم بمناظرة أصحابنا وبقراءة كتبنا بعض الفطنة لما كتبت لك رغبة بك عن أقدارهم وضنا بالحكمة عن اعشارهم وانما يكتب على الخصوم والاكفاء وللاولياء على الأعداء ولمن يرى للنظر حقا وللعلم قدرا وله فى الانصاف مذهب والى المعرفة سبب

الممدود
لانه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مدّ المقصور

ماذال يسألنى حَوْلًا لأُخبِرَهُ * والناسُ من بين مخدوعٍ وخدّاعِ

حتى اذا انقطعتْ عنى وسائلُهُ * كفّ السؤالَ ولم يُولَعْ باهلاعِ

فاكْفُفْ كما كفّ عنى اننى رجلٌ * امّا صميمٌ واما فقعةُ القاعِ

واكْفُفْ لسانكَ عن لومى ومسئلتى * ماذا تُريدُ الى شيخٍ لأوزاعِ

أما الصلاةُ فانى غيرُ تاركِها * كلُّ امرئٍ للذى يُعْنَى به ساعِ

أكْرِمْ بروحِ بن زنباعٍ وأُسرتهِ * قومٌ دعا أوليهم للعُلَى داعِ

جاورتُهم سنةً فيما أُسرّ به * عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تهجاعِ

فاعمَلْ فانكَ منعيٌّ بواحدةٍ * حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ فوجدهم يُعظّمون أمر أبى بلال ويظهرونه فأظهر أمرَهُ فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عُمانَ فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفى نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله فى خير منزلٍ * نُسَرُّ بما فيه من الأنسِ والخفَرْ

نزلنا بقومٍ يجمعُ الله شملَهُمْ * وليس لهم عودٌ سوى المجد يُعتَصرْ

من الأزد انّ الأزدَ أكرمُ معشرٍ * يمانيةٌ طابوا اذا نُسِبَ البشرْ

فأصبحتُ فيهم آمنًا لا كمعشرٍ * أتونى فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ

أم الحىِّ قحطانَ فتلكمْ سفاهةٌ * كما قال لى روحٌ وصاحبُهُ زُفَرْ

وما منهما الا يُسَرُّ بنسبةٍ * تقربنى منه وان كان ذا نفرْ

فنحن بنو الاسلام والله واحدٌ * وأولى عباد الله بالله من شكرْ

قوله يا روح كم من أخى مثوى نزلت به قد مرّ تفسيره يقال هذا أبو مثواى وللانثى هذه أمُّ مثواى ومنزلُ الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثويًا كقولك مضى يمضى مُضيًّا ويقال ثواءً ومضاءً كما قال

طال الثواءُ على رَسْمٍ بيمؤودِ * أودَى وكلُّ جديدٍ مرةً مودى

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعًا أى أفزعنى قال الله

وزعمت أنك لم تر فى كتب أصحابنا الا كتابا لا تفهمه أو كتابا وجدت الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت وقلت واياك أن تتكل على مقدار ما عندهم دون أن تتبصر قوى باطلهم وتوفيهم جميع حقوقهم واذا تقلدت الأخبار عن خصمك فحطه كحياطتك لنفسك فان ذلك أبلغ فى التعليم وآيس للخصوم وقلت وزعموا انه يلزمك ان تزعم ان القرآن ليس بمخلوق الا على المجاز كما ألزم ذلك لنفسه معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من ذهب مذهبهم وقاس قياسهم

تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع ويكون ذلك فى
الرجل والفرس وغيرهما والحسب الاصل فيهما واحد الا انه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه
يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط فى ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما
عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب
يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين فى الفعل
صحت فى اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ فى الرأس
والعينين والشؤن وانما صحت فى عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا
تفسير هذا فى الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أتنقل يوما كذا
ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفى الولائم أولادا لواحدة * وفى المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى أى يختلفون
ويتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم
وأخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أأزديا مرة
وأزاعيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله * لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون
على وجهين لنفس طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية
وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولى وفى
القرآن العظيم ما لكم من ولايتهم من شئ والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى
الولاية واصله من الاصلاح يقال آله يؤوله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

فتفقهم فهمك الله تعالى
ما أنا واصف لك ومورد
عليك اعلم ان القوم
يلزمهم ما ألزموه أنفسهم
وليس ذلك الا لعجزهم
عن الخاص بحقهم والا
لذهابهم عن قواعد
قولهم وفروع أصولهم
فليس لك ان تضيف
العجز الذى كان منهم الى
أهل مقالتهم وتحمل ذلك
الخطأ على غيرهم فرب
قول شريف الحسب جيد
المركب وافر العرض
برئ من العيوب سليم
من الآفات قد ضيعه أهله
وهجنه المفترون عليه
فألزموه ما لا يلزمه
وأضافوا اليه ما لا يجوز
عليه ولو زعم القوم على

قد أُلْنا وإدل علينا أو بل ذلك قد وَلِينا ووُلِيَ علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد وَلِينا فعلنا ما يُصلِحُ الوالي ووُلِيَ علينا فعلمنا ما يصلح الرعيّة وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهي الذريعة والسبب يقال قد توسّلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج

والناس ان فَصَّلتهم فصائلا * كلٌّ الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يواح باهلاعى أى بافزاعى وتر ويبى والهلع من الجُبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهَلَع ويقال رجل هَلوعٌ اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خُلِقَ هَلُوعًا اذا مسه الشر جَزوعًا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصحو * ونَفْسٌ ما تُفيقُ من الهُلاع

وقوله * اما صميم واما فقعة القاع * الصميمُ الخالص من كل شئ يقال فلان من صميم قومه أى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتنزل من أُمَيّة حيث تلقى * شُؤُون الرأس مجتمع الصميم

وقوله واما فقعة القاع يقال لمن لا أصل له هو فَقْعَةٌ بقاعٍ وذلك لان الفقعة لا عروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمامٌ فقيعٌ لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قومٌ اذا نُسِبوا ابكرٌ أبوهُمُ * عند المَناسب فقعةٌ فى قرقر

وقال بعض القرشيين اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تجعل خليلك من تميم

بلوتُ صميمَهم والعبدَ منهم * فما أدنى العبيدَ من الصميم

وقوله نُسِرُّ عما فيه من الأُنس والخفر فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خَفِرَةٌ اذا كانت مستترة لا ستحيائها قال ابن نمير الثقفى

تضوّع مسكًا بطنُ نعمان ان مشت * به زينبٌ فى نسوة خَفِرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى أسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد * يمانيةٌ قَرْبُوا اذا نُسِبَ البشر * يريد قَرُبوا وهذا جائز فى كل شئ مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فَخِذ فَخْذ وفى عَضُد عَضْد وتقول فى الافعال كَرْم عبدُ الله أى كَرُم وقد عَلْم الله أى عَلِم الله قال

الاخطل

أصل مقالتهم أن القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع والنظم والتأليف وأنه ليس بصوت ولا تقطيع ولا تأليف اذ كان الصوت عندهم لا يخترع كاختراع الأجسام المصورة ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الأجرام المتجسدة والصوت عرض لا يحدث من جوهر الا بدخول جوهر آخر عليه ومحال ان يحدث الا وهنالك جسمان قد صدم أحدهما صاحبه ولا بد من مكانين مكان زال عنه ومكان زال اليه ولا بد من هواء بين المصطكين والجسم قد يحدث وحده ولا شئ غيره

الاخطل فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر عجبت لمولود وليس له أب * وذي ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز في ضرب ولا في جمل أن يسكن لخفة الفتحة وقوله أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التي جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبي ربيعة لعمرك ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان يريد أبسبع وقال التميمي

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحي قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحي قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك ويروى وحدثنيه المازني أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت هاهو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فرجع مغلولا فقالت صفية كيف رأيت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم قرشيا صقرا أي أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فيما عدبه بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكري دعي القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

والصوت على خلاف ذلك والعرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم بغيره والاعراض من أعمال الأجسام لا تكون الا منها ولا توجد الا بها وفيها والجسم لا يكون الا من جسم ولا يكون الا من مخترع الأجسام وليست تكون الجسم له علة توجبه ولا يحدث اذا حدث الاختيارا والابتداعا واختراعا والصوت لا يكون الا عن علة وجبة ولا يكون الا تولدا ونتيجة ولا يحدث الا من جرمين كاصطكاك الحجرين وكقرع اللسان باطن الاسنان والا من هواء ينضاغط وريح تختنق

ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حكم عروة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة
ابن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن
خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا في اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه
امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأي فأما أول سيف
سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك انه أقبل على الأشعث فقال ماهذه الدنيئة
يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث
مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب علي صلوات الله عليه
فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد وشبث بن ربعي
الرياحي الى الأشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا
مدة من خلافة معاوية ثم أتي به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال
ماتقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب فتولى عثمان ست سنين من
خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله
عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص
لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لي أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال
بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم
الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون
أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم
المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم
قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما
بحكم الله عز وجل فان خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني قالوا
اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خباب فانما ذبحوه
بكسكر في الفرقة الثالثة فقالوا حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بانا قد كفرنا ونحن تائبون
فاقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر

ونار تلتهب والريح عندهم
هواء تحرك والنار عندهم
ريح حارة هكذا الأمر
عندهم فلو قالوا الا يكون
الشيء مخلوقا في الحقيقة
دون المجاز وعلى مجازي
اللغة الا وقد بان لله
عز وجل باختراعه
وتولاه بابتداعه وكان منه
على اختيار والابتداع
الذي يمكن تركه وانشاء
عقيبه بدلا منه على
ما كان يولده ونتيجته من
أجسام يستحيل أن يخلق
من أزمالها ويحلها الله
منها والقرآن على غير ذلك
جسم وصوت وذو تأليف
وذو نظم وتقطيع وخلق
قائم بنفسه مستغن عن
غيره ومسموع في الهواء

بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفى صيد أصيب فى الحرم كأرنب يساوى ربع دينار فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمرا المأبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين تحوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبى طالب فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو وأن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكنى أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لى يا على امح رسول الله فقلت يارسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام فقفنى عليه فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الى فقال يا على أما انك ستسام مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء والنسب الى مثل حروراء حروراوى فاعلم وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرورى وقال الصلتان العبدى فى كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد فى سوطها الاصبحى

بنجدية وحرورية * وأزرق يدعو الى أزرقى

فملتنا أننا المسلمون * على دين صديقنا والنبى

وفى هذا الشعر مما يستحسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مرور الليالى وكر العشى

اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى

تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الاصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الاصبحية وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفى وكان رأسا ذا مقالة

ومرى فى الورق ومفصل وموصل ذو اجتماع وافتراق ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء وكلما احتملته الأجسام ووصفت به الاجرام كل ما كان كذلك فمخلوق فى الحقيقة دون المجاز وتوسع أهل اللغة فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا فى القياس ووافقوا أهل الحق وكانوا مع الجماعة ولم يضاهوا أهل الخلاف والفرقة ولم يفهموا أنفسهم بقول المشبهة اذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل وبه أشبه ولا يجوز أن أذكر موضع موافقتى لهم ومخالفتى عليهم فى صدر

منفردة من مقالات الخوارج وقد بقى من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله ابن الزبير فى جمعة فى كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعى يخاطب عبد الملك

انى حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا

ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتى تبديلا

ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا

من نعمة الرحمن لا من حيلتى * انى أعد له على فضولا

وفى هذه القصيدة أخذوا العريف فقطعوا حيزومه * بالأصبحية قائما مغلولا

قوله وأزرق يدعو الى أزرقى يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى وكان نافع شجاعا مقدما فى فقه الخوارج وله واعبد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها فى هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبى فالعرب تفعل هذا وهو فى الواو جائز أن تبدأ بالشئ وغيره المقدم قال الله عز اسمه هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدى واركعى مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بها الليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

يعنى بنى هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع بن الازرق هم ذوو الحد والجد وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلد المهلب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفى ذلك يقول شاعر منهم فى هذه الحرب التى صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثى البلد ويذكر المنقبة التى كانت لهم (قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبى لنفسه)

سقى الله مصرا أخف أهله من مضر * وما الذى يبقى على عقب الدهر

ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمت كريما أو صدرت على عذر

أبيح فلم أملك له غير عبرة * تجيب بها أن حاردت لوعة الصدر

هذا الكتاب لان التدبير فى وضع الكتاب والسياسة فى تعليم الجهال أن يبدأ بالأوضح فالأوضح والأقرب فالأقرب وبالأصول قبل الفروع حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس وآخر الكلام لا يفهم أرشدك الله تعالى ولا يتوهم الاعلى ترتيب الأمور وتقديم الأصول فاذا رتبنا الأمور وقدمنا الأصول صارت أواخر المعانى فى الفهم كأوائلها ورقيقها كجليلها وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الاسلام أعظم فرية وأشد بلية

ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا * وقد نظمت خيل الازارق بالجسر

ومن يخش أطراف المنايا فاننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر

فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وما رزق الانسان مثل منية * أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفي هذا الشعر

ليشكر بنوا العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر

لقد جنبتكم أسرة حسدتكم * فسلت على الاسلام سيفا من الكفر

وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

الا طرقت من أهل بيبة طارقة * على أنها معشوقة الدل عاشقة

تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقة

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقة

وكان مقدار من أصاب علي صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثماني مائة في أصح الاقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك في دمه ثم حمل منهم رجل على صف علي وقد قال علي لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب علي ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج اليه علي صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله ابن وهب ما أدري أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف الى ناحية أبي أيوب الانصاري وكان رحمه الله على ميمنة علي وجعل الناس يتسللون وقد قال علي وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت

وأشنع كفرا وأكبر اثما من كثير مما أجمعوا على أنه كفر وبعد فنحن لم نكفر الا من أوسعناه حجة ولم نمتحن الا أهل التهمة وليس كشف المتهم من التجسس ولا امتحان الظنين من هتك الاستار ولو كان كل كشف هتكا وكل امتحان تجسسا لكان القاضي أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفا لعورة والذين خالفوا في العرش انما أرادوا نفي التشبيه فغلطوا والذين أنكروا أمر الميزان انما كرهوا أن تكون الأعمال اجساما واجراما غلطا فان كانوا قد أصابوا فلا سبيل

ولا كذبت ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال لهم انه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ۞ قال أبو العباس وقيل أول من حكم وافظ بالحكومة ولم يشذ بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان

ماكان أغنى اليشكرى عن التى * تصلى بها جمرا من النار حاميا

غداة ينادى والرماح تنوشه * خلعت عليا بادبا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال على أهل حروراء منهم وروى عن على صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمر بجماعة تحدث فسلم وسلموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين أرجع كافرا يا شاهد الله على فاشهد * انى على دين النبى أحمد

* من شك فى الله فانى مهتدى *

ويروى * انى توليت ولى أحمد * ويروى أن رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يا رسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن

يعدل

عليهم وان كانوا قد أخطؤا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالمخلوق فبين المذهبين أبين الفرق وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخاصمين اعذارا وانذارا امتحنتنى وأنت تعرف ما فى المحنة وما فيها من الفتنة ثم امتحنتنى من بين جميع هذه الأمة قال المعتصم أخطأت بل كذبت وجدت الخليفة قبلى قد حبسك وقيدك ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ولو لم يخف على

يعدل اذا لم أعدل ثم قال لابى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله قال أبو العباس وحدثنى ابراهيم ابن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا للاقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيل الطائى وربعا لعيينة بن حصن الفزارى وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردت خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيأ وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى فى الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أى من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفى مركب صدق وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم ابن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم * على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم * فى ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندى

وقد أختلس الضربة * لا يدمى لها نصلى

فأما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعى أن الشعر لاسحق ابن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وبن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

الاسلام ما عرض لك فسؤالى اياك عن نفسك ليس من المحنة ولا من طريق الاعتساف ولا من طريق كشف العورة اذ كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل وقيل للمعتصم فى ذلك المجلس ألا تبعث الى أصحابه حتى يشهدوا اقراره ويعاينوا انقطاعه فينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقر به عندهم فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال لا أريد ان أوتى بقوم ان اتهمتهم سرت فيهم بسيرتى فيهم وان بان لى أمرهم أنفذت حكم الله فيهم وهم ما لم أرتبهم

ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعني واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجو واصل بن عطاء

ماذا منيت بغزال له عنق * كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يشك فيه ان بشارا كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأي ابليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الأرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما يرويه المتكلمون وقتله المهدي على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شيء مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه اني أردت هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت منهم (الا اني قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم * كبابليين حفا بالعفاريت
لا يرجيان ولا يرجى نوالهما * كما سمعت بهاروت وماروت)

وحدثني المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوي فقال بشار ليس يدرون أن اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الاعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كانها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا في تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم

كسائر الرعية وكغيرهم من عوام الأمة وما شيء أحب الي من الستر ولا شيء أولى بي من الاناة والرفق وما زال به رفيقا وعليه رقيقا ويقول لان أستحييك بحق أحب الي من أن أقتلك بحق حتى رآه يعاند الحجة ويكذب صراحا عند الجواب وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه أن أحمد بن أبي داود قال له أليس لا شيء الا قديم أو حديث قال نعم أوليس القرآن شيئا قال نعم قال أوليس لا قديم الا الله قال نعم قال فالقرآن اذا حديث قال ليس انا متكلم وكذلك كان يصنع في

ولم يطق مطراً والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقاً من المطر

ومما يحكى عنه قوله وذكر بشاراً أما لهذا الاعمى المكتنى بابى معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسياً أو عقيلياً فقال هذا الأعمى ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لانه بشاراً كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلاً فيهم واجتناب الحروف شديد قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بما قال وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت النكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاماً جيداً الا أنه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذلك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة وأما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك ابن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصداً اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء الا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا علياً * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب ❁ ثم نرجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل على أهل النهروان كان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن الى أبى أيوب الانصارى فتجمعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيئ فوجه اليهم على صلوات الله عليه رجلاً وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعاً فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج فى أمرها فقالوا ان علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو

جميع مسائله حتى كان يجيبه فى كل ما سأل عنه حتى اذا بلغ المضائق والموضع الذى ان قال فيه كلمة واحدة برئ منه أصحابه قال ليس انا متكلم فلا هو قال فى أول الأمر لا علم لى بالكلام ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة خضع للحق فقته الخليفة وقال عند ذلك أفى لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة وأما الموضع الذى فيه واجه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاكتراث وشدة التصميم فهو حين قال له أحمد بن أبى داود اتزعم ان الله تعالى رب القرآن قال

درهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن مُلْجَم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال
أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البُرَك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر
ابن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على أن يكون قتالهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة
ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان فخرج كل واحد منهم الى ناحية فأتى ابن مُلْجَم الكوفة فأخفى
نفسه وتزوج امرأة يقال لها قَطام بنت عَلْقَمة من تَيْم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج
والأحاديث تختلف وانما نُؤثر صحيحها ويُرْوى في بعض الأحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا
بصداق أُسَمِّيه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت
فكيف لي به قالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أُصِبْت
صرت الى الجنة ونعيم لا يزول فأنعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن مُلْجَم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن
أباهم نهاهم فلما اعصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت
لك أول مرة فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما قصدت لشد
ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتا بعينه وكان هناك رجل من أشجع يقال له شبيب
فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الأشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا سيفا في بني كندة فقال
يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب
فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه
فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن مُلْجَم وفتكه فقال علي ما قتلني بعد ويروى أن عليا رضوان
الله عليه كان يخاطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لأريحنهم
منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أُتي به ملببا فأشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه
بما سمعوا فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في
قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة وانما سمي بذلك لانه ضرب على كشحه

لو سمعت أحدا يقول ذلك
لقلت قال أفما سمعت ذلك
قط من خالف ولا سائل
ولا من قاص ولا في شعر
ولا في حديث قال فعرف
الخليفة كذبه عند
المسألة كما عرف عناده
عند الحجة وأحمد بن أبي
داود حفظك الله تعالى أعلم
بهذا الكلام وبغيره من
أجناس العلم من أن
يجعل هذا الاستفهام
مسألة ويعتمد عليه في
مثل تلك الجماعة ولكنه
أراد أن يكشف لهم جرأته
على الكذب كما كشف
لهم جرأته في المعاندة فعند
ذلك ضرب به الخليفة وأربه
حجة لكم في امتحاننا اياكم
وفي اكفارنا لكم وزعم

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

فيلتوي من ذلك حتى أكثر عليه فقال له المرادي ان قضي شئ كان فقيل لعلي كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مغلساً ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال علي فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فيروي عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعت كلمة علي ورأيت بريق السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أيداً فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمي أن يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسل شبيب بين الناس فدخل على علي رضوان الله عليه فأومر فيه فاختلف الناس في جوابه فقال علي ان أعش فالأمر الي وان أصب فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وان تعفوا أقرب للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبت فاضربوه ضربة في مقتله فلم يحم علي يومين فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكي أم كلثوم أما والله لقد اشتريت سيفي بألف درهم ومازلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد أسقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ومات علي صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضي الله عنه فقال ان لك عندي سراً فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها فقال أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت أن هذا في يديك ما اتخذت الهاً غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه الي أشف نفسي منه فاختلفوا في قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخي لتكحل عمك بملمولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه

يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثاً ومخلوقاً فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً ومحدثاً فقال له أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية وينسخ آية بآية وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره وكل ذلك في الكتاب مسطور قال نعم قال فهل كان يجوز هذا في العلم وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره قال لا وقال له رويتنا في تثبيت ما تقول الآثار وتلونا عليك الآية من الكتاب وأريناك الشاهد من

وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك وتراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا تأمن فتكه لك فقال ما أصنع به ثم قال على رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن و يحذفون من من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصليا فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما زاذويه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصى فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أوما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب صلوات الله عليه

ان الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار
طب بصير بأضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار
وقطرة قطرت اذحان موعدها * وكل شئ له وقت ومقدار

العقول التى بها الزم الناس الفرائض وبها يفصلون بين الحق والباطل فعارضنا أنت الآن بواحدة من الثلاث فلم يكن ذلك عنده ولا استحزى من الكذب فى هذا المجلس لان عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحد أن يكون الكذب يجوز عليه وقد كان صاحبكم هذا يقول لا تقية الا فى دار الشرك فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها فى دار الاسلام وقد أكذب نفسه وان كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم على

حتى تنصّلها في مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا

حمّت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره انماهو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهي أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودي يسأل مسلما عن شيء من أمر الدين فقال له علي اسألني ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أي عالم قال علي أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمّت معناه قدرت قال الكميت.

والوصي الذي أمال التجوبي به عرش أمة لانهدام

قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكما لا كغابر الحكام

الامام الزكي والفارس المعلم تحت العجاج غير الكهام

راعيا كان مسجحا ففقدنا * وفقد المسيم هلك السوام

قوله الوصي فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرقيات

نحن منا النبي أحمد والصديق منا التقي والحكماء

وعلي وجعفر ذو الجناحين * هناك الوصي والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشر رجلا من أهله في سجن عارم

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وصي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك أعناق وقاضي مغارم

أراد ابن وصي النبي والعرب تقيم المضاف اليه في هذا الباب مقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخص الخرب * يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس رضي الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم * عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابني عبد مناف وقال أبو الأسود

أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا

أنه لم يسل سيفا مشهورا ولا ضرب ضربا كثيرا ولا ضرب الا بثلاثين سوطا مقطوعة الثمار مشعبة الاطراف حتى أفصح بالاقرار مرارا ولا كان في مجلس ضيق ولا كانت حاله حال مؤيسة ولا كان مثقلا بالحديد ولا خلع قلبه بشدة الوعيد ولقد كان ينازع بألين الكلام ويجيب باغلظ الجواب ويرزنون ويخف ويخف ويحلمون ويطيش وعبتم علينا اكفارنا اياكم واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث وقلتم تكفروننا على انكار شيء يحتمل التأويل ويثبت بالأحاديث فقد

أحبهم لحب الله حتى * أجيء اذا بعثت على هويا

هوى أعطيته منذ استدارت * رحى الاسلام لم يعدل سويا

(السوي والسواء الذي قد سوّى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفي القرآن بشرا سويا وتقول ساويت ذاك بهذا الامر أي جعلته مثلا له)

يقول الأرذلون بنو قشير * طوال الدهر ما تنسى عليا

بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا غالبي حسبك من غالب * ارحم علي بن أبي طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا * وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذي يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا انتظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهي فناء قريش * بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحي بقاء

لو تقفى ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميري يعني عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا المسيم * لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة ورووا أن عليا رضي الله عنه لما أوصى الى الحسن في وقف أمواله

ينبغي لكم أن لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث وان لا تكفروا واحدا خالفكم في شيء وأنتم أسرع الناس الى اكفارنا والى عداوتنا والنصب لنا

((فصل)) وأصحابنا حفظك الله اذا قاسوا خطأهم ومرّوا على غلطهم فانما ينقضون به شيئا من العرض والجوهر وشيئا من قولهم في المعلوم والمجهول فقط وهم قوم يكفيهم من التنبيه أقله ومن القول أيسره وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلج فليس هذا الجنس من ذلك الجنس والحمد

وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لان وقفه لهذين
الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان
أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الاسلام
صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع
فاطمة وولدها عليهم السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي
نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع
الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك
شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها
وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك
الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب
وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى
العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله
أنها صدقة علي بدواة وصحيفة قال فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق
به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء
أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله
وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما قال
محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار
فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بهما أبي ليقي الله بهما وجهه حر النار ولست بائعهما بشيء وتحدث
الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين
أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله
ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد
الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الالفة من صلاح ذات البين واجتماع
الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني الى أن يقدم

لله وأما أخبارهم عن
عيينا اياهم حين لم يقولوا
ان الله تبارك وتعالى رب
القرآن وفينا من لا يقول
ان الله تعالى رب الكفر
والايمان فانا لم نسألهم
عن ذلك من جهة
ما يتوهمون وانما
سألناهم عنه بجحدهم
ما يرون بأبصارهم
ويسمعون بآذانهم في
الاشعار المعروفة وفي
الخطب المشهورة وفي
الابتهال عند الدعاء
وعلى ألسنة العوام
وعند العهود والايمان
وعند تعظيم القرآن
وما يسمعون من السؤال
في الطرقات ومن
القصاص في المساجد

وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله
ابن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية أن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي
طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للاملاك
تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين
فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا يا حسين فقال أنت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن
علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله
ابن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك
قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى
ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث
الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا
صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس
فقال لصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الارحبي فركب علي اليهم الى
حروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكا على
قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحدا منكم
كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام
خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعد لك
فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة
أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع
ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان
الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب علي الناس فقال من
زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من
المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه

لا يرون فانيا ولا يسمعون
زاريا وليس انا جعلنا هذا
مسألة على من أنكر
خلق القرآن ولكنا أردنا
أن نبين للضعفاء معاندتهم
وفرارهم من البهت
ومكابرتهم اذا سمعوا أنهم
لم يسمعوا الناس يقولون
ورب القرآن ورب يس
ورب طه وأشباه ذلك
ولعمري أن لو سمعوا
الناس يقولون عند
اعانهم وابتهالهم الى ربهم
على غير قصد الى خلاف
ولا وفاق ورب الزنا والسرقة
ورب الكفر والكذب كما
سمعوهم وهم يقولون ورب
القرآن ورب يس ورب
طه ثم ألزمناهم خلق
القرآن بمثل ما لهم علينا

اليهم عبدَ الله بن العباس فلما صار اليهم رحّبوا به وأكرموه فرأى منهم جباهًا قَرِحةً لطول السجود وأيديًا كثَفِناتِ الابل عليهم قُمُصٌ مُرحَضةٌ وهم مُشمِّرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال جئتكم من عند صِهْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلَمِنا بربه وسُنَّة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيمًا حين حكَّمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نَشَدْتكم الله الا ما صَدَقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنَبٍ تُساوي رُبْعَ درهمٍ تُصادُ في الحرم وفي شِقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكَ عن القتال للهُدْنة بينه وبين أهل الحُدَيْبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ عليٌّ على الحَكَمين أن لا يجورا وان يجورا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدَّعي مثل دعوى علي قال فأيُّهما رأيتموه أولى فولّوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جار الحَكَمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلّى بهم صلواتهم ابنُ الكَوّاء وقال متى كانت حربٌ فرئيسكم شَبَثُ بن رِبْعِيّ الرِياحيُّ فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البَيْعة لعبد الله بن وَهْب الراسبي قال ومضى القومُ الى النهروان وكانوا أرادوا المُضِيَّ الى المَدائن (قال الاخفش كذا كان يقول المبرد النِهرِوانُ بكسر النون والراء وانما هو النَهْرَوانُ بالفتح وأنشد للطِرِمّاح

* وَلَّى في شَطّ نَهْرَوان * قاضِي) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًا فقتلوا المسلم وأَوْصَوْا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمّة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عُنُقك ليأمُرُنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآنُ فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثَبَ رجلٌ منهم على رُطَبةٍ فوضعها في فيه فصاحوا به فلَفَظها تورُّعًا وعَرَضَ لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن خَبّاب ما عليَّ منكم بأسٌ اني لَمُسْلِمٌ قالوا له حدِّثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنةٌ يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت بدنه يُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا فكُنْ عبدَ الله المقتولَ ولا تكن القاتلَ قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما

في خلق الزنا لقد كان ذلك معارضة صحيحة وموازنة معروفة وأما قولهم ان معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث وليس معهم الا أصحاب الأهواء ومن يأخذ دينه من أول الرجال فأي صاحب تقوى يرحمك الله أبعد من الجماعة من الرافضة وهم في هذا المعنى أشقياؤهم وأولياؤهم لان ما خالفوهم فيه صغير في جنب ما وافقوهم عليه والذين سموهم أصحاب أهوائهم المتكلمون والمصلحون والمستصلحون وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون

بياض بالاصل

تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأنبئني خبرا قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه فامذقر دمه أي جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جني نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبي سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وباعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الاهواء لتقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ثم خرج في عقب هذا اليوم والشيعة تنتحله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن علي صلوات الله عليه اني لست أرى رأي الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأي قد اشتهى جماعة من الاشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذلك في مالك بن أنس ويروي الزبيريون أن مالك بن أنس المدني كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الاعفر فأما أبو سعيد الحسن البصري فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا

ولا يحصلون ولا يتخيرون والتقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن فقد عكسوا الأمور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك أن من نظر وبحث وقابل ووزن أحق بالتبيين وأولى بالحجة وأما قولهم منا النساك والعباد فعباد الخوارج وحدهم أكثر عددا من عبادهم على قلة عدد الخوارج في جنب عددهم على أنهم أصحاب نية وأطيب طعمة وأبعد من التكسب وأصدق ورعا وأقل زيا وأدوم طريقة وأبذل لمهجة وأقل جماعا ومنعا وأظهر زهدا وجهدا

ويقول لولم نلعنهم للُعِنّا ثم يذكر عليا فيقول لم يزَلْ أميرُ المؤمنين عليٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفُهُ النصرُ ويساعده الظَفَرُ حتى حَكَّمَ فَلِمَ تُحَكِّمُوا والحقُّ معكَ الا تمضى قُدُماً لا أبالكَ وأنت على الحق ﴿ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جَفاءٌ والعربُ تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراءِ وربما استعملتها الجُفاةُ من الأعْراب عند المسئلة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر فى أمر رعيتكَ لا أبالَكَ وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سَنَةٍ جَدِيبةٍ يقول

رَبَّ العِبادِ مالَنا ومالَكا * قد كنتَ تَسْقِينا فما بَدا لَكا * أَنْزِلْ علينا الغَيْثَ لا أبالَكا

فأخرجه سليمان أحسن مَخْرَجٍ فقال أشهد أنه لا أباله ولا وَلَدَ ولا صاحبةَ وأشهد أن الخَلْقَ جميعا عباده • وقال رجل من بنى عامر بن صَعْصعةَ أَبْعَدَ من هذه الكلمة لبعض قومه

أبنى عُقَيْلٍ لا أبا لأبيكُمُ * أَيِّى وأَىُّ بَنِى كِلابٍ أَكْرَمُ

وقال رجل من طَيِّئٍ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أبا لكُمُ * يا قُرْطُ انى عليكم خائفٌ حَذِرُ

أَأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ واصطاف أَعْنُزُهُ * من التِلاعِ التى قد جادَها المطرُ

قلتم له اهْجُ تَمِيماً لا أبا لكُمُ * فى كف عبدكُمُ عن ذاكُمُ قِصَرُ

فان بيتَ تَمِيمٍ ذو سَمِعْتَ به * فيه تَنَمَّتْ وأرسَتْ عِزَّها مُضَرُ

قوله يا قرط قرط حيى نَصَبَهُما معاً أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيى فأقحموا قرطا الثانى توكيدا وكذلك لجرير

يا تَيْمَ تَيْمَ عدِيٍّ لا أبا لكُمُ * لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْأَةٍ عُمَرُ

ومثله لعُمَرَ بن لَجَأ يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُبَّلِ * تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانْزِلِ

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيدُ زيدَ اليعملات ويا تَيْمُ تَيْمَ عدى كما تقول يا زيدُ أخا عمرو على النعت ومثل الاول فى التوكيد يا بُؤْسَ للحرب أراد يا بؤسَ الحربِ فأَقْحَمَ اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبالك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت الألف فى الأب لانك تقول رأيت أبالك فاذا أفردتَ قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أبالك كما قال الشاعر

أبالموت الذى لا بُدَّ أَنّى * مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفِينى

وامل عبادة عمرو بن عبيد تنى بعبادة عامة عبادهم واما قولهم ان للقرآن قلبا وسناما ولسانا وشفتين وانه يقدس ويشفع ويحل فان هذا كله قد يجوز ان يكون مثلا ويجوز ان يجعله الله كذلك اذا كان جسما والله على ذلك قادر وهوله غير معجز ومنه غير مستحيل وكل فعل لا يكون عيبا ولا ظلما ولا بخلا ولا كذبا ولا خطأ فى التدبير فهو جائز والتعجب منه غير جائز
(فصل منه) وما أكثر من يجيب فى المسائل ويؤلف الكتب على

وقال آخر وقدمات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أباك يخلد

وقوله آن روى من قش من قش رجل وروى استقى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لاهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلثة وأصغرمنها السطيحة وأصغرهن الطبع وقوله واصطاف أعنزه يريد افتعلت من الصيف أى أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الأرض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طيئ تجعل ذو فى معنى الذى قال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال * انى أرى فى عامر ذو ترون * وقال عارق الطائى

فان لم يغير بعض ما قد فعلتم * لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه

يريد الذى ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادا للايثار لغة قومه قال الحسن بن هانئ الحكمى

حب المدامة ذو سمعت به * لم يبق فى لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة * فأنا المقيم قيامة العذال

وقال الحسن بن وهب الحارثى

علانى بذكرها عللانى * واسقيانى أولا فلا تسقيانى
أنا ذو لم يزل يهون على الند * مان أن عز جانب الندمان
ويكون العزيز فى ساعة الرو * ع بصدق الطعان يوم الطعان

﴿ عاد الحديث الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان فى جملة الخوارج لددوا احتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذى طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد وفى حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبى عليه السلام فقال ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل

قدر ما يسنح له فى وهمه وعلى قدر ما يتصور له فى حاله تلك لا يعمل على أصله ولا يشعر بالذى انبنى عليه ذلك الأصل وان كان ممن يعمل على أصل وانما صار علماؤنا الى ما صاروا اليه لانهم لا يقفون من القول فى خلق القرآن على جواب مهذب ومذهب مصفى وعلى قول مفروغ منه وعلى جوابات بأعيانها فقد رددوا فيها النظر وامتحنوها بأغلاظ المحن وقلبوها وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير وتعرفوا كل ما فيها واعتصروا جميع قواها وسهلوا سبلها وذبوا العناد عنها

رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة تصدّى له علىّ بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها ويروى عن أبي مريم عن علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا في المسجد كان فقيرا وكان يحضر طعام على اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لانظرنّ الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكوّاء وشبث بن ربعي ورسول على تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول على فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم النهر قال علىّ اطلبوا المخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علىّ والله ما كذبت ولا كُذبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علىّ ساجدا وكان اذا أتاه ما يسرّ به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السنّور ايتوني بيد المخدجة فأتوه بها فنصبها ويروى عن أبي الجلد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتوغله وتعمقه فقال اني لاجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرّا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق ينتجع عبد الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوة ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدثت أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وسق فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال ابن عباس أما سمعت قول الراجز

انّ لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ويعرض القول فيحتاج المبتدئ الى أن

احتقارا منهم لمن خالفهم واتكالا على طول السلامة منهم وثقة بطول الظفر بهم ومن تمام أمر صاحب الحق ان لا يتكل على عجز الخصم وان لا يعجب بظهوره على من لا حظ له في العلم وعلى العلماء ان يخافوا دول العلم كما يخاف الملوك دول الملوك وقد رأيت البكرية والجبرية والفضلية والشمرية وانهم لأحقر عند المعتزلة من جعل وما زالوا يستقون من علمائهم ويستمدون من كبرائهم ويدرسون كتبهم ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم حتى رأيت شبههم

يزداد فى التفسير قوله حقائقا اغنا بنى الحقة من الابل وهى التى قد استحقت أن يُحمَل عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال استوسق القومُ اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عزوجل قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فأنشده

سَلْمٌ ترى الدالجَ منها أزورا ٭ اذا يَعُجُّ فى السرىّ هَرْهَرا

السَّلْمُ الدلو الذى له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذى ذكره طرفة فقال

لها مرفقان أفتلان كأنما ٭ أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث يُنشدون ترى الدالىَ منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعىُّ المُلزَقُ أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً ٭ كما زيد فى عرض الاديم الاكارعُ

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزَّنَمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنفةٌ (الاُمُّ زِعنِفةٌ بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زَعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساقُ بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضّت به الحربُ عضها ٭ وان شمّرت عن ساقها الحربُ شمّرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب ابن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الوقعة التى كانت لهم عليهم بالسند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها ٭ كطول الليالى ليت صبحك نوّرا

أخاف على نفس ابن أحوز انه ٭ جلا حُمما فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

ونابتتهم يدعون انهم اكفاء ويجمع بينهم فى البلاء والنابتة اليوم فى التشبيه به مع الرافضة وهم دائبون فى التألم من المعتزلة عددهم كثير ونصبهم شديد والعوام معهم والحشو يطيعهم الآن معك أمر ان السلطان وميلهم اليه وخوفهم منه والعاقبة للمتقين

(فصل من صدر كتابه فى الرد على النصارى) الحمد لله الذى من علينا بتوحيده وجعلنا ممن ينفى شبهة خلقه وسياسة عباده وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ولا نجحد كتابا أوجب

حذاراً على نفس ابن أحوزانه * جلا كل وجه من معدّ فأسفرا

وقوله عدى يعنى عدى بن أرطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله) جعلت لقبر للخيار ومالك * وقبر عدى فى المقابر أقبرا

(ويروى للخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعى وواسط بها قبر عدى ابن أرطاة الفزارى) وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

(المزون عمان بالفارسية)

فلم تبق منهم راية يعرفونها * ولم تبق من آل المهلب عسكرا *

ألا رب سامى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا انظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبى سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعنى الحرب فان شمرت لك عن ساقها * فويهاً حذيف ولا تسأم

(تقول ويهاً الزيد اذا زجرته عن الشئ وأغريته به وواهاله اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) ويروى عن أبى عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبى الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله وأعطاه كيف عنى بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قف يا وقاف كيف يبصر ما تحت الارض والفخ يغطى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمت أنه اذا جاء القدر عشى البصر وهما سأله عنه الم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتاباً هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعنى بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذى كنتم تتوقعونه وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخى خنساء مرة وفزارة فعمدا بناحية لدريد وهاشم ابنا حرملة المريان عمدا معاوية فاستطرد له

علينا الاقرار به ولا نضيف اليه ما ليس منه انه حميد مجيد فقال لما يريد أما بعد فقد قرأت كتابكم وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللبس والذى خفتموه على جواباتهم من العجز وما سألتم من اقرارهم بالمسائل ومن حسن معونتهم بالجواب وذكرتم انهم قالوا ان الدليل على ان كتابنا باطل وأمرنا فاسد أننا ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم لانا نزعم ان الله جل وعز

أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد انا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ * ـع منينا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني * ولم تخني عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزي في كتاب الاضداد أن المنين يكون القوي يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لا يمن عليهم فيكدر عندهم ويروى من غير وجه أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس الا تنشدنا شيأ من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

بحاجة نفس لم تقل في جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

قال في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وانهم زعموا انهم لم يدينوا قط بان مريم اله في سرهم ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم وانهم زعموا انا ادعينا عليهم مالا يعرفون كما ادعينا على اليهود مالا يعرفون حين نطق كتابنا وشهد نبينا ان اليهود قالوا ان عزير بن الله وان يد الله مغلولة وان الله فقير وهم أغنياء وهذا مالا يتكلم به انسان ولا يعرف في شئ من الاديان ولو كانوا

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

وأخرى أتت من دون نعم ومثلها * نهى ذا النهى لو يرعوي أو يفكر

اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيته يتنمر

عزيز عليه أن أمر ببابها * مسر لي الشحناء والبغض مظهر

ألكني اليها بالسلام فانه * يشهر الممامى بها وينكر

بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر

قفي فانظري يا أسم هل تعرفينه * أهذا المغيري الذي كان يذكر

أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكن * وعيشك أنساه الى يوم أقبر

فقالت نعم لاشك غير لونه * سرى الليل يحيي نصه والتهجر

لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخصر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتا فقال له ابن الازرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال انما قال فيضحى وأما بالعشي فيخصر قال أو تحفظ الذي قال قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده اياها وروى الزبيريون أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من علي وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول في البردين فاذا ذكر العشي فقد دل على عقيب العشي قال الله تبارك وتعالى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة * أغر أبرزه للضح راقبه * مقلد قضب الريحان مفغوم له فغمة أي رائحة طيبة يعني ابريقا فيه شراب وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه

يقولون في عزير ما قلتموه وادعيتموه لما جحدوه من دينهم ولما أنكروا ان يكون من قولهم ولما كانوا بانكار نبوة عزير أحق منا بانكار نبوة المسيح ولما كان علينا منهم بأس بعد عقد الذمة وأخذ الجزية وذكرتم انهم قالوا ومما يدل على غلطكم في الاخبار وأخذكم العلم عن غير الثقاة ان كتابكم ينطق ان فرعون قال لهامان ابن لي صرحا وهامان لم يكن الا في زمن الفرس وبعد زمن فرعون بدهر طويل وان ذلك معروف عند أصحاب الكتب مشهور عند أهل العلم

ومهدت له فى ظل فقال أظلّ ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ماهذا بخير فركب ناقته ومضى فى اثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكره أحد منهم الا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو واذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الاول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسر برأى الخوارج فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبى مسلم الأمير ويلك يكلمك فقالت بل الويل والله لك يافاسق الردىّ والردىّ عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ما ثبت الله علىّ من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لاقتلنك ان لم تطع فانا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجى فقال له دعه يبك فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ما ينبغى أن يشغل المؤمن عن قول الحق شىء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد يعتذر اليه لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حبستك ثم قال عبد الملك من شككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى وكان عبد

وانما اتخذ صرحا ليكون اذا علاه أشرف على الله وفرعون لا يخلو من ان يكون جاحدا لله تعالى أو مقرا به فان كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحده فما وجه اتخاذ الصرح وطلب الاشراف وليس هنالك شىء ولا اله وان كان مقرا بالله عارفا به فلا يخلو من ان يكون مشبها أو نافيا للتشبيه فان كان ممن ينفى الطول والعرض والعمق والحدود والجهات فما وجه طلبه له فى مكان بعينه وهو عنده بكل مكان وان كان مشبها فقد علم انه ليس فى طاقة بنى آدم ان يبنوا بنيانا

الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجد نعتى فى شىء من كتب الله قال أى والله لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من بينهم قال فكيف تجدنى قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لا تقبل هذا منى ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضى الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا المخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأراه من بالشام من بنى أمية فقال ما أراه هوهنا فوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا فى يده طائر فقال للرسل هاهو ذا ثم صاح به الىّ ابو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لى قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالى من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمته أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها فى مخلفيه فى وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم فى شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك قال أبو العباس وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا وانى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال

أو يرفعوا صرحا يخرق سبع سموات بأعماقهن والاجزاء التى بينهن حتى يحاذى العرش ثم يعلوه وفرعون وان كان كافرا فلم يكن مجنونا ولا كان الى نقص العقل من بين الملوك منسوبا على ان الحكم قد يقوم بعقول الملوك بالفضيلة على عقول الرعية وذكرتم انهم قالوا تزعمون ان الله تعالى ذكر يحيى بن زكريا يخبر انه لم يجعل له من قبل سميا وانهم يجدون فى كتبهم وفيما لا يختلف فيه خاصتهم وعامتهم انه كان من قبل يحيى بن زكريا غير واحد يقال له يحيى منهم يوحنا بن فرح

كنت عند أمير المؤمنين المنصور فى اليوم الذى أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن
قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء فى وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك
حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده بن عبد الله بن على فانا كذلك اذ نظر الى الاعلام
السود من بعد فقال ماهذه الخرق المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على
ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذى
رأيته فى وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته
والله لوددت أن على بن أبى طالب مكانه قال فقال لى المنصور آلله اسمعت هذا من مروان بن محمد
قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ۞ قال أبو العباس وكان أهل النخيلة جماعة
بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبى أيوب وممن كان أقام بالكوفة
فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم
اذ فقام منهم قائم يقال له المستورد من بنى سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته
حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله
عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل
الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس فى
اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا محكما فى دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله
المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم على بن أبى طالب عبد الله
ابن العباس داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه الساعة
فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له على توكلت على الله وحده وعصيت رأى كل متكهن أنت
تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا
هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة
منهم المستورد وابن جوين الطائى وفروة بن شريك الاشجعى وهم الذين ذكرهم الحسن البصرى
فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا

وزعمتم انهم قالوا لكم
انكم ذكرتم ان الله قال فى
كتابه لنبيكم وما أرسلنا
من قبلك الا رجالا نوحى
اليهم فاسئلوا أهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وانما
عنى بقوله أهل الذكر
أهل التوراة وأصحاب
الكتب يقولون ان الله
قد بعث من النساء نبيات
منهم مريم بنت عمران
وبعث منهن حنة
وسارى ورفقى وذكرتم
انهم قالوا زعمتم ان عيسى
تكلم فى المهد ونحن على
تقصدنا له وتقريبنا
لامره وافراطنا بزعمكم
فيه على كثرة عددنا
وتفاوت بلادنا واختلافنا
فيما بيننا لا نعرف ذلك

فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذى دان يوم النهروان به * وشاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يارب فى عنقى * ومثلها فاسقنى آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان على على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فماباله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه كان يقول إذا أفضيت بسرى الى صديقى فأفشاه لم ألمه لانى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار وأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الاسدى فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن على صلوات الله عليه بعد

ولا ندعيه وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلف ولا ادعاه منا مدع ثم هذه اليهود لا تعرف ذلك وتزعم انها لم تسمع به الا منكم ولا تعرفه المجوس ولا الصابئون ولا عباد المدرة من الهند وغيرهم ولا الترك والخزر ولا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السالفة والقرون الماضية ولا فى الانجيل ولا فى ذكر صفات المسيح فى الكتب والبشارات به على ألسنة الرسل ومثل هذا لا يجوز ان يجهله الولى والعدو وغير الولى وغير العدو ولا يضرب به مثل ولا يروح به الناس ثم يجمع

أن يا بعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولى لحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بني أجيئك با بنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما انظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذى الجموع حوثره * فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذووا العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وماذا يضرك من شهرتي * اذا كان سرك لا يشهر

أمني تخاف انتشار الحديث * وحظي في ستره أوفر

ولو لم تكن في بقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

ويروى من حديث محمد بن كعب القرظي قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله

النصارى على رده مع حبهم لتقوية أمره ولم يكونوا البضاد وهم فيما يرجع عليهم نفعه وكيف لم يكذبوكم في احيائه الموتى ومشيه على الماء وابراء الاكمه والابرص بل لم يكونوا ليتفقوا على اظهار خلاف دينهم وانكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ومثل هذا الاينكتم ولا ينفك ممن يخالف وينم والكلام في المهد أعجب من كل عجب وأغرب من كل غريب وأبدع من كل بديع لان احياء الموتى والمشي على الماء واقامة المقعد وابراء الاعمى وابراء الاكمه قد

صلى الله عليه وسلم فقال لعلي يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرني يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذي عقر الناقة وأشقاها الذي يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال تلقاني علي صلوات الله عليه في الغلس فقال لي من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعي فقال ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه ويروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند التضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا ويروى عن رجل من ثقيف أنه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمداين وأراد علي المسير الى الشام فوجه معقل بن قيس الرياحي ليزجيهم اليه وكان ابن عم لي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر من خرج فقال تغدو علينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني اني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى علي كرم الله وجهه قالت أم العريان

وكنا قبل مهلكه زمانا * نرى نجوى رسول الله فينا

قتلتم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

أتت به الانبياء وعرفه الرسل ودار في اسماعهم ولم يتكلم صبي قط ولا مولود في المهد وكيف ضاعت هذه الآية وسقطت حجة هذه العلامة من بين كل علامة وبعد فكل أعجوبة يأتي بها الرجال والمعروفون بالبيان والمنسوبون الى صواب الرأي تكون الحيلة في الظن اليها أقرب وخوف الخدعة عليها أغلب والصبي المولود عاجز في الفطرة ممتنع من كل حيلة وهذا لا يحتاج فيه الى نظر ولا ليشبهه من شاهده بدخل

(فصل منه) وسنقول في جميع ما ورد علينا من

وروى أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الاشعث بن قيس بن معدي كرب وأن حجر ابن عدي سمع الاشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدي للاشعث أنت قتلته يا أعور وروى أن الذي سمع ذلك أخو الاشعث عفيف بن قيس وانه قال لاخيه عن أمرك كان هذا يا أعور ۞ واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ۞ خرج قريب بن مرة الازدي وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد واختلف الناس في أمرهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبي وتنادى الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الازد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بني علي البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بني علي

لا شيء للقوم سوى السهام * مشحوذة في غلس الظلام

فهرب عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يا معشر الازد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت انكم أرثتموها فكانت القبائل اذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من حسن تدبيره وله أخرى في الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر نساء

مسائلكم وفيما لا يقع الحكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة الاضطرارية ثم نسئلهم بعد جوابنا اياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم وانتثار مذهبهم وتهافت دينهم ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال مالا نحسن ونسئله القصد في القول والعمل وان يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه انه قريب مجيب فأنا مبتدئ في ذكر الاسباب التي لها صارت النصارى أحب الى العوام من المجوس وأسلم صدورا عندهم من اليهود

المشركين

المشركين والخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

انّ من أعظم الكبائر عندي * قتل حسناء غادة عطبول

قُتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل

كُتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جرّ الذيول

قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كحيلة والاخرى قطام فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس في هذه الآية والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المشركين وقال ابن مسعود الزور الغناء فقيل لابن عباس أو ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعني امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هي احداهم كما قال الله عز وجل وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا في الغابرين منهم البلجاء وهي امرأة من بني حرام ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سجاح التي كانت تنبأت وسنذكر خبرها في موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حدير أبو بلال وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج وكان مجتهدا كثير الصواب في لفظه فلقيه غيلان بن خرشة الضبي فقال يا أبا بلال اني سمعت الامير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين في التقية فاستتري فان هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت ان يأخذني فهو أشقى بي فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببي فوجه اليها عبيد الله بن زياد فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرّج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداس ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له اني أرى لك مذهبا حسنا واني لأحب أن أوليك معروفا أفرأيت

وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفرا وأهون عذابا ولذلك أسباب كثيرة ووجوه واضحة يعرفها من نظر ويجهلها من لم ينظر أول ذلك أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحقد وانما يعادي الانسان من يعرف ويميل على من يرى ويناقض من يشاكل ويبدو له عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام من سائر

ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج الى قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله فى حبس الخوارج وقتلهم فكلم فى بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد ما أدرى ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لاقتلن من فى حبسى منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله فى نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال انى ما كنت لالقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال انى قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت وروى أن مرداسا مر باعرابى يهنأ بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه فظن الاعرابى انه قد صرع فقرأ فى أذنه فلما أفاق قال له الاعرابى قرأت فى أذنك فقال له مرداس ليس بى ما خفته على ولكنى رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابنى ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع على بن أبى طالب صلوات الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد فى طلب الشراة عزم على الخروج فقال لاصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فارادوا أن يولوا أمرهم حريثا فابى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى باصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بدينى ودين أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف على مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فانى لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فاخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقى فقال انهم يقسمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولابى بلال أشعار فى الخروج

الناس وسائر العرب أطول وعداوتهم أشد فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا وقد كانت الانصار متقدمة الجوار مشاركة فى الدار حسدتهم اليهود على نعمة الدين والاجتماع بعد الافتراق والتواصل بعد التقاطع وشبهوا على القوام واستمالوا الضعفة ومالؤا الاعداء والحسدة ثم جاوزوا الطعن وادخال الشبهة الى المناجزة والمنابذة بالعداوة فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى قتالهم واخراجهم من ديارهم وطال ذلك واستفاض فيهم وظهر وترادف لذلك الغيظ

اخترتُ منها قوله

أبعدَ ابن وهب ذي النزاهة والتقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أُحبُّ بقاءً أو أرجّي سلامةً * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيارب سلّم نيّتي وبصيرتي * وهب لي التقى حتى أُلاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحداً فانما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليُعرَف فلو قال رجل ضربته لم يجز لانه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوما يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمةُ بن عَبَدة في افتتاح قصيدته هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ * أم حبلُها اذ نأتك اليوم مصرومُ لانه قد عُلم أنه يريد حبيبته وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فاذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرباً فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لاخي أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فابلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ولا لنروع أحدا ولكن هرباً من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ثم قال أنُدب الينا أحد قلنا نعم أسلمُ بن زُرعة الكلابي قال فمتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عُبيد الله أسلمَ بن زُرعة في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيأً فما الذي تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذاً يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه في دمائنا قال اني أدين بأنه محق وانكم مبطلون فصاح به حُريث بن حَجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويخص بالفيء ويجور في الحكم اما علمت انه قتل بابن سُعادَ أربعةً براء وانا أحد قتلته ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن

وتضاعف البغض وتمكن الحقد وكانت النصارى لبعد ديارهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره لا يتكلفون طعنا ولا يثيرون كيدا ولا يجمعون على حرب فكان هذا أول أسباب ما غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى ثم كان من أمر المهاجرين الى الحبشة واعتقادهم على تلك الجهة ما حببهم الى عوام المسلمين وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود ومن شأن الناس حب من اصطنع اليهم خيرا أو جرى على يديه وأمر آخر وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة وحفظتها

يذمّني ابن زياد حيًّا أحبّ الى من أن يمدحني ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا
به أبو بلال وربّما صاحوا به يا مُعَبَّد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فامر ابن زياد الشُّرَط أن
يكفّوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبة في كلمة له

فلما أصبحوا صلّوا وقاموا * الى الجُرد العتاق مسوّمينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظلّ ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لمّا أتاهم * بأنّ القوم ولّوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكنّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شكّ * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عبّاد بن أخضر وليس بابن أخضر وهو عباد بن علقمة
المازني وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه في أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم
ان القوم قد كانوا تنحّوا عن درابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم في يوم جمعة
فناداه أبو بلال اخرج اليّ يا عباد فاني أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذي تبغي قال ان آخذ
بأقفائكم فاردّكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نخيف
سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبي الا ما حمينا فقال له عبّاد الامر ما قلت لك
فقال له حريث بن حجل أتحاول ان تردّ فئة من المسلمين الى جبّار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال
منه وما من ذاك بدّ وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال
ما هذا قالوا الشُّراة فحمل عليهم ونشبت الحرب وأُخذ القعقاع أسيرا فأُتي به أبو بلال فقال
ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فاصلح
من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس عليّ بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكرّ على الحرورية مهري * لاحملهم على وضح الصراط

النصارى واختبت
واستمالت قلوب الرعاع
والسفلة وهو قول الله
تعالى لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين أشركوا
ولتجدن أقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا
انا نصارى الى قوله وذلك
جزاء المحسنين وفي نفس
الآية أعظم الدليل على
ان الله تعالى لم يعن
لا النصارى ولا أشباههم
الملكانية واليعقوبية
وانما عنى ضرب بحيرا
وضرب الرهبان الذين
كان يخدمهم سلمان وبين
حمل قوله الذين قالوا انا
نصارى على الغلط منهم
في الأسماء وبين أن تجرى
عليهم لأنهم نصارى
فرق كما ذكر اليهود أنه جاء
الاسلام وملوك العرب
رجلان غساني ولخمي وهما
نصرانيان وقد كانت

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا الصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتي برأس أبي بلال وتروي الشراة أن مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحي يعجبه من الآية ويرغبه في مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود ابن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النضري من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لي حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت أن الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمي وكان في القوم كهمس وكان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك لله ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الخطي

ألا في الله لا في الناس شالت * بداود واخوته الجذوع

مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس

تركتني هائما أبكي لمرزئتي * في منزل موحش من بعد ايناس

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

العرب تدين لهما وتؤدي الاتاوة اليهما فكان تعظيم قلوبهم لهما راجع الى تعظيم دينهما وكانت تهامة وان كانت لقاحا لا تدين ولا تؤدي الاتاوة ولا تدين للملوك لأنها كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس وتصغير ما صغروا ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب معروفة عند أهل النسب ولولا ذلك لدللت عليها بالأشعار المعروفة والأخبار الصحيحة وقد كانت تتجر الى الشام وتنفذ بجالها الى ملوك الروم ولها رحلة في الشتاء والصيف في تجارة مرة الى اليمن ومرة قبل الشام ومصيفها بالطائف فكانوا أصحاب نعمة وذلك مشهور مذكور في القرآن وعند أهل المعرفة وقد كانت

أمّا شربتَ بكاس دارَ أوّلُها ❊ على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاس
فكل من لم يذقها شاربٌ عجلاً ❊ منها بانفاس وِرْدٍ بعد أنفاس

ثم ان عباد بن أخضر المازنى لبثَ دهرا فى المصر محمودا موصوفا بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يقتلوه فذمّر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنُه رديفه فقام اليه رجلٌ منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيتَ رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاهٌ وقدرٌ وناحية من السلطان أَلِوَلِيّ ذلك المقتول أن يقتلَه به إن قدَرَ عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يُعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتلَه به قتلَه به السلطان قال دَعْ ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكّموا هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عبادٌ ابنَه فنجا وتنادى الناس قُتل عبادٌ فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق وكان مقتلُ عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب فجاء معبد بن أخضر اخو عباد وهو معبد بن علقمة وأخضر زوج أمهما فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناسُ وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحدٌ الا عبيدة بن هلال فانه خرق خُصًّا ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق

لقد أدركَ الأوتارَ غيرُ ذميمة ❊ اذا ذُمّ طلّابُ الترات الأخاضرُ
هُمُ جرّدوا الأسيافَ يوم ابن أخضر ❊ فنالوا التى ما فوقها نال ثائرُ
أقادوا به أُسْدًا لها فى اقتحامها ❊ اذا برزتْ نحو الحروب بصائرُ

ثم ذكر بنى كليب لانه قُتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال فى كلمته هذه

كفعلِ كليبٍ اذ أخلّتْ بجارها ❊ ونصرُ اللئيم معتمٌ وهو حاضر
وما لكليب حين تذكرُ أولٌ ❊ وما لكليب حين تُذكرُ آخر

وقال معبد بن أخضر سأحمى دماءَ الأخضريين انه ❊ أبى الناسُ الا أن يقولوا ابنَ أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفتُه على البصرة عُبَيدُ الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يُعرَف بهذا الرأى الا حبسه وجدّ فى طلبه ممن تغيّب منهم فجعل عبيد الله بن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شُفع اليه فى أحد منهم كفَله الى أن يقدَم ابن زياد حتى

تهاجر الى الحبشة وتأتى باب النجاشى وافدة فيحبيهم بالجزيل ويعرف لهم الاقدار ولم يكن يعرف ذلك كسرى ولا تأنس بهم وقيصر والنجاشى نصرانيان وكان ذلك أيضا للنصارى دون اليهود والآخر من الناس تبع للأول فى تعظيم من عظم وتصغير من صغر وأخرى وهى أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية وعليها غالبة الا مضر فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم تفش فيها النصرانية الا من كان قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العباد فانهم كانوا نصارى وهم مغمورون مع نبذ يسير فى بعض القبائل ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام وغلبت النصرانية على ملوك

أُتِيَ بعروة بن أُدَيَّةَ فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجي ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة هات عروة بن أدية قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دُلَّ عليه في سَرَب العلاء بن سُوَيَّة المنقري فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه في شَرَب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عُذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرّج عليها ويروى انه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى وكانت أسنّ من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج اهروري منذ اليوم ۞ رجع الحديث فقال للكاتب صحّفت والله ولؤمت انما هو في سَرَب العلاء بن سُوَيَّة ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أدية بين يديه حاوره وقد اختلف العلماء في خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك عليّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لي عزا ولقد أردت له ما أريد لنفسي فعزم عزما فمضى عليه وما أحب لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأمثلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت عليّ دنياي وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره

قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن

العرب وقبائلها على
لخم وغسان والحارث بن
كعب بنجران وقضاعة
وطيء في قبائل كثيرة
وأحياء معروفة ثم ظهرت
في ربيعة فغلبت على
تغلب وعبد القيس وأحياء
بكر ثم في آل ذي الجدين
خاصة وجاء الاسلام
وليست اليهودية بغالبة
على قبيلة الا ما كان من
ناس من اليمانية ونبذ
يسير من جميع اياد وربيعة
ومعظم اليهودية انما
كان بيثرب وحمير وتيماء
ووادي القرى في ولد
هارون دون العرب
وعطف قلوب دهما
العرب على النصارى
الملك الذي كان فيهم
والقرابة التي كانت لهم
ثم رأت عوامنا أن فيها
ملكا قائما وان فيهم عربا
كثيرة وان بنات الروم
ولدن لملوك الاسلام

أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده فخرجوا عليه فأماز ياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة ووجه يوما بجبينة بن كبيش الامرحي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاءه بجبينة فأخذه فقال اني أريد أن أحدث وضوأ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوأ ثم خرج فأتى به بجبينة زيادا فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال فعدت عني فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذي يمنعكم من اتياني الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشوني الآن واسمروا عندي فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشام في شامهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جندي سابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمران بن حطان وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم وللرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر نذكر منها طرفها ان شاء الله قال المرادي

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

وان في النصارى متكلمين واطباء ومنجمين فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ولم يروا ذلك في اليهود وانما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لان اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر والكلام في الدين بدعة وانه مجلبة لكل شبهة وانه لا علم الا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء وان الايمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج الى الدهرية والخلاف على الاسلاف وأهل القدوة حتى انهم ليبهرجون المشهور بذلك ويحرمون كلام سالك سبيل أولئك ولو علمت العوام أن النصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان ولا بعد روية الا حكمة الكف من

جماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه نخرجوا اليه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدرى ما الذى رده فغضب ابن الزبير على القرشى وعجّزه ورده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه نخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشى فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بنى هاشم فقال لتبايعن أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذى حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

ومن يأت هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففى ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصى محمد بن على أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك فى وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم ومذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

بالجوار وتدانى الدار فانها ما أضافوه الى أنفسهم منها ما حولوه الى ملتهم لما كان من مشهور لتبهم ومعروف حكمهم انهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا ان اليونانيين قبيل من قبائل الروم ففخروا بأديانهم على اليهود واستطالوا بها على العرب وبذخوا بها على الهند حتى زعموا أن حكماءنا اتباع حكمائهم وان فلاسفتنا احتذوا على مثالهم فهذا هو دينهم هذا ودينهم رحمك الله يضاهى الزندقة ويناسب فى بعض وجوهه قول الدهرية وهم من أسباب كل حيرة وشبهة والدليل على ذلك انا لم نر اهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى ولا أكثر متحيرا أو مترنحا منهم وكذلك شأن

جماعة من أهلها اخرجوا الى هـذا المغرور فردوه فخرجوا اليـه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت
الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قارب نار رجع
فما أدري ما الذي رده فغضب ابن الزبير على القرشي وعجزه ورده الى الكوفة فلما اشار فيها قال
المختار اخرجوا الى هـذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار
الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشي فلما كان في الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك
المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم فقال لتبايعني
أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن يأت هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففي ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال في الحرم وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان
عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على
ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه فكان ابن الزبير اذا
حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب
اليـه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء
ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك في وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى
الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم ومذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل
ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم
ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

الجوار وتداني الدار فمنها
ما أضافوه الى أنفسهم
ومنها ما حولوه الى ملتهم
الاماكن من مشهور
كتبهم ومعروف حكمهم
فانهم حين لم يقدروا على
تغيير أسمائها زعموا ان
اليونانيين قبيل من
قبائل الروم ففخروا
بأديانهم على اليهود
واستطالوا بها على العرب
وبذخوا بها على الهند
حتى زعموا أن حكماءنا اتباع
حكمائهم وان فلاسفتنا
احتذوا على مثالهم فهذا
هو دينهم هذا ودينهم
يرحمك الله يضاهي الزندقة
ويناسب في بعض
وجوهه قول الدهرية
وهم من أسباب كل
حيرة وشبهة والدليل على
ذلك انا لم نر اهل ملة قط
أكثر زندقة من النصارى
ولا أكثر متحيرا أو مترنحا
منهم وكذلك شأن

الخروجَ الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيمُ الا أن يستأذن محمدَ بن على بن أبى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد أن المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدَى مَنْ يَشاءُ من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يُشَيِّعُهُ ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال انى أحب أن تَغْبَرَّ قدماىَ فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بِيضًا ضِخامًا وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حِصْتُمْ حَيْصةً فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غِضابٍ تأتى فى صُوَرِ الحمام دُوَيْنَ السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازِرَ وبها عُبَيْدُ الله بن زياد قال مَنْ صاحبُ الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشئ وعلى مَيْمنَتِه ابن زياد حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكونىُّ من كِنْدةَ ويقال السَّكونىُّ والسُّكونىُّ والسَّدوسىُّ والسُّدوسىُّ كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السَّكونىُّ أكثر) وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحُباب فارس الاسلام فقال حُصَيْنُ بن نميرٍ لابن زياد ان عمير بن الحباب غيرُ ناصِحٍ قَتْلَى المَرْج وانى لا آثَقُ لك به فقال ابن زياد أنت لى عدو وقال حصين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى ومُلاءةٌ وهو مُتَوَشِّحٌ السيف يَجوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهَى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الىّ ولكن قال مَنْ هذا فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبى المُغَلِّسِ كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبى أرأيت أَشْجَعَ من هذا قطُّ يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوه ولا يدرى من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الىّ وهو فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى أن تُناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مُطاولةِ هذا الجمع الكثير فقال نُصْبِحُ ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُباتِ السيوف وأطراف القنا فقلت انا مُنْخَزِلٌ عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونَكَّسَ عميرُ بن الحباب رايتَهُ ونادى يا لَثاراتِ المَرْجِ وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل

كل من نظر فى الأمور
الغامضة بالعقول
الضعيفة ألا ترى ان أكثر
من قتل فى الزندقة ممن
كان ينتحل الاسلام
ويظهره هم الذين آباؤهم
وأمهاتهم نصارى على
انك لو عددت اليوم أهل
الظنة ومواضع التهمة
لم تجد أكثرهم الا كذلك
ومما عظمهم فى قلوب
العوام وحببهم الى الطغام
أن منهم كتاب السلاطين
وفراشى الملوك واطباء
الاشراف والعطارين
والصيارفة ولا تجد
اليهودى الا صباغا أو دباغا
أو حجاما أو قصابا أو شعابا
فلما رأت العوام اليهود
والنصارى كذلك توهمت
أن دين اليهود فى الأديان
كصناعتهم فى الصناعات
وان كفرهم أقذر الكفر
اذ كانوا هم أقذر الأمم
وانما صارت النصارى
أقل مساخة من اليهود
على شدة مساخة
النصارى لان الاسرائيلى
لا يزوج الا الاسرائيلى
وكل مناكحهم مردودة فيهم

الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل فى أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الى سيفى ومنه رائحة المسك ورأيت اقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسى قديم العهد فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسى من ذخائر امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة فى بنى اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسى بدرهمين من نجار وقوله فى براكاء القتال يقال براكاء وبراكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس ينقذك منه الا * براكاء القتال أو الفرار

هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يالَلرجال ويالَلقوم ويالَزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليفصل بينها وبين لام التوكيد تقول ان هذا لَزيد اذا أردت ان هذا زيد وتقول ان هذا لِزيد اذا أردت انه فى ملكه ولو فتحت لالتبستا فان وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لَكَ وان هذا لَأنت اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لبس وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثة تردها الى أصلها من أجل اللبس والمدعو له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يالَلرجال لِلماء ويالَلرجال لِلعجب ويالَزيد لِلخطب الجليل قال الشاعر

يالَلرجال ليوم الأربعاء أما * ينفك يبعث لى بعد النهى طربا

وقال آخر

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيالَلناس للواشى المطاع

وفى الحديث لما طعن العلج أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يالَلّه يالَلمسلمين وتقول يالَلعجب اذا كنت تدعو اليه ويالِلغير العجب كأنك قلت يالَلناس للعجب وينشد هذا البيت

يالعنة الله والاقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار

فيا لغير اللعنة كأنه قال يا قوم لعنة الله والاقوام كلهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التى للاستغاثة

ومقصورة عليهم وكانت الغرائب لا تنشوبهم ولا تضرب فيهم لم ينجبوا فى عقل ولا أسر ولا ملح وانك لتعرف ذلك فى الخيل والابل والحمير والحمام ونحن رحمك الله تعالى لم نخالف العوام فى كثرة أموال النصارى وأن فيهم ملكا وتجارا وأن ماءهم أنظف وأن صناعتهم أحسن وانما الفتاق فرق ما بين الكفرين والفرقتين فى شدة المعاندة واللجاجة والارصاد لأهل الاسلام بكل مكيدة مع لؤم الأصول وخبث الاعراق فأما الملك والصناعة والهيئة فقد علمنا أنهم اتخذوا البرازين الشهرية والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحدقوا المدينى ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى واكتنوا بذلك أجمع ولم

دليل بمنزلة الالف التى تبين بالهاء فى الوقف اذا أردت أن تسمع بعيدا فانما هى للاستغاثة بمنزلة
هذه اللام وذلك قولك ياقوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومد الصوت والقول كما قال
محلهما عند العرب محل واحد فان وصلت حذفت الهاء لانها زيدت فى الوقف لخفاء الالف كما تزاد
لبيان الحركة فاذا وصلت أغنى ما بعدها عنها تقول يا قوما تعالوا ويا زيدا لا تفعل ولا يجوز أن
تقول يا زيداه وهو مقبل عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد
أو ينبه به النائم فان قلت يا لزيد ولعمرو كسرت اللام فى عمرو وهو مدعو لانك انما فتحت اللام
فى زيد لتفصل بين المدعو والمدعو اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا
عطفت عليه شيأ صار فى مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول من زيدا
وانما حكيت قوله ليعلم أنك انما تستفهمه عن الذى ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع
موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومن زيد أو فمن زيد لم يكن الا رفعا لانك عطفت على كلامه
فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرت لك فى اللام قول
الشاعر

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب * يا للكهول وللشبان للعجب

وقد أحكمت لك كل ما فى هذا الباب ۞ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذكر لعبيد الله بن زياد
رجل من بنى سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة وكان من نساكهم فوجه اليه فأخذه
فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهرى وهو فى ضمنى فخلى عنه فلم يزل الرجل
يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذ فقال عبيد الله بن زياد أين
كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤن منهم قال
دلنى عليهم قال اذن يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيرا قال
فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليين لله فلست
أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبى
فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى
المثلم بن مسروح الباهلى وكان من الشرط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرما
باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانها وهم فى تفقده فدسوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع

يبق الآن يتسموا بمحمد
ويكتنوا بأبى القاسم
فرغب اليهم المسلمون
وترك كثير منهم عقد
الزنانير وعقدها آخرون
دون ثيابهم وامتنع كثير
من كبرائهم من اعطاء
الجزية وأنفوا مع
اقتدارهم من دفعها
وسبوا من سبهم وضربوا
من ضربهم ومالهم لا يفعلون
ذلك وأكثر منه وقضاتنا
وعامتهم يرون أن دم
الجاثليق والمطران
والأسقف وفاء بدم جعفر
وعلى والعباس وحمزة
ويرون أن النصرانى اذا
قذف أم النبى صلى الله
عليه وسلم بالغواية أنه
ليس عليه الا التعزير
والتأديب ثم يحتجون
أنهم انما قالوا ذلك لان
أم النبى صلى الله عليه
وسلم لم تكن مسلمة
فسبحان الله العظيم
ما أعجب هذا القول
وأبين انتشاره ومن حكم
النبى صلى الله عليه وسلم
أن لا يساوونا فى المجالس
ومن قوله وان سبوكم

زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صُنَىّ فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندى ما يغنيك عن غيره فامض معى فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن جحل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب من الغد فى المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بنى سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابى صاح بهم حريث بن جحل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه فى بطنه وهو فى موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم فى ذلك يقول أبو الاسود الدؤلى

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يعود المثلم

ثم خرجت خوارج لا نذكرهم كلهم فقتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا فى تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبى بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشئ الشاذ من الفروع كما قال عمر بن عروة انى كرهت قتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعنى الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فضللته الخوارج بامتناعه من قتال على فكان أول أمرهم الذى نستانفه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفى عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبى وكان من مجتهدى الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود

فاضربوهم وان ضربوكم فاقتلوهم وهم اذا قذفوا أم النبى عليه السلام بالفاحشة لم يكن لهم عنده أمته الا التعزير والتأديب وزعموا أن افتراءهم على النبى صلى الله عليه وسلم ليس بنكث للعهد ولا بنقض للعقد وقد أمر النبى عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد مناطا به فى قبولنا منهم وعقدنا لذمتهم دون اراقة دمهم وقد حكم الله تعالى عليهم بالذلة والمسكنة وما ينبغى للجاهل أن يعلم أن الائمة الراشدين والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية وعقد الذمة عدم الافتراء على النبى صلى الله عليه وسلم وأمته الا لأن ذلك عندهم أعظم فى العيون وأجل فى الصدور من أن يحتاجوا الى تخليده فى الكتب والى اظهار ذكره بالشرط وتثبيته بالبينات بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم

وكان شاعرا وكان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال أتى أن تجمع من أصحابك من تنكي به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسي ألوم ولأغدون غدوة لا أنثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره في السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج في ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لنخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول في الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفي الذى بعده الذى حكم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة

والمطمعة فيهم ولظنوا أنهم في القدر الذى يحتاج فيه الى هذا وشبهه وانما يتوانق الناس في شروطهم ويفسرون في عهودهم ما يمكن فيه الشبهة أو يقع فيه الغلط أو يعيا عنه الحاكم وينساه الشاهد ويتعلق به الخصم فاما الواضح الجلى والظاهر الذى لا يخيل غيره فما وجه اشتراطه والتشاغل بذكره وأما ما احتاجوا الى ذكره في الشروط وكان مما يجوز أن يظهر في العهد فقد فعلوه وهو كالذلة والصغارة واعطاء الجزية ومقامة الكنائس وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض وأشباه ذلك فأما أن يقولوا لمن هو أذل من الذليل وأقل من القليل وهو الطالب الراغب في أخذ فديته والانعام عليه بقبض جزيته وحقن دمه نعاهدك على أن لا تفترى على أمة رسول رب العالمين وخاتم النبيين وسيد الاولين

نقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان
أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لنا التوفيق وان أبيت الا
نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي
أحلت دمه ونقضت أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بايدينا فقال ابن الزبير
ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول
فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه
وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا
القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس
وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه
وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال
جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التوقيف
والتصريح ولعمري ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه
من عدوه فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشي
راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس
على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر
أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته
فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا
ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب
لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين
ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة

وان

والآخرين فهذا ما لا يجوز
في تدبير أوساط الناس
فكيف بالجلة والعلية
وائمة الخليقة ومصابيح
الدجى ومنار الهدى مع
انفة العرب وشأو
السلطان وغلبة الدولة
وعز الاسلام وظهور الحجة
والوعد بالنصرة على أن
هذه الأمة لم تبتل باليهود
ولا المجوس ولا الصابئين
كما ابتلت بالنصارى
وذلك أنهم يتبعون
المتناقض من أحاديثنا
والضعيف بالاسناد من
رواياتنا والمتشابه من آي
كتابنا ثم يخلون بضعفائنا
ويسألون عنها عوامنا
مع ما قد يعلمون من
مسائل الملحدين والزنادقة
الملاعين وحتى مع ذلك
ربما تبرؤوا الى علمائنا
وأهل الاقدار منا
ويشغبون على القوي
ويلبسون على الضعيف
ومن البلاء ان كل انسان
من المسلمين يرى أنه
متكلم وأنه ليس أحد أحق
بمحاجة الملحدين من أحد
وبعد فلولا متكلموا

وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدو عدوه وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أو جله لطلحة والزبير حوارى رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال جل وعز لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سعوا فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد ان كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشأم ضجروا من المقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج فى قتالهم فى ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبى ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا لدى الحصين محبسا * ان لدى الاركان ناسا بؤسا

(قال الاخفش حفظى بأساء بؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوما كسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أى حمل وجد ولما سمع ابن الزبير الخوارج فى القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلما أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية * ما أعظم الحرمة العظمى التى انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعتنى الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها الشكك جمع شكة وهى السلاح قال الشاعر

ومدججا يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

النصارى واطباؤهم ومنجموهم ما صار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا وأخذ انناشئ من كتب المنانية والديصانية والمرقونية والفلانية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخلاة فى أيدى ورثتها فكل محنة عين رأيناها فى احداثنا وأغبيائنا فى قبلهم كان أولها وأنت اذا سمعت كلامهم فى العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم فى أكل الحبوب وترك الحيوان وزهدهم فى النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم الجاثليق والمطران والاسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا وأنهم يحنون الى ذلك المذهب والعجب ان كل جاثليق لا ينكح ولا

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة وكان رجاء النميرى هو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الازرق الحنفى وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمروا عليهم نافعا ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعد للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للأحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفىء ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروان ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم

يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين فى الديورات والبيوت من النسطورية وكل راهب فى الارض وراهبة مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبه أكثر القسيسين بهم فى ذلك ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون فى الناس من المرأة العاقر والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ولا على أن يتزوج أخرى معها ولا على التسرى عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملؤا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد وذلك مما زاد فى مصائبنا وعظمت به محنتنا ومما زاد فيهم وأنمى عددهم أنهم يأخذون من سائر الأمم ولا يعطونهم لان كل دين جاء بعد دين أخذ منه الكثير وأعطاه القليل

ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فإن الله تعالى يقول إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل إلا أن تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه فالقعد منا والجهاد إذا أمكن أفضل لقوله جل وعز وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان فلما تتابع نافع في رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم في جماعة قد بايعوه فلما نحرل نجدة خلعوا أبا طالوت وصاروا إلى نجدة فبايعوه وواقى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفي القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدي

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يبنون من سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة إن نافعا قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الأطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب إلى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك في الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الأسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال في القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين

(فصل منه) ومما يدل على قلة رحمتهم وفساد قلوبهم أنهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم والخصاء أشد المثلة وأعظم ما ركبه إنسان ثم يفعلون ذلك بأطفال لا ذنب لهم ولا دفع عندهم ولا نعرف قوما يعرفون بخصاء الناس حيث ما كانوا إلا ببلاد الروم والحبشة وهم في غيرهما قليل وأقل قليل على أنهم لم يتعلموا إلا منهم ولا كان السبب في ذلك غيرهم ثم خصوا أبناءهم وأسلموهم في بيعهم وليس الخصاء إلا في دين الصابئين فإن العابد ربما خصى نفسه ولا يستحل خصاء ابنه فلو تمت إرادتهم في خصاء أولادهم في ترك النكاح وطلب النسل كما حكيت لك قبل هذا لانقطع النسل وذهب الدين وفني الخلق والنصراني وإن كان أنظف ثوبا وأحسن صناعة وأقل مساحة فإن باطنه ألأم وأقذر

غيرُ أولي الضرر فجعلهم الله من المؤمنين وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيتَ ألا تؤدّي
الامانة الى مَن خالفك والله يأمر أن تؤدّى الامانات الى أهلها فاتّقِ الله وانظر لنفسك واتقِ يوما
لا يَجزي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيأ فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل
وقوله الفصل والسلام فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تعظني
فيه وتذكّرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنتُ عليه من الحق وما كنتُ أوثره من الصواب
وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه وعِبتَ عليّ ما دِنتُ
به من إكفار القعَد وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك لمَ ذلك ان شاء الله أما هؤلاء
القعَدُ فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين
محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا في الدين
وقرؤا القرآن والطريق لهم نهجٌ واضح وقد عرفتَ ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا
كنا مستضعفين في الأرض فقيل لهم ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم فخبّر بتعذيرهم وأنهم
كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم فانظر الى أسمائهم وسماتهم
وأما أمر الاطفال فان نبيّ الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة مني ومنك فقال ربّ لا تذر
على الأرض من الكافرين ديّارا انك ان تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفّارا فسماهم
بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله
يقول أكفّاركم خيرٌ من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزبر وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية
وليس بيننا وبينهم الا السيفُ أو الاسلامُ وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحلّ
لنا أموالهم كما أحلّ لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلقٌ وأموالهم فيءٌ للمسلمين فاتّقِ الله وراجع نفسك
فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وتركُ ما نهجناه لك من طريقتنا
ومقالتنا والسلام على مَن أقرّ بالحق وعمل به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره
أما بعد فاني أحذّرك من الله يوم تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضرا وما عملت من سوءٍ تودّ لو أن
بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه فاتّق الله ربك ولا تتولّ الظالمين فان الله يقول لا يتخذ

المؤمنون

وأسمع لانه أقلف ولا
يغتسل من الجنابة ويأكل
لحم الخنزير وامرأته جنب
لا تطهر من الحيض ولا
من النفاس ويغشاها في
الطمث وهي مع ذلك
غير مختونة وهم مع شرار
طبائعهم وغلبة شهواتهم
ليس في دينهم مزاجر كنار
الأبد في الآخرة وكالحدود
والقود والقصاص في
الدنيا فكيف يجانب
ما يفسده ويؤثر ما يصلحه
من كانت حاله كذلك وهل
يصلح الدنيا من هو كما قلنا
وهل يهيج على الفساد
الا من وصفنا ولو جهدت
بكل جهدك وجمعت كل
عقلك أن تفهم قولهم في
المسيح لما قدرت عليه
حتى تعرف به حد
النصرانية وخاصة قولهم
في الالهية وكيف تقدر
على ذلك وأنت لو خلوت
ونصراني نسطوري
فسألته عن قولهم في
المسيح لقال قولا ثم ان
خلوت بأخيه لأمه وأبيه
وهو نسطوري مثله
فسألته عن قولهم في المسيح

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفي الحكم جائرا لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفي القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي وعبد الله بن اباض المري من بني مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم

لأناك بخلاف قول أخيه وضده وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان على انهم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس ولا يقوم على السائل ولا يثبت في الامتحان وانما هو بالتسليم لما في الكتب والتقليد للاسلاف ولعمري من كان دينه دينهم لجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور ما لم يتعمد الباطل ويعاند الحق فاذا صاروا الى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة

(فصل منه) فأما مسألتهم في كلام عيسى في المهد فهي أن النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه وقولهم انا

ومواريثهم والاقامة فيهم حلٌّ طلق وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة وأحكامُ المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكمُ المشركين فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس الذى ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السُّنَّة من أقاويل الضُّلال والصُّفرية والنجدية فى ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قال ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أُحرِّم مناكحتهم ومواريثهم لان معهم التوحيد والاقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دعوةَ المسلمين تجمعهم وأراهم كُفَّارَ النعم وقالت الصفرية ألْيَنَ من هذا القول فى أمر القعد حتى صار عامتهم قَعَدًا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سُمُّوا صُفرِيَّةً لانهم أصحاب ابن صفّار وقال قوم انما سُمُّوا بصُفرة علتهم وتصديق ذلك قولُ ابن عاصم الليثى وكان يرى رأى الخوارج فتركه وصار مُرجئا

فارقتُ نجدةَ والذين تزرَّقوا * وابنَ الزبير وشيعةَ الكذّاب

والصُّفرَ الاذانِ الذين تخيَّروا * دينا بلا ثقة ولا بكتاب

خفَّفَ الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشِّعرُ وقال أبو بيهسَ الدارُ دارُ كفر والاستعراضُ فيها جائز وان أُصيبَ من الاطفال فلا حرج الى ههنا انتهت المقالة ۞ وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فاذا أُجيبَ الى المقالة جبا الخراج وفَشا عُمّالُه فى السواد فارتاع لذلك أهلُ البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتُهم ما ترى فقال الاحنفُ ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجدُّوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرةُ آلاف فأتى عبدَ الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو ببَّةُ فسأله أن يؤمِّر عليهم فاختار لهم ابن عُبَيس بن كُرَيز وكان دَيِّنا شجاعا فأمَّره عليهم وشيَّعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال انى ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة وانى لاحارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا

تقولناه ورويناه عن غير الثقاة وان الدليل على أن عيسى لم يتكلم فى المهد أن اليهود لا يعرفونه وكذلك المجوس وكذلك الهند والخزر والديلم فنقول فى جواب مسألتهم عند انكارهم كلام المسيح فى المهد مولودا يقال لهم انكم حين سويتم المسألة وموهتموها ونظمتم ألفاظها ظننتم انكم قد نجحتم وبلغتم غايتكم ولعمرى لئن حسن ظاهرها وراع الاسماع مخرجها انها لقبيحة المفتش سيئة المغزى ولعمرى لو كانت اليهود تقر لكم باحياء الأربعة الذين تزعمون واقامة المقعد الذى تدعون واطعام الجمع الكثير من الارغفة اليسيرة وتصيير الماء جدا والمشى على الماء ثم أنكرت الكلام فى المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم فى ذلك مقال والى الطعن سبيل فأما وهم يجحدون ذلك أجمع

سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صار وا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا وادّعى قتل نافع سلامة الباهلى وقال لما قتلته وكنت على برذون ورد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتول لا محالة قالوا وكيف قال لانى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤمة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعدّ بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى وذلك بعد ان اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

اللهُ أيّد عمرانا وطهّره * وكان عمران يدعو الله فى السحر

يدعوه سرّا واعلانا ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غدر

ولّى صحابته عن حرّ ملحمة * وشدّ عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن على *

فمرة يضحكون ومرة يتغاظون ويقولون انه صاحب رقى ونيرنجات ومداوى مجانين ومتطبب وصاحب حيل وصاحب خدع وقراءة كتب وكان انسانا مسكينا ومقبولا مرحوما ولقد كان قبل ذلك صياد سمك وصاحب شبك وكذلك أصحابه وأنه خرج على مواطأة منهم له وأنه لم يكن له شدة وأخسهم قولا وألأمهم مذهبا من زعم أنه ابن يوسف النجار وأنه قد كان واطأ ذلك المقعد قبل اقامته بسنين حتى اذا شهره بالقعدة وعرف موضعه فى الزمنى مر به فى جمع من الناس كأنه يريده فشكا اليه الزمانة وقلة الحيلة وشدة الحاجة فقال ناولنى يدك فناوله يده فاجتذبه فأقامه فكان تجمد لطول القعود حتى استمر بعد ذلك وأنه لم يحى ميتا قط وانما كان داوى رجلا يقال له لاعار اذا غمى عليه يوما وليلة وكانت أمه ضعيفة العقل

وقول الناس أشليت كلبي أي أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوته وقولها بيدي ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يا فتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب نذكره في عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذي يهصر كل شئ أي يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبي بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فعل ❁ ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري

لعمرك اني في الحياة لزاهد * وفي العيش مالم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذي بث ولا لسقيم

لعمرك اني يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الازد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنا يوم دولاب فلم يصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمي معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار

قليلة المعرفة قريبة فاذا هي تصرخ وتبكي فدخل اليها ليسكتها أو يعزيها وجس عرقه فرأى فيه علامة الحياة فداواه حتى أقامه فكانت لقلة معرفتها الاتشك أنه قد مات ولفرحها بحياته تثني عليه بذلك وتحدث به فكيف تستشهدون قوما هذا قولهم في صاحبكم حين قالوا كيف يجوز أن يتكلم صبي في المهد مولودا فيجهله الأولياء والأعداء ولو كانت المجوس تقر لعيسى بعلامة واحدة وبأدنى أعجوبة لكان لكم أن تنكروا عليهم وتستعينوا بانكارهم فأما وحال عيسى في جميع أمره عند المجوس كحال زرادشت في جميع أمره عند النصارى فما اعتلالكم بهم وتعلقكم في انكارهم وأما قولكم فكيف لم يعرف الهند والخزر والترك ذلك فمتى أقرت الهند لموسى بأعجوبة واحدة فضلا عن عيسى ومتى أقرت لنبي بآية أو روت له سيرة حتى

مُعَرَّباً وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربيّ فدولاب فوعالٌ
مثل طُومار وسُولاف وكلّ شئ لا يخُصّ واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا
الاسم يلحق كلّ ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم في كلام العجم
معرفة فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير
منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن
وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف
احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقي دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال

الفرزدق   وما سُبِقَ القيسيُّ من ضعف حيلة * ولكن طفت علماء قُلفةُ خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي
في قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم وقال

آخر من الخوارج   يرى من جاء ينظر من دُجَيل * شيوخ الأزد طافية لحاها

وقال رجل منهم   شمت ابن بدر والحوادث جمّة * والجائرون بنافع بن الأزرق
والموت حتم لا محالة واقع * من لا يصبّحه نهارا يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه * ريب المنون فمن يصبه يغلق

نصب بعد ان لان حرف الجزاء الفعل فانما أراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل
وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعي ان منفسا أهلكته * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرمة   اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

لان اذا لا يليها الا الفعل وهي به أولى

(هذا باب فُعَل)

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَل فهو مصروف في المعرفة والنكرة اذا كان اسما أصليا أو نعتا
فالاسماء نحو صُرَد ونُغَر وجُعَل وكذلك ان كان جمعا نحو ظُلَم وغُرَف وان سميت بشيء من هذا رجلا
انصرف في المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حُطَم كما قال * قد لفّها الليل بسوّاق حُطَم *

تستشهدوا الهند على كلام
عيسى في المهد ومتى كانت
الترك والديلم والخزر
والتتر والطيلسان
مذكورة في شيء من هذا
الجنس محتجا بها على هذا
الضرب فان سألونا عن
أنفسهم فقالوا ما لنا
لا نعرف ذلك ولم يبلغنا
عن أحد بتة اجتنابهم
بعد اسقاط تكثيرهم
وتشنيعهم وتزوير شهودهم
فجوابنا انهم انما قبلوا
دينهم عن أربعة أنفس
اثنان منهم من الحواريين
بزعمهم يوحنا ومتى واثنان
من المستجيبة وهما
مارقس ولوقس وهؤلاء
الأربعة لا يؤمن عليهم
الغلط ولا النسيان ولا
تعمد الكذب ولا التواطؤ
على الأمور والاصطلاح
على اقتسام الرياسة
وتسليم كل واحد منهم
لصاحبه حصته التي
شرطها له فان قالوا انهم
كانوا أفضل من أن
يتعمدوا كذبا وأحفظ
من أن ينسوا شيئا وأعلى
من أن يغلطوا في دين الله

وكذلك مال لُبَدٌ وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكتُ مالاً لُبَدًا فان كان الاسم على فُعَل معدولا
عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل فى المعرفة وينصرف فى النكرة وذلك نحو عُمَر وقُثَم
لانه معدول عن عامر وهو الاسم الجارى على الفعل فهذا انما معرفته قبل تنكيره فاذا أريد به
مذهب المعرفة جاز أن تبنيه فى النداء من كل فُعَل لان المنادى مشارا اليه وذلك قولك يا فُسَقُ
ويا خُبَثُ تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدىّ ملحادةٍ غُدَر فى غير النداء للضرورة فنقلته به
معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتّ به ملحادة كما قال الحطيئة

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوى * الى بيتٍ قعيدتُه لَكاعِ

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن الشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حدّ ما كان له فى النداء فيلحق
قولها غُدَرُ بقوله رجل حُطَمٌ ومال لُبَدٌ وما أشبهه وفَعالِ فى المؤنث بمنزلة فُعَل فى المذكر ولو سميت
رجلا حُطَمًا لصرفته من قولك هذا سائق حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت
بمنزلة صُرَدٍ فى الاسماء

(هذا باب النسب الى المضاف)

اعلم انك اذا نسبت الى عَلَم مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القيس
عَبدِىٌّ وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع
فى النسب التباس من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عَبدِ مَنافٍ مَنافِىٌّ والى أبى بَكرِ بن كلاب
بَكرِىٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسب وذلك
قولك فى النسب الى عبد الدار بن قُصَىّ عَبدَرِىٌّ وفى النسب الى عبد القيس عَبقَسِىٌّ فان كان
المضاف غير عَلَم فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زُبَيرِىٌّ لان ابن
الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رألان رألانىٌّ فلذلك قالوا فى النسب الى ابن
الأزرق أزرقى والى أبى بَيْهَس بَيْهَسِىٌّ فأما قولهم صُفرِىٌّ فانما أرادوا الصُفر الالوان فنسبوا الى
الجماعة وحقّ الجماعة اذا نُسب اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك مُهَلَّبِىٌّ ومِسمَعِىٌّ ولكن
جعلوا صُفرًا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفرىّ فينسب الى واحدها وانما كان ذلك
لانهم جعلوا الصُفر اسما للجماعة كما تسمى القبيلةُ بالاسم الواحد ألا ترى أن النسب الى الانصار

تعالى أو يضيعوا عهدا
قلنا ان اختلاف رواياتهم
فى الانجيل وتضادها فى
كتبهم واختلافهم فى نفس
المسيح مع اختلاف
شرائعهم دليل على صحة
قولنا فيهم بالكبر لتعديه
طوره وبجهله لقدره
وانتحاله ما لا يجوز الا لربه
وقال النبى صلى الله عليه
وسلم العظمة رداء الله فمن
نازعه رداءه قصمه
(فصل منه) والنبيل
لا يتنبل كما ان الفصيح
لا يتفصح لان النبيل
يكفيه نبله عن التنبل
والفصيح تغنيه فصاحته
عن التفصح ولم يتزيد أحد
قط الا لنقص يجده فى
نفسه ولا تطاول متطاول
الا لوهن قد أحس به فى قوته
والكبر من جميع الناس
قبيح مسقوط الا انه عند
الناس من عظماء
الاعراب وأشباه
الاعراب أجود وهو لهم
أسرع لجفائهم وبعدهم
من الجماعة وقلة
مخالطتهم لأهل العفة
والدعة والأدب والصنعة

أنصاريٌّ لأنه كان علماً للقبيلة وكذلك مدائنيٌّ وتقول في النسب الى الأبناء من بني سعد أبناويٌّ
لأنه اسم للجماعة وأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يُسمَّى كلُّ واحد منهم باسم
الأب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاءني النُّمَيْرون
والأشعرون جعل كل واحد منهم نُمَيْراً وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك وقد تنسب
الجماعة الى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقيٌّ لمن كان على رأي
ابن الأزرق كما تقول تميميٌّ وقيسيٌّ لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس
عليه السلام ومن كان على دينه كما قال * قَدْنِيَ من نصر الخُبَيْبَيْنِ قَدِي * يريد أبا خُبَيْب
ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازهما واحدا في أكثر الأمر على لفظ
أحدهما فمن ذلك قولهم العُمَران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخُبَيْبان لعبد الله
ومُصْعَب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والأزارقة لا تُكَفِّر أحدا من أهل
مقالتها في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قَصَدَ لقطع
الحجة وروي أن نافعا مرَّ بمالك بن مِسْمَع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبني تميم ونافع
متقلد سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرنا في حربنا هذه فقال
لا يحلّ لي قال فما بال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك
بأيام الى الأهواز فلما قُتل من قُتل ممن خرج من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بقيَّةُ القتال
وأقام حارثة بن بدر الغُدانيُّ بإزاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عُذْرُنا عند اخواننا
من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه
بقعوديّة ويسألونه أن يولّي واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين
يوما وكتب الى عمر بن عُبَيْد الله بن مَعْمَر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في
بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولّى أخاه عثمان محاربة الأزارقة فخرج اليهم في اثني عشر
ألفا ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز فلما عبروا اليهم
دُجَيْلا نهض اليهم الخوارج وذلك قُبَيْلَ الظهر فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر أما الخوارج
الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان

(فصل منه) ولم نر الكبر يسوغ عندهم ويستحسن الا في ثلاثة مواضع من ذلك أن يكون المتكبر صعبا بدويا وذا غطرسة وحشيا ولا يكون حضريا ولا مدريا فيحمل ذلك منه على جهة الصعوبة ومذهب الجاهلية وعلى الهمجية والاعرابية أو يكون ذلك على جهة الانتقام والمعارضة والمكافأة والمقابلة أو على ان لا يكون تكبره الا على الملوك والجبابرة والفراعنة وأشباه الفراعنة وصاحب هذا خارج من هذه الخصال مجانب لهذه الخلال ان أصاب صديقا تعظم عليه وان أتاه ضيف تغافل عنه وان أتاه ضعيف منّ عليه وان صادف حليما اعتلّ به وينبغي أن يكون خضوعه لمن فوقه على حسب تكبره على من دونه ومن صفة اللئيم أن يظلم الضعيف ويظلم

هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت
يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل
وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة
الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ فل عثمان البصرة
وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن
أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر
فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من
بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر
عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز * وأعقبنا هذا الحجازي عثمان
فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليماني خوان
فضحت قريشا غثها وسمينها * وقيل بنو تيم بن مرة عزلان
فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان
اذا قيل من حامي الحقيقة أومأت * اليه معد بالانوف وقحطان

قوله فأرعد زعم الأصمعي أنه خطأ وأن الكميت أخطأ في قوله

أرعد وأبرق يا يزيـ * ـد فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسي وأبرقـ * ـنا كما توعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت
وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا في الرعد والبرق قال الشاعر * فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد *

نفسه للقوي ويقتل الصريع ويجهز على الجريح ويطلب الهارب ويهرب من الطالب ولا يطلب من الطوائل الا ما لا خطر فيه ولا يتكبر الا حيث لا يرجع معرته عليه ولا يقفو التقية ولا المروءة ولا يعمل على حقيقة ومن أراد أن يسمع قوله ساءه خلقه اذ كان لا يحفل ببغض الناس له ووحشة قلوبهم منه واجتنابهم في مباعدته وقلة مساعدته وليس يأمن اللئيم على اتيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللؤم الا حاسدا فاذا رأيته يعق آباه ويحسد أخاه ويظلم الضعيف ويستخف بالأديب فلا تبعده من الخيانة اذ كانت الخيانة لؤما ولا من الكذب اذ كان الكذب لؤما ولا من النميمة اذ كانت النميمة لؤما ولا تأمنه على الكفر فانه ألأم اللؤم وأقبح الغدر ومن رأيته منصرفا عن بعض

ورُوي غيرُ الأصمعي أرعِد وأبرِق على ضعف وقوله والبرق اليماني خَوَّان يريد والبرقُ اليماني

يخونُ وأجود النسب الى اليمن يَمَنيٌّ ويجوز يَمانٍ بتخفيف الياء وهو حسن وهو في أكثر الكلام

تكون الالف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكونُ الالف زائدة وتُشدَّدُ الياء

قال العباس بن عبد المطّلب

ضربناهم ضَربَ الاحامسِ غُدوةً * بكل يمانيٍّ اذا هُزَّ صمَّما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركض حتى أتى دجيلا فجلس في سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسّط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلي ضُيِّع فقال للملاح قرِّب فقرَّب الى جُرف ولا فُرضة هنالك فطفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كُوَرَ الاهواز ثلاثة أشهر ثم وجّه الزبير بن علي نحو البصرة فضجّ الناس الى الاحنف وأتى القُباع فقال أصلح الله الامير ان هذا العدوّ قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصُرنا في بلدنا حتى نموت هزلا قال فسمّوا رجلا فقال الاحنف الرأي لا يخيل ما أرى لها الا المهلّب بن أبي صُفرة فقال أو هذا رأي جميع أهل البصرة اجتمعوا الي في غدٍ وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبُر الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهلُ الاهواز وكُوَرها رغبة ورهبة فأتاه البصريون في السُفُن وعلى الدواب ورجّالة فاسودّت بهم الارضُ فقال الزبير لما رآهم أبَى قومُنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القُباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فِرَق فسمّى قوم المهلب وسمّى قوم مالك بن مِسمع وسمّى قوم زياد بن عمرو بن الاشرف العَتَكيّ فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه من أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلب فوجّه الحرثُ اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدوّ وقد اجتمع أهلُ مصرك عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر مَن يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يُسمّك الا ايثارا للدين وكل من في مصرك مادٌّ عينَه اليك راجٍ أن يكشف الله عزّ وجلّ هذه الغُمّة بك فقال المهلب لا حول ولا قوة

اللؤم وتاركا لبعض القبيح فاياك أن توجه ذلك منه على التجنب له والرغبة عنه والايثار لخلافه ولكن على أنه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه أو يخاف من مرارة العاقبة أمرا يعفي على حلاوة العاجل لان اللؤم كله أصل واحد وان تفرقت فروعه وجنس واحد وان اختلفت صوره والفعل محمول على غايته تابع لسمته والشكل ذاهب على شكله منقطع الى أصله صائر اليه وان أبطأ عنه ونازع اليه وان حيل دونه وكذلك تناسب الكرم وحنين بعضه الى بعض ولم تر العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملا اجتباه ذو عقل أو اختاره ذو علم بأربأ ولا أفسد لعرض ولا أوجب لسخط الله ولا أدعى الى مقت الناس ولا أبعد من الفلاح ولا أظهر نفورا عن التوبة ولا أقل دركا عند الحقيقة ولا أنقص

الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبياما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذاك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك قال ولى فى كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذاك لك ولا لنا انما هو فى المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطى أصحابك من فى كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال وقد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الأزد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الأجرد

وقال الشاعر وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الأزارق بعدما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس

للطبيعة ولا أمنع من العلم ولا أشد خلافا على الحلم من التكبر فى غير موضعه والتذلل فى غير كنهه وما ظنك بشئ العجب شقيقه والبذخ صديقه والنفج أليفه والصلف عقيده والبذاخ متزيد والنفاج كذاب والمتكبر ظالم والمعجب صغير النفس واذا اجتمعت هذه الخلال وانتظمت هذه الخصال فى قلب طال خرابه واستغلق بابه وشر العيوب ما كان متضمنا بعيوب وشر الذنوب ما كان علة الذنوب والكبر أول ذنب كان فى السموات والأرض وأعظم جرم كان من الجن والانس وأشهر تعصب كان فى الثقلين وعنه لج ابليس فى الطغيان وعتا على رب العالمين وخطأ ربه فى التدبير وتلقى قوله بالرد ومن أجله استوجب السخطة وأخرج من الجنة وقيل له ما يكون لك أن تتكبر فيها ولا فراطه فى التعظيم خرج الى غاية

رغبة فى مجاهدة الخوارج ولما فى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدىّ وعبد الله بن رباح ومعاوية بن قرّة المزنىّ وكان يقول يعنى معاوية لو جاء الديلم من ههنا والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجونىّ وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتنحّوا عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبى ما حواليه من الكور وقد دسّ الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حشوه ما بين قصّار وصبّاغ وداعر وحدّاد فخطب المهلب الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى فهّمهم وأحكم أمره وقوّى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتامّ اليه زهاء عشرين ألفا ثم مضى يؤمّ سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى وفى مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة بقيّة يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران فى ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤمّ هذا العدوّ فى نعم من الله متصلة علينا ونقمة من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحلّ ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله ربّ العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيئا لك أخا الازد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمى واسم أبى وكنيتى وكان المهلب يبثّ الاحراس فى الامن كما يبثهم فى الخوف ويذكى العيون فى الامصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدوّ ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم فى دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصى المخالف حارثة بن بدر فقتلوا

القسوة والشدة فسوته الخترم على الاصرار وتتابع فى غاية الافساد ودعا الى كل قبيح وزين كل شر وعن معصية أخرج آدم من الجنة وشهر فى كل افق وأمة ومن أجله نصبت العداوة لذريته وتفرغ من كل شئ الا من اهلاك نسله فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ولا يضاهيه فى نسب ولا يشاكله فى صناعة ومن ذلك قتل الناس بعضهم بعضا وظلم القوى الضعيف ومن أجله أهلك الله الأمم بالمسخ والرجف وبالخسف وبالطوفان وبالريح العقيم وأدخلهم النار وأقنطهم من الخروج والكبر هو الذى زين لابليس ترك السجود وأوهمه شرف الألفة وصور له الامتعاض وحبب اليه المخالفة وآنسه بالوحدة والوحشة وهون عليه سخط الرب وسهل عليه عقاب الأبد ووعده الظفر ومناه السلامة ولقنه الاحتجاج

جميعا وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص في أحسابكم وأديانكم
أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤوا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله
ابن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبي صفرة من سبي الجاهلية
في خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبي صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر
الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس
واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وجعل على بني تميم
الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض
الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتي الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر
الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لأصحابه يا معشر المهاجرين هل لكم في فتكة
فيها أريحية فحمل جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا
قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب في وجوههم والمهلب غير
حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبري أأسلمتما سيد أهل
العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لأنه رجل من الموالي ووبخهما وحمل رجل من الخوارج
على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر
فانهزم الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص
المهلب يومئذ حيصة وتقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم فقال رجل من بني منقر
ابن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومي * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال جمل مواشك اذا كان سريعا
قال ذو الرمة
اذا ما رمينا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

ودرور فعول من در الشيء اذا تتابع وقال رجل من بني تميم آخر

تبعنا الأعور الكذاب طوعا * يزجي كل أربعة حمارا
فياندمي على تركي عطائي * معاينة وأطلبه ضمارا

بالباطل وزين له قول
الزور وزهده في جوار
الملائكة وجمع له خلال
السوء ونظم له خلال
الشر لانه حسد والحسد
ظلم وكذب والكذب ذل
وخدع والخديعة لؤم
وحلف على الزور وذلك
فجور وخطأ ربه وتخطئة
الله جهل وأخطأ في جلي
القياس وذلك غي ولج
واللجاج ضعف وفرق
بين التكبر والتبدي
وجمع بين الرغبة عن
صنيع الملائكة وبين
الدخول في أعمال السفلة
واحتج بأن النار خير من
الطين ومنافع العالم نتائج
أربعة أركان نار يابسة
حارة وماء بارد سيال
وأرض باردة يابسة
وهوى حار رطب ليس
منها شيء مع هذا وجنسه
لخلافه الا وهو محيي مبق
على أن النار نقمة الله
من بين جميع الأصناف
وهي أسرعهن اتلافا
لما صار فيها وامحقهن لما
دنا منها هذا كله ثمرة
الكبر ونتاج التيه

اذا الرحمن يسّر لي قفولا * تحرّق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب بتوعد وبتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذّل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والأوس ائتيا بني قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لي لحنا أعرفه ولا تفتّا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الأمر ما تحبون (قال الأخفش سألت المبرّد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا انهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حي من الأزد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب في ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الامير أن لا تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه

تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه

والتكبر شر من القسوة كما ان القسوة شر المعاصي والتواضع خير الرحمة كما ان الرحمة خير الطاعات والكبر معنى ينتظم به جماع الشر والتواضع معنى ينتظم فيه جماع الخير والتواضع عقيب الكبر والرحمة عقيب القسوة فاذا كان للطاعة قدر من الثواب فلتركها وعقيبها ولما يوازيها ويكايلها مثل ذلك القدر من العقاب ومواضع الطاعة من طبقات الرضا الموضع تركها من طبقات السخط اذ كانت الطاعة واجبة والترك معصية والكبر من أسباب القسوة ولو كان الكبر لا يعتري الا الشريف والجميل أو الجواد أو الوفي أو الصدوق كان أهون لأمره وأقل لشينه أو كان يعرض لأهل الخير كان لا يغلط فيه الا أهل الفضل ولكنا نجده في السفلة كما نجده في العلية ونجده في القبيح كما نجده في الحسن وفي

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة • حرورية أضحت من الدين مارقه

أجازت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون الحاف معانقه

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشئ أى أخفيته عندك ويقال مال عين للحاضر ومال ضمار للغائب قال الأعشى

ومن لا تضيع له ذمة * فيجعلها بعده عين ضمارا

وقال أيضا ترانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمر والفاعل مضمر والضمار اسم للفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تشرك المصادر فى معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الاعطاء فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر ينعت به الفاعل فى قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول فى قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الامير وجاء فى الخلق تعنى المخلوقين وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم دولاف منهم • أسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

قوله وكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أى فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما انما هى ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ماجاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأى فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأى من قرية أمليت لها وهى ظالمة وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج * يجئ أمام الالف يردى مقنعا

وقال آخر وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كيئ يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكيئ فى بنى دودان منهم * غداة الروع معروفا كمى

الذميم كما تجده فى الجميل وفى الدنى الناقص كما تجده فى الوفى الكامل وفى الجبان كما تجده فى الشجاع وفى الكذوب كما تجده فى الصدوق وفى العبد كما تجده فى الحر وفى الذمى ذى الجزية والصغار والذلة كما تجده فى قابض جزيته والمسلط على اذلاله ولو كان فى الكبر خير لما كان فى دهر الجاهلية أظهر منه فى دهر الاسلام ولما كان فى العبد أفشا منه فى الحر ولما كان فى السند أعم منه فى الروم والفرس ولبس الذى كان فيه عن آل ساسان وأنوشروان وجميع ولد ازدشير بن بابك من الكبر فى شئ ذلك سياسة للعوام وتفخيم لأمر السلطان وتشديد للملك ولم يكن فى الخلفاء أشد نخوة من الوليد من عبد الملك وكان أجهلهم وألحنهم وما كان فى ولاة العراق أعظم كبرا من يوسف بن عمر وما كان أشجعهم ولا أبصرهم

فأقام المهلب فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلى وسلبرى (قال الاخفش سلى وسلبرى بفتح السين فيهما موضعان بالاهواز وسلى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت *

كأن غديرهم بجنوب سلى * نعام قاق فى بلد قفار)

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدهم فقال له واقد مولى أبى صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى أهل النجدة والقوة فان أصبتموهم لم يكن ظفرا هنيأ لانى أراهم لا يصابون حتى يصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسلبرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريعون الا الصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة فى جمع أكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجه بالامس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الازد يرد المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فرده فقال ان الامير أذن لى فيبعث الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش وقال المهلب لاصحابه أعدوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانه تصد الفارس وتصرع الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل

ولا أتمهم قواما ولا أحسنهم كلاما ولم يدع الربوبية ملك قط الا فرعون ولم يدل مقدما فى موكبه ولا فى شرف حسبه ولا فى نبل منظره وكمال خلقه ولا فى سعة سلطانه وشرف رعيته وكرم ناحيته ولا كان فوق الملوك الأعاظم والجلة الأكابر بل دون كثير منهم فى الحسب وشرف الملك وكرم الرعية ومنعة السلطان والسطوة على الملوك ولو كان الكبر فضيلة وفى النية رقة لما رغب عنه بنو هاشم ولكان عبد المطلب أولى الناس منه بالغاية وأحقهم بأقصى النهاية ولو كان محمود العاجل ومرجو الآجل وكان من أسباب السادة أو من حقوق الرياسة لبدر اليه سيد بنى تميم وهو الأحنف ابن قيس ولشح عليه سيد بكر بن وائل وهو ملك ولا استولى عليه سيد الازد وهو المهلب ولقد ذكر أبو عمرو بن العلاء جميع عيوب السادة وما كان

حتى مر ببني العدوية من بني مالك بن حنظلة فصربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الازد فقال أصلح الله الامير أعفني من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم الا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفي القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يا بني تميم أآمركم فتعصونني فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعروا المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغوني رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود فى الاصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدى وان نسبت الى الحملان قلت فرهودى لا غير) فى عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أنا لهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات قال أبو العباس ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى أنه كان شعار أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم ففى ذلك يقول رجل من الخوارج

بسلى وسلبرى مصارع فتية * كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر بسلى وسلبرى مصارع فتية * كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال رجل من موالى المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل

فيهم من الخلال المذمومة حيث قال ما رأينا شيأ يمنع من السودد الا وقد وجدناه فى سيد وجدنا البخل يمنع من السودد وكان أبو سفيان بن حرب بخيلا والعهار يمنع من السودد وكان عامر بن الطفيل سيدا وكان عاهرا والظلم يمنع من السودد وكان حذيفة بن بدر ظلوما وكان سيد غطفان والحمق يمنع من السودد وكان عيينة بن حصن محمقا وكان سيدا والاملاق يمنع من السودد وكان عتبة بن ربيعة مملقا وقلة العدد تمنع من السودد وكان شبل بن معبد سيدا ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلان والحداثة تمنع من السودد وساد أبو جهل وما طرشاربه ودخل دار الندوة واستوت لحيته فذكر الظلم والحمق والبخل والفقر والعهر وذكر العيوب ولم يذكر الكبر لان هذه الاخلاق وان كانت داء فان فى فضول احلامهم

أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب فى يوم سلى وسليرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسليرى أحاط بهم * منا صواعق ما تبقى ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا * كما تجدل جذع مال منقعر

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثر الله بمثلك المسلمين فضحك الخارجى وقال

أمك خير لك منى صاحبا * تسقيك محضا وتعل رائبا

وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر فى أصحابها حتى تخرمت المؤنة من أجله وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ما شهد معى حربا قط الا رأيت البشرى فى وجهه وقال رجل من الخوارج فى هذا اليوم

فان تك قتلى يوم سلى تتابعت * فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة نكر المشرفية فيهم * بسولاف يوم المأزق المتلاحم

المأزق موضع الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مؤتة الذى قتل به جعفر بن أبى طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لا يهمز مؤتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة القباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بحد وجد فكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها

وفى سائر أمورهم ما يدارى به ذلك الداء ويعالج به ذلك السقم وليس الداء الممكن كالداء المعضل وليس الباب المغلق كالمبهم والاخلاق التى يمكن معها السودد مثل الكبر والكذب والسخف مثل الجهل بالسياسة وخرجت خارجة بخراسان فقيل لقتيبة ابن مسلم لو وجهت اليهم وكيع بن أبى سود لكفاهم فقال وكيع رجل عظيم الكبر فى أنفه خنزوانة وفى رأسه نعرة وانما أنف فى أسلوب ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة وان كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بخصمه ووثق

والسلام فكتب اليه القُباعُ قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهادّ أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمه والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملني اليك رسالة وأبلغه فقال هذه أحب الي من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرّجان فبايعوا الزبير بن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بيّنا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي وان يصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عُبَيس وربيعا الأجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلّي كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكمن للمهلب في غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهان ثم كرّ راجعا الى أرّجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

بفضل قوته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب الا كان منكوبا ومهزوما ومخدوعا ولا يشعر حتى يكون عدوه عنده وخصمه فيما يغلب عليه أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من الأسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأغدر من ذئب وأسخى من لافظة وأشح من صبي وأجمع من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب فان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب

《فصل منه》 وأقول بعد هذا كله ان الناس قد ظلموا أهل الحلم والعزم حين زعموا أن الذي يسهل عليهم الاحتمال معرفة الناس بقدرتهم على الانتقام فكيف

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غيثٍ • من الوسمىّ ينتصرُ انتصارا

فما وهَنَ المهلبُ يوم جاءت • عوابسُ خيلهم تبغى الغوارا

وقال المهلب يومئذ لما وقعتُ فى أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامى رجالا من بنى الهجيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأنَّ لحاهم أذنابُ العقاعق وكانوا أصبر وامعه فى غير موطن وقال رجل من بنى تميم من بنى عبشمس بن سعد

ألا يا مَن لِصَبٍّ مستهَنٍّ • قريحِ القلبِ قد صحبَ المزونا

لها نَ على المهلب ما لقينا • اذا ما راح مسرورا بطينا

يجُرُّ السابرىَّ ونحن شعثٌ • كأنّ جلودنا كُسيتْ طحينا

المزونُ عمان وهو اسم من أسمائها قال الكميت

فأما الأزدُ أزدُ أبى سعيد • فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير وأطفأتَ نيرانَ المزون وأهلها • وقد حاولوها فتنةً أن تُسعَّرا

وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدقّ صلبه وقال قيسُ الاكاف غداةَ الروعِ يعلمُنى • ثبتَ المقام اذا لاقيتُ أقرانى

وقد كان فلُّ المهلب يوم سلى وسلبرى صاروا الى البصرة فذكروا أن المهلب أصيب فهمّ أهل البصرة بالنقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنف بن قيس البصرةُ بصرةُ المهلب وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن أرقم فنعى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكّن رمحه من صلبه فقدم المنعى فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسستُ برمحه بين كتفى صحتُ البقيةَ فرفعه عنى وتلا بقيةُ الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين ووجّه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة القباع فلما صار بكربج دينار لقيه حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارقَ ابنَ الماحوز وهذا رأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخُبّر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لاهل الأزدىّ المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية

والمذكور بالحلم والمشهور بالاحتمال يقيض له من السفهاء ويؤتى له من أهل البذاء ما لا يقوم له صبر ولا ينهض به عزم بل على قدر حلمه يتعرض له وعلى قدر عزمه يمتحن صبره ولأن الذى سهل عليه الحلم ومكنه من العزم معرفة الناس بقدرته على الانتقام واقتداره على شفاء الغيظ فان منعه لنفسه ومجاذبته لطبعه مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشد عليه فى المزاولة وأبلغ فى المشقة والمكابدة من صبر الشكل على أذى شكله واحتمال المظلوم عن مثله وان خاف الطمس وتوقع العيب

(فصل منه) ومن بعد هذا فمن شأن الايام أن يظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تابعا فاذا عاد متبوعا عادت عليه من محاسن غيره باضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف اليه ومن شوارد الأفعال ومن شواذ

الحرث البقاع حتى عزل الحرث وولي مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم علي واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم اني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقني اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد وقال للمهلب أشر علي برجل أجعله بيني وبين عبد الملك فقال أذكر لك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي أو زياد ابن عمرو بن الاشرف العتكي أو داود بن قحذم فقال أو تكفيني قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفي أمر الخوارج ويفد الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبي بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني ان جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه ولملكه وبطبيعة لم أر مثلها لاحد فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه ولا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فولي عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بارجان وعليهم الزبير بن علي السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم باصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولي عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا واستعدوا وأتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الأزدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هنالك فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشئ

المكارم ان كان سيدا ومن غريب الامثال ان كان منطيقا ومن خيار القصائد ان كان شاعرا مما الا أمارات لها ولا سمات عليها فكم من يد بيضاء وصنيعة غراء ضلت فلم يقم بها ناشد وخفيت فلم يظهرها شاكر والذي ضاع التابع قبل أن يكون متبوعا أكثر مما حفظ والذي كتم أكثر مما ذكر وما ظنك بشئ مذكوره سبب السيادة ومشكوره سبب الرياسة على قلة الشكر وكثرة الكفر وقد يكون الرجل تام النفس ناقص الاداة فلا يستبان فضله ولا يعظم قدره كالمفرج الذي لا عشيرة له والاتاوي الذي لا قوم له وقد يعظم المفرج الذي لا ولاء له ولا عقد جوار ولا عهد حلف اذا برع في الفقه وبلغ في الزهد باكثر من تعظيم السيد لجهة تعظيم الديان كان طاعة السلطان غير طاعة السادة والسلطان انما يملك أبدان الناس وهم

فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلّم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من
المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدو ولكنكم
تقولون قرشيٌّ حجازيٌّ بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا ثم زحف الى الخوارج من غد
ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام
حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمه من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب
فقاتلهم حتى قُتل فقال قطريٌّ لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى
القوم وكان مع ابنه النعمان بن عبّاد فصاح به يا نعمان أين ابني فقال احتسبه فقد استشهد رحمه
الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل
أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطريّ فضربه على
جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها فلما استقروا قال لهم قطريٌّ أما أشرت عليكم
بالانصراف فجعلوا وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم في ذلك الوقت الفزر بن مهزم
العبديُّ فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن
أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففي ذلك يقول في كلمة له

وشدّوا وثاقي ثم ألجوا خصومتي * الى قطريّ ذي الجبين المفلّق
وحاججتهم في دينهم وحججتهم * وما دينهم غير الهوى والتملّق

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش تكانفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم
في كنف بعض) وعادوا الى ناحية أرّجان فسار اليهم عمر وكتب الى مصعب أما بعد فاني قد لقيت
الأزارقة فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر
مذر وبلغني عنهم عودة فيممتهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو
ومجّاعة بن سعيد فالتقوا فألحّ عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا
منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض
اليه قطريٌّ على فرس طمِرّ وعمر على مُهر فاستعلاه قطريٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به
مجّاعة فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطري يا أبا نعامة ان عدو الله قد رهقك فانحط قطريٌّ

الجبار في عقولهم وكذلك
الموالي والعبيد وطاعة
الناس للسيد وطاعة
الديان طاعة محبة ودينونة
والقلوب أطوع لهما من
الابدان الا أن يكون
السلطان مرضيا فان كان
كذلك فهو أعظم خطرا
من السيد وأوجه عند
الله من ذلك الديان وربما
ساد الاتاوي لانه عزى
على حال والمفرج لا يسود
أبدا لانه عجمي لا حالف
له ولا عقد جوار ولا ولاء
معروف ولا نسب ثابت
وليس التسويد الا في
العرب والعجم لا تطيع
الا الملوك والذي أحوج
العرب في الجاهلية الى
تسويد الرجال وطاعة
الأكابر بعد دورهم من
الملوك والحكام والقضاة
وأصحاب الأرباع والمسالح
والعمال فكان السيد في
منعهم من غيرهم ومنع
غيرهم منهم ووثوب
بعضهم على بعض في كثير
من معاني السلطان
(فصل من رسالته الى
أبي الفرج الكاتب في

عن قَرَبوسه فطعنه مُجّاعةُ وعلى قطري درعان فهتكهما وأسرع السنانُ في رأس قطري فكشط عنه جلدة ونجا وارتحل القوم الى أصفهان فأقاموا برهةً ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر ابن عبيد الله الى اصطخر فأمر مجّاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هي لك فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فأجبته * عمرو وقد نسي الحياة وضاعا
فرددت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعُزل مُصعبُ بن الزبير وولي حمزةُ بن عبد الله بن الزبير فوجّه المهلبَ اليهم فخاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رُدَّ مُصعبٌ والمهلبُ بالبصرة والخوارجُ بأطراف أصبهان والوالي عليها عتّابُ ابن وَرْقاء الرياحيُّ فأقام الخوارج هناك شيأ يجبون القُرى ثم اقبلوا الى الاهواز من ناحية فارس فكتب مُصعبٌ الى عمر بن عبيد الله ما أنصفتنا أقمت بفارس تجبي الخراج ومثلُ هذا العدوّ يحاربنا والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر ابن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السُّوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيئ وكان شجاعا وكان من فُرسان عبيد الله بن الحرّ ففي ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحمر طيئ * بساباط لم يعطف عليه خليلُ

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحرثُ بن عبد الله القُباعُ فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمره ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النُّخيلة ففي ذلك يقول الشاعر ان القُباع سار سيرا نُكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من يُنشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها ثم قربوا أخرى وهم بحذاء القُباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونني فوالله مافسقتُ ولا كفرتُ ولا ارتددتُ والناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دَبَاها ودَبِيرَى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول

الناس

المودة والخلطة) أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمه عليك زعم أبقاك الله كثير ممن يقرض الشعر ويروي معانيه ويتكلف الأدب ويجتنيه أنه قد يمدح المرجو المأمون والمفتي المزور بان يكون مخدوعا وعمى الطرف مغفلا وسليم الصدر للراغبين وحسن الظن بالظالمين قليل الفطنة لأبواب الاعتذار عاجزا عن التخلص الى معاني الاعتدال قليل الحذق برد الشفعاء شديد الخوف من مياسم الشعراء حصورا عند الاحتجاج للمنع سلس القياد اذا نبهته نبهته للبذل واحتجوا بقول الشاعر

أيت الخليفة فاخدعه بمسئلة
ان الخليفة للسؤال ينخدع

فانتحال المأمول للغفلة التي تعتري الكرام وخداع الجواد لخدع الطالبين ومخاريق المستميحين باب من التكرم ومن استدعاء الراغب

الناس في كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فاثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب التراحي ثم اشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فتى يقع الفعل وقال الراجز ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجعوا الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك واست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء

وانما سمى الحرث بن عبد الله القباع لانه ولى البصرة فغير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير في مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال القنفذ القبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا الاعرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع في أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاماله واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكان على بن أبى طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ ففي ذلك يقول الشاعر

مواقفنا في كل يوم كريهة * أسر وأشفى من مواقف حوشب

دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ تراوغ ثعلب

ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

والتعرض للجتدى والتلطف لاستخراج الأموال والاحتيال لحل عقد الأشحاء وتهييج طبائع الكرام وأنا أزعم أبقاك الله تعالى ان اقرار المسئول بما يحل من ذلك نولك واضماره لومه حتى تصح القيمة ويعتدل الوزن وأنا أعوذ بالله من تذكر يناسب الاقتضاء ومن اقتضاء يضارع الالحاح ومن حرص يعود الى الحرمان ومن رسالة ظاهرها زهد وباطنها رغبة فان أسقط الكلام وأوغده وأبعده من السعادة وأنكده ما أظهر النزاهة وأضمر الحرص وتجلى للعيون بعين القناعة واستشنع ذلة الافتقار وأشنع من ذلك وأقبح منه وأخس أن يظن صاحبه أن معناه خفى وهو ظاهر وتأويله بعيد الغور وهو قريب القعر فنسأل الله تعالى السلامة فانها أصل النعمة عليكم ونحمده على اتصال نعمتنا بنعمتكم وما ألهمنا الله تعالى من وصف محاسنكم والحمد لله الذى جعل الحمد مستفتح كتابه وآخر دعوى أهل جنته ولو ان رجلا اجتهد في عبادة ربه واستفرغ مجهوده في

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نجّى حليلته وأسلم شيخه * نصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يعيّره بأمه وبلال مشدود عند يوسف بن عمر يا ابن حوراء فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حيث ابتلي قال الكلبي ويعجبني أن أرى الأسير جلدا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذي أزال سلطانك وهدّ ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك يا خالد لثلاث معك هنّ عليّ الامر عليك مقبل وهو عني مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وأنهم أشابة دخلت في بني منقر من الروم ثم انحط الزبير بن علي على أصفهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر وعتاب يحاربه في بعضهن فلما طال به الحصار قال لاصحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارّون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في ألفين وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجدّ لم ير الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خلقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم يحيى تلافيته * ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس نفسر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا * ولم أك في كتيبة ياسمينا

أليس من الفضائل أن قومي * غدوا مستلئمين مجاهدينا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتوافقون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح

طاعة سيده ليهب له الاخلاص في الدعاء لمن أنعم عليه وأحسن اليه اكان حريا بذلك أن يدرك أقصى غاية الكرم في العاجل وأرفع درجات الكرامة في الآجل وعلى اني لا أعرف معنى أجمع لخصال الشكر ولا أدل على جماع الفضل من سخاوة النفس باداء الواجب ونحن وان لم نكن أعطينا الخلاص جميع حقه فان المرء مع من أحب وله ما احتسب ولا أعلم شيئا أزيد في السيئة من استصغارها ولا أحبط للحسنة من العجب بها ومما يستديم الخطأ التقصير واهمال النفس وترك التوقف وقلة المحاسبة وبعد العهد بالتثبت وبما رجعنا اليه من ضعف في عزم ووهان ما نفقد من مناقل الحلم فانا لا نجمع بين التقصير والانكار ونعوذ بالله أن نقصر في ثناء على محسن أو دعاء لمنعم ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر فما بعد لكم من تحقق الآمال والنهوض بالأثقال أكثر على انكم لم تحملونا الا الخف وقد حملناكم الثقل ولم تسألونا الجزاء على احسانكم وقد

ويكنى أباهريرة اذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي

يا ابن أبى الماحوز والأشرار * كيف ترون يا كلاب النار

شد أبى هريرة الهرار * يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على المضمار * تمسى من الرحمن فى جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا نادوهم مافعل الهرار فيقولون مابه من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بى بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك لحقت بأمك الهاوية فى النار الحامية ۞ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه قوله ألم تروا جيا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

النيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو ان وما كان معها فى الباب وزعم الاخفش سعيد أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنت كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذى قلناه أجود ويدعى الوجه الآخر فيجيزه على بعد وأما جي فلا أجود فيها أن تقول * ألم تروا جي على المضمار * فلا تنون لانها اسم لمدينة والاسم أعجمى والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما للبلد وان لم تصرفه جعلته اسما للبلدة أو للمدينة ألا ترى أنك تصرف نوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف

سألناكم الجزاء على ماسألناكم ولم تكلفونا ما يجب لكم وكلفناكم مالا يجب ومن افراط الجهل أن نتذكر حقنا فى تصديق ذلك الظن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس وأنا أسأل الله الذى ألزمكم المؤن الثقال ووصل بكم آمال الرجال وامتحنكم بالصبر على تجرع المرار وكلفكم مفارقة المحبوب من الأموال أن يسهلها عليكم ويحببها اليكم حتى يكون شغفكم بالاحسان الداعى اليه وصبابتكم بالمعروف الحامل عليه وحتى يكون حب التفضل والمحبة لاعتياد المنن الغاية التى تستدعى المدبر والنهاية التى تعذر المقصر وحتى تكرهوا على الخير من أخطأ حظه وتفتحوا باب الطلب لمن قصر به العجز ثم اعلم أصلحك الله تعالى ان الذى وجد فى العبرة وجرت عليه التجربة واتسق به النظم وقام عليه وزن الحكم واطرد منه القسق وأثبته الفحص وشهدت له العقول أن من أول أسباب الخلطة والدواعى الى المحبة ما يوجبه على

قد مالو سميت به رجلا فالاعجمي بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعُل نحو شدّه يشُدّه وزرّه يزُرّه وردّه يرُدّه وحلّه يحُلّه وجاء منه حرفان على يفعِل ويفعُل فيهما جيد هرّه يهِرّه اذا كرهه ويهُرّه أجود وعلّه بالحناء يعِلّه ويعُلّه أجود ومن قال حبَبْته قال يحِبّه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردي فاتبعوني يحِبّكم الله وذلك أن بني تميم تدغم في موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ❁ رجع الحديث ثم ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلّكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قُبُل ويحمي في دُبُر عليكم قطري بن الفجاءة المازني فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجميرا فقال لأصحابه ان قطريا قد أطلّ علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطري يمّم نحو كرمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كرّ قطري عليه وقد استعد فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجُنن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رام هرمز وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار الى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى قتله وحاص اليه أصحابه ففي ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن الليوث الغر من قحطان
للفارس الحامي الحقيقة معلما * زاد الرفاق الى قرى نجران
الحرث بن عميرة الليث الذي * يحمي العراق الى قرى كرمان
ودّ الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فرسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفرسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة فقال لابيه زودني فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر

بعض الناس من القبول عند أول وهلة وقلة انقباض النفوس مع أول المخالطة ثم اتفاق الأسباب التي تقع بالموافقة عند أول المجالسة وتلاقي النفوس بالمشاكلة عند أول المخالطة والأدب أدبان أدب خلق وأدب رواية ولا تكمل أمور صاحب الأدب الا بهما ولا يجتمع له أسباب التمام الا من أجلهما ولا يعد في الرؤساء ولا يثنى به الخنصر في الادباء حتى يكون عقله المتأمر عليهما والسايس له

(فصل منها) فان تمت بعد ذلك أسباب الملاقاة تمت المصافاة وحسن الالف التي سكنه والشأن قبل ذلك مما يسبق الى القلب ويخف على النفس ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه من السابق الى قلب الحاكم عليه ولذلك التمسوا الرفق والتوفيق والايجاز وحسن الاختصار وانخفاض الصوت وان يخرج الظالم كلامه مخرج لفظ المظلوم حتى يترك اللحن بحجته بعد وتخلف الداهية كثيرا من أدبه وبعض من محاسن

فما تنكر الكوماء ضربة سيفه * اذا أرملوا أوخف ما فى الغرائر

وقوله ويعوت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل فى التمنى والنصب على الشرط والخروج من العطف وفى مصحف ابن مسعود ودوا لو تدهن فيدهنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفى الكلام ودلو تأتيه فتحدثه وان شئت نصبت الثانى وخرج مصعب بن الزبير الى باجميراء ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ولم يأت المهلب وأصحابه فتوافقوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج ما تقولون فى المصعب قالوا امام هدى قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ضال مضل فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما توافقوا ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا امام هدى قالوا يا أعداء الله بالامس ضال مضل واليوم امام هدى يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله وولى خالد بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أمن أهل هذا المصر بأن المهلب بالاهواز وعمر بن عبيد الله بفارس فقد تنحى عمر وان نحيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى الا عزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأشخصه فلما صار بكربج دينار لقيه قطرى فمنعه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطرى بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شق نهر تيرى واتبعه قطرى فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فانى لا آمن عليك البيات فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلب لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندق علينا فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا فقال يا أبا سعيد الحزم ما تقول غير أنى أكره أن أفارق أصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبد الملك كتب الى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطرى يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى لابى عيينة اتخذ الى ذلك الناووس فبت عليه فى كل ليلة فمتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل

منطقه القياس المواساة خصمه فى ضعف الحيلة والتشبه به فى قلة الفطنة نعم ومتى يكتب كتاب سعاية ومحل واغراق فيلحن فى اعرابه ويتسعف فى ألفاظه ويتجنب القصد ويهرب من اللفظ المعجب ليخفى مكان حدثه ويستر موضع رفقه حتى لا يحترس منه الخصم ولا يتحفظ منه صاحب الحكم بعد أن لا يضر بعين معناه ولا يقصر فى الافصاح عن تفسير مغزاه وهذا هو الذى يكون العى فيه أبين وذو الغباوة أفطن والردئ أجود والانوك أحزم والمضيع أحكم اذ كان غرضه الذى اياه يرمى وغايته التى اليها يجرى الانتفاع بالمعنى المتخير دون المباهاة باللفظ وانما كان غايته ايصال المعنى الى القلب دون تصيب السمع من اللفظ المونق والمعنى المتخير بل ربما لم يرض باللفظ السليم حتى يسقمه ليقع العجز موقع القوة ويعرض العى فى محل البلاغة اذ كان حق ذلك المكان اللفظ المدون والمعنى الغفل هذا اذا كان صاحب القصة ومؤلف لفظ المحل

الينا فجاء ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطري سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج في أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين في مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين في الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لا تفعل عادوا اليك فقال اكفني أمر الخندق فجمع له الأخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد دمر عليكم وكانت الخوارج تسمي المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الاشعث في كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثنا والذكر بالدائر

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغني عن اعادته ۞ ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره وكان فيروز حصين رجلا جيد البيت في العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا فنسب اليه وحصين بن عبد الله العنبري من بني العنبر بن عمرو بن تميم ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروي الرواة أن رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بني عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال هذا خالي فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الاشعث برستقاباذ نادى منادي الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم فخرج فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركني أكثر التلفت واني لبين خاصتي فأتي به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك

والسعاية ممن يتصرف قلمه ويعلل لسانه ويلتزق في مذاهبه ويكون في وسعه وصلا لان يحط نفسه في طبقة الذل وهو عزيز ويحيل العي وهو بليغ ويتحول في هيئة المظلوم وهو ظالم ويمكنه تصوير الباطل في صورة الحق وسترا لعيوب بزخرف القول واذا شاء طفا واذا شاء رسب واذا شاء أخرجه عقلا محدا وما أكثر من لا يحسن الا الجيد فان طلب الردى جاوزه كما انه ما أكثر من لا يستطيع الا الردئ فان طلب الجيد قصر عنه وليس كل بليغ يكون بتلك الطباع ومتيسر الاداة وموسعا عليه في تصريف اللسان ومهونا عليه في تحويل القلم وما أكثر من البصراء من يحكي العميان ويحول لسانه الى صورة لفظ الفأفاء ثم لا يبلغه الفأفاء ولا يحسنه التمتام وقد نجد من هو أبسط لسانا وأبلغ قلما لا يستطيع مجاوزة ما يشركه والخروج مما قصر عنه

(فصل منها) ولولا الحدود المحصلة والاقسام المعتدلة لكانت الأمور سدى والتدابير مهملة ولكانت عورة الحكيم

ثم لا حملنك أين المال قال عندي فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المال فلما قلبت نزق على ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد في القصب الفارسي ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما زال كذلك حتى مات ۞ ومضى قطري الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطري بكرمان أشهرا ثم عمد فارس وخرج خالد الى الاهواز وندب للناس رجلا لجملوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر اني قد وليت أخي فقال الازارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الاهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا والخوارج بدراب جرد فجعل عبد العزيز يقول في طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الامر لا يتم الا بالمهلب فسيعلمون قال مصعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الاهواز جاءني كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هروية فقال يا مصعب أنا ضائع كأني أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الازارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به الي فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الي بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن تتركه أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الامر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع في خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بني تميم عباس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع القيسي وعلى شرطته رجلا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم في بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعي صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود وامرأته فسبوا

بادية ولا اختلطت السافلة بالعالية

(فصل منها) وأقول بعد هذا كله لو لم أضمر لكم محبة قديمة ولم أضمر بكم بشفيع من المشاكلة ولا بسبب الأديب الى الأديب ولم يكن على قبول ولا على حلاوة عند المحصول ولم أكن الا رجلا من عرض المعارف ومن جمهور الاتباع لكان في احسانكم الينا وانعامكم علينا دليل على انا قد أخلصنا المحبة وأصفيناكم المودة واذا عرفتم ذلك بالدليل النير الذي أنتم سببه والبرهان الواضح الذي اليكم مرجعه لم يكن لنا عند الناس الا توقع ثمرة الحب ونتيجة جميل الرأي وانتظار ما عليه محازاة القلوب وبقدر الانعام تجود النفوس بالمودة وبقدر المودة تنطلق الألسن بالمدحة وهذه الوسيلة أكثر الوسائل وأقواها في نفسي اني لم أصل سببي بحرم وغمر ولا بجهل غفل ولا بضيق العطن حديث الغنى ولا بزمر المروءة مستنبط الثرى بل وصلته وصلة حمال أثقال ومقارع أبطال وبمن ولد في اليسر وربي فيه وجرى منه على عرق ونزع اليه

النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تحصى فقذفوهم في قار بعد أن شدّوهم وثاقا ثم سدّوا عليهم بابه
حتى ماتوا فيه وقال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا ليضربونه
بأسيافهم وما تحيك في جسده يقال ما أحاك فيه السيف وما يحيك فيه وما حاك ذا الامر في صدري
وما حكّ في صدري وما احتكّ في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيك اذا تبختر ونودي
على السبي يومئذ فغولي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا
ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطري وقال
ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدي
فقتلها فأتي به قطري فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا في
هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطري قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلّت * بحمد الله سيف أبي الحديد
أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد
فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوّت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفي الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت
يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب
قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعني بها خمسة دراهم كما تقول النش
لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدي
ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فخفق
عمرو وقال متمثلا

تمنّاني ليلقاني لقيط * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدّى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدّى وهذا البيت الذي تمثل به
عمرو لزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي يقوله يعني لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك

(فصل منها) ولا خير في مهين لا يحتمل هزل أخيه وصحيح لا يجبر كسر صاحبه

(فصل منها) وقد تنقسم المودة الى ثلاث منازل منها ما يكون على اهتزاز الاريحية وطبع الحرية ومنها ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة ومنها ما يحسن موقعه على قدر طباع الحرص وجشع النفس وأرفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة وهو الذي يدوم شكره ويبقى على الأيام وده والثاني هو الذي انما اشتد حبه على قدر موقع المال من قلب الحريص الجشع واللئيم الطمع فهذا الذي لا يشكر وان شكر لم يشكر الا ليستزيد ولم يمدح الا ليستمد وعلى أنه لا يأتي الحمد الا زحفا ولا يفعله الا تكلفا وأنا أسأل الله الذي قسم له أفضل الحظوظ في الانعام أن يقسم لنا أفضل الحظوظ في الشكر وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا الا على طاعة توجب الدعاء وحرية توجب الثناء شاكرين كنا أو منعمين وراجين كنا أو مرجوين ومن صرف الله حاجته الى الكرام وعدل به عن

يريد يا عامر فزخم واغاير يد الحى تعجبا أى لكم أعجب من ثمنيه للقائى فدعا بنى عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة ابن تميم لا ابن معاوية وأنهم ناقلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدى

فياشاعرا لاشاعر اليوم مثله * جرير ولكن فى كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعرا وكان العلاء بن مطرف قد جعل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولا ففى ذلك يقول

ألست كريما اذ أقول لفتيتى * قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولولم يكن عودى نضارا لاصبحت * تجرّ على المثنين أم جميل

قال الصعب بن يزيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبرا فسرت مهجرا الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت فى شرجند وأخبثه قال لى أوكنت معنا قلت لا ولكن كأنى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا قلت أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لى ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وفل جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أوسرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله لهممت أن أضرب عنقك فقلت أصلح الله الامير ان كنت كاذبا فاقتلنى وان كنت صادقا فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما أخطرت به دمك فما برحت حتى دخل بعض الفل وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فأكرمه

الشام فلا يعدن نفسه فى الراغبين ولا فى الطالبين المؤملين لان من لم يجرع مرارة المطال ولم يمدد للرجل التسويف ويقطع عنقه بطول الانتظار ويحمل مكروه ذل السؤال ويحمل على طمع بجنبه يأس كان خارجا من حدود المؤملين ومن استولى على طمعه الثقة بالانجاز وعلى طلبته اليقين بسرعة الظفر وعلى ظفره الجزيل من الأفضال وعلى افضاله العلم بقلة التثريب وبالسلامة من التنقيص بالتماس الشكر وبالغدو وبالرواح وبالخضوع اذا دخل والاستكانة اذا جلس ثم مع ذلك لم يكن ما أنعم به عليه ثوابا السالف يد ولا تعويضا من كد النعمة كانت محضة خالصة ومهذبة صافية وهى نعمتكم التى ابتدأتمونا بها ولا تكون النعمة سابغة ولا الايدى شاملة ولا الستر كثيفا ذيالا وكثير العرض مطبقا ودون الفقر حاجزا وعلى الغنى ملتفا حتى يخرج من عندكم ثم يجتنب الى شاكر

(فصل منها) وأنتم قوم تقدمتم بابتناء المكارم فى حال المهلة وأخذتم

المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسّس عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيبُ مقيما والازارقةُ تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أَرْبُكَ فانصرف الى البصرة على نهر تيرى فلما دخلها أعلم خالدُ فغضب عليه واستتر حبيب فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هنالك فى استتاره الهلالية أم عبّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يُفَيِّلُ رأيه أى يخطئه

بعثتَ غلاما من قريش فَروقةً * وتترك ذا الرأى الاصيل المُهَلَّبا
أَبَى الذم واختار الوفاء وأحكمتْه * قُواه وقد ساس الامور وجرّبا

وقال الحرث بن خالد المخزومى فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الابطال بالسفح نازلوا قَطَرِيّا

ويروى فرعبدُ العزيز اذ راء عيسى * وابن داود نازلا قطريا
عاهد الله ان نجا ملمنايا * ليعودنّ بعدها حَرَميّا
يسكنُ الخلّ والصفاح فغرّا * ن وسلْعا اونارة فجديّا
حيث لا يَشْهدُ القتال ولا يسمع يوما لكَرِّ خيلٍ دَويّا

قوله اذ راء عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف وأخر الهمزة كما قال كُثَيِّر

وكُلُّ خليل راءنى فهو قائل * من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غد

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء الله وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذ لقيت لام المعرفة ظاهرةً فيقولون فى بنى الحرث وبنى العنبر وما أشبه ذلك بَلْحرث وبَلْعنبر وبَلْهُجَيم كما يقولون عَلْماء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تَنْسُبُ الى الحرم فيقولون حِرْمِىٌّ وحُرَمِىٌّ على قولهم حُرْمةُ البيت وحُرَمةُ البيت وقال النابغة الذُّبيانىّ

من قول حِرْمِيّة قالت وقد رحلوا * هل فى مُخِفّيكم مَنْ يشترى أدَما

والخلّ ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتُراه قاطعا رحمى قال نعم أتتْه هزيمةُ أميةَ أخيك

لأنفسكم فيها بالثقة على مقادير ما مكنتم الأواخى ومددتم الاطناب وأثبتم القواعد ولذلك قال الأول عزمت على اقامة ذى صباح لأمر ما يسود من يسود وأبو الفرج أعزه الله فتى العسكرين وأديب المصرين جمع أريحية الشباب وتجاربة الكهول ومجد السادة وبهاء القادة وأخلاق الأدباء ورشاقة عقول الكتاب والتغلغل الى دقائق الصواب والحلاوة فى الصدور والمهابة فى العيون والتقدم فى الصناعة والسبق عند المحاورة شقيق أبيه وشبه جده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لم يتأخر عنهما الا فيما لا يجوز أن يتقدمهما فيه ولم يقصر عن شأوهما الا بقدر ما قصرا من سنهما وهم وان قصروا عن مدى آبائهم وعن غايات أوائلهم فلم يقصروا عن جلة الرؤساء وأهل السوابق من الكبراء ولست ترى تاليهم الاسابقا ومصليهم الا للغاية مجاوزا ليس فيهم سكيت ولا مبهور ولا منقطع قد نفحت اعراقهم من الاقراف والهجنة ومن الشوب ولؤم المجلة

من

من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد
أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت
برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم
يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك
على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى ما لا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت
عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين
يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله
حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه
ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج
بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه
المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد
تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن
خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين
وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب
مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما اقرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم
فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته
بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولى المهلب فوجه
اليه فقال المهلب أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب
فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الأهواز
وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى شهارطاق فأتاه شيخ
من بنى تميم فقال أصلح الله الامير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للامير اذا خطب
فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ
ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شئ وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا

ومتى عاينت أبا الفرج
وكماله ورأيت ديباجته
وجماله علمت أنه لم يكن
فى ضرائبهم وقديم نجارهم
خارجى النسب ولا مجهول
المركب ولا بهيم مصمت
ولا كثير الاوضاح مغرب
بل لا ترى الا كل أغر محجل
وكل ضخم المخرج هيكل
انى لست أخبر عن الموتى
ولا استشهد بالغيب ولا
استدل بالمختلف فيه ولا
الغامض الذى تعظم
المؤنة فى تعرفه والشاهد
لقولى يلوح فى وجوههم
والبرهان على دعواى
فى شمائلهم والأخبار
مستفيضة والشهود
متعاونة وأنت حين ترى
عتق تلك الديباجة ورونق
ذلك المنظر علمت أن
التالد هو قياد هذا
الطارف اما أنا فلم أر لأبى
الفرج أدام الله كرامته
ذاما ولا شانئا ولا عائبا
ولا هاجيا بل لم أجد
مادحا قط الا ومن سمع
سابق الى تلك المعانى ولا
رأيت واصفا له قط الا وكل
من حضر يهش له ويرتاح
لقوله قال الطرماح
هل المجد الا السودد المعود الندى
ورب الجدى والصدر عند الواطن
ولكن هل المجد الا كرم
الارومة والحسب وبعد

فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك
قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته
بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا
الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع
ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن
سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج
وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي
فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن
ابن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا من مشايخ
أهلي وسيدا من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الازارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات
فاتبعهم المهلب الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس
وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم
بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبح أيها الامير ليس برأي قتل هذه الاكلب
ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام
هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى محمد بن اسحق بن
الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا فحلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون
حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم
كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير
وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه الى من بالاهواز يحلف فيه
بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه
فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لارى وجوها ما القبول من شأنها
فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدري ما في أنفسنا
وجعلوا يستعجلونه في قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه

الهمة وكثرة الأدب والثبات على العهد اذا زلت الاقدام وتوكيد العقد اذا انحلت معاقد الكرام والاتواضع عند حدوث النعمة واحتمال كل العثرة والنقد في الكتابة والاشراف على الصناعة والكتاب وهي القطب الذي عليه مدار علم ما في العالم وآداب الملوك وتخليص الألفاظ والغوص على المعاني السديدة والخلاص الى اظهار ما في الضمائر بأسهل القول والتمييز بين الحجة والشبهة وبين المفرد والمشترك وبين المقصور والممدود وبين ما يحتمل التأويل عما لا يحتمله وبين السليم والمعتل فبارك الله لهم فيما أعطاهم ورزقهم الشكر على ما خولهم وجعل ذلك موصولا بالسلامة وعما خط لهم من السعادة انه سميع قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه في استحقاق الامامة)

بعون الله تعالى نقول واليه نقصد واياه ندعو وعلى الله قصد السبيل اعلم أن الشيعة رجلان زيدي ورافضي وبقيتهم نزر كجاء لا زمام لهم وفي الأخبار عنهما غنى عمن سواهما ما قالت علماء

أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدخلوها بغير إذن فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في
عدد قليل فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس
وسبعين فخطبهم وتهددهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل
بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندي الا السيف إن المسلمين
لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء ولا
عز دين ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن
مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة
أيام فاتخذا سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع
لكم مني هو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد
جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي
وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده
وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الأسدي

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فما ان أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال

أقاتلي الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقد مرت هذه الابيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا
وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخا
كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله
الامير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق ثم أمر به فضربت

الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله على أربعة أقسام أولها القدم في الاسلام حيث لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفس المال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس وراء بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب ويرتجيها راغب ولم نجد فعلا خامسا فنذكره فمتى رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار وحمال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم علي وقال فريق منهم أبو بكر وقال آخرون زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد كل واحد من هذه الفرق قاطعا لعذر صاحبه ولا ناقلا له عن

عنقه فى ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن منيرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ماقبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام وأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزكم ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فانه بشر رحمه الله استشكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عنك فأعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا القتاله وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل وأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء

مذهبه وان كانت الرواية فى تقدم على أكثر واللفظ به أظهر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول أبو دجانة ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على أن لعلى رضى الله عنه من قتل الاقران والفرسان والاكفاء ماليس لهم فلا أقل من أن يكون فى طبقتهم وان نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا على وعمر وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على أن عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكاحدهم وان نحن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على أن عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس

الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يعد هؤلاء الا البيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثل

ان لها السائق اعشنزرا * اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو واني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي واخترتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه في الجواب فكتب اليه المهلب ورد علي كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن وزعمت أني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت الي صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة اني أخاف البيات على بني تميم فانهض اليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ما قبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدهم الى ناحية بني تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

اني لمذك للشراة نارها * ومانع ممن أتاها دارها * وغاسل بالطعن عنها عارها *

فوجد بني تميم أيقاظا متحارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وقرا أنجادا * لا كشفا ميلا ولا أوغادا

وخشونة المأكل والرضا بالميسير والتبلغ بالحقير وخلاف النفس عن الفضول ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله بأدم وقطع ما فضل من كمه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع أن زهده هو أفضل من زهدهم لانه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما أن زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن يعد في طبقتهم ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب عن الاسلام بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء وأهل القدم في الاسلام ولم نجدهم ذكروا لابن عفراء والزبير وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة عمرو وابن مسعود وأبي بن كعب كما ذكروا عليا في طبقتهم ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة معاذ وأبي الدرداء

هيهات لا تلفوننا رقادا * لا بل اذا صيح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لى حر ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان قوله وجدتم وقرا جمع وقور والجلد ضد البليد وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذى لا سيف معه والأكشف الذى لا ترس معه والأجم الذى لا رمح معه والحاسر الذى لا درع عليه والأعزل الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى ارتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده فى جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت أصحابنا تدمى نحورهم * وجئت تسعى الينا خضفة الجمل

قوله خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضف البعير وأنشدنى الرياشى لأعرابى يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف * أغلق عنا بابه ثم حلف

لا يدخل البواب الا من عرف * عبدا اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء بحمله اذا جاء به فى ثقل وتكلف وفى القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبج الرجل وحبق وخضف يردم كل ذلك اذا ضرط) فلامهم المهلب وقال بئسما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا

اميرهم

وأبى وعمار وبلال وعثمان ابن مظعون كما ذكروا عليا فى طبقتهم فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ومتفرقة فى غيره من أصحاب هذه المراتب وأهل هذه الطبقات الذين هم الغايات علمنا أنه أفضل وان كل واحد منهم وان كان قد أخذ من كل خير بنصيب فانه ان يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل على رضوان الله عليه وتقديمه على غيره وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة لأنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقل طعنا وخلافا وذلك أن العرب وقريشا كانوا فى أمره على طبقات من رجل قد قتل على أباه وابنه أو أخاه أو ابن عمه أو حميمه أو صفيه أو سيده أو فارسه فهو بين مضطغن قد دام على حقده ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة قد كشف قناعه وأبدى عداوته ومن رجل قد زمل غيظه وأكن ضغنه يرى أن سترهما فى نفسه ومداراة عدوه أبلغ فى التدبير وأقرب من الظفر فانما يحجزه به أدنى علة تحدث وأول تأويل يعرض أو فتنة تهجم فهو

أميرهم أفلاتذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى ووجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لأصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أماتملون فقالوا لاحتى تملوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما اقتتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حزابة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يامهلب من أمير * أماتندى يمينك للفقير

بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكة درور

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الأمير فذاك الذى نكرهه منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الى منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى

وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يساقى المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الأمير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد * جلاد القوم فى أولى النفير

يرصد الفرقة ويترقب الفتنة حتى يصول صولة الأسد ويروغ روغان الثعلب فيشفى غليله ويبرد ناره واذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب وان يموه له الشيطان الوثوب ويزين له الطلب لانه قد عرف ما أتاه وكيف يختله من طريق هواه فاذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقوا احتراسه وكان يعرض هلكه على جناح تغرير لانه منقسم الرأى متفرق النفس قد اعتلج على قلبه غيظ الثار على قرب عهده بأخلاق الجاهلية وعادة العرب من الثار وتذكر الأحقاد والأمر القديم وشدة التصميم ومن رجل عممته حداثته وأنف أن يلى عليه أصغر منه ومن رجل عرف شدته فى أمره وقلة اعتقاده فى دينه وخشونة مذهبه ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان فى نصاب واحد وينبتان فى مغرس واحد لان ذلك أقطع لاطماع قريش أن يعود الملك دولة فى قبائلها ومن قريش خاصة فى بنى عبد مناف الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى لان الرحم كلما كانت امس

اذا نادى الشراةُ أبا سعيد * مشى فى رفْلِ محكمةِ القتير

الرفل الذيل وقال المهلب مايسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب فيقال له أيها الامير بيهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر سؤل فأنا آمن أن يغفل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم ينشامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور و بين المهلب و بين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحظ فى ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لاثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب فى جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفى مثل هذا اليوم يامغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسى وكان سعد شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ماعدا (وقردوس من الأزد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجرى

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسى من الازد فتجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد بن نجد وذبيان السختيانى وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا قتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختيانى فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا

ولكنك

والجوار أقرب والصناعة أشكل كان الحسد أشد والغيظ أفرط فكان أقرب الأمور الى محبتهم اخراج الخلافة من ذلك المعدن ترفيها عن أنفسهم من ألم الغيظ وكمد الحسد

(فصل منها) وضرب من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم وأعراب أجلاف وأشباه الأعراب يفترقون لاتدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن ثم بجهم اذا سكنوا ان اخصبوا طغوا فى البلاد وان أجدبوا آثروا العناد وهم موكلون ببغض القادة وأهل الثراء والنعمة يتمنون له الغلبة ويشمتون بالعشيرة ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة فلما كان الناس عند على وأبى بكر على الطبقات التى ذكرنا والمراتب التى رتبنا أشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافى عن الأمر فاغتفر المجهول ضنا بالدين وايثارا للآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه

ولكنك اتخذت أكاذ وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتني والسلام فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخي الظفر ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا وقد عاتبتني معاتبة الجبان وأوعدتني وعيد العاصي فاسأل الجراح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته يا أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ففي ذلك يقول عمران بن عصام العنزي

ضربوا الدراهم في امارتهم * وضربت للحدثان والحرب

حلقا ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والي أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد دخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب في احدى جمادين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج في أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زيادا الى ابنه

وعلم أن هلكتهم لا تقوم بأزاء فرق ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم وقد علم بعد ذلك أن مسيلمة قد أطبق عليه أهل اليمامة ومن حولها من أهل البادية وهم القوم الذين يصطلي بنارهم ولا يطمع في ضعفهم وقلة عددهم فكان الصواب ما رآه علي من الكف عن تحريك الهرج اذ أبصر أسباب الفتن شارعة وشوا كل الفساد بادية ولو هرج القوم هرجة وحدثت بينهم فرقة كان حزب بوارهم أغلب من الطمع في سلامتهم وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وفضلاء أصحابه يعرفون من ذلك الآراء شبيها بما يعرفه علي فعلموا أن أول احكام الدين المبادرة الى اقامة امام المسلمين لئلا يكونوا نشرا ولئلا يجعلوا للمفسدين علة وسببا فكان أبو بكر أصلح الناس لها بعد علي فأصاب في قيامه والمسلمون في اقامته وعلي في تسويغه والرضا بولايته منة على الاسلام وأهله فلما قمع الله تعالى أهل الردة بسيف النقمة وأباد النفاق وقتل مسيلمة وأمر طليحة ومات أصحاب الأوتاد ونفيت الضغائن راح

حبيب وضم الثقفى الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفى ثم باكروهم فى اليوم الثانى وقد وجد الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدى

ألا يا اصبحانى قبل عوق العوائق * وقبل اختراط القوم مثل العقائق

غداة حبيب فى الحديد يقودنا * نخوض المنايا فى ظلال الخوافق

حرون اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه * زيادا أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اختراط القوم مثل العقائق يعنى السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق ويقال انعق البرق اذا تبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبى أى بالشعر الذى ولد به لم يحلقه ويقال عققت الشئ أى قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبى اذا ذبحت عنه وقال أعرابى

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى * اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف * الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتى * وأول أرض مس جلدى ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغنى انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغنى انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب بن نعيم بن هبيرة بن أبى مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر

الحق الى أهله وعاد الأمر الى صاحبه قالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلى عليه من هو دونه فى الفضل حتى يكلفه الله طاعته وتقديمه اما للصلحة والاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ فى المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر والملائكة أفضل من آدم ولأن جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بنى اسرائيل وفيهم يومئذ داود نبى صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذى أخبر الله عنه فى القرآن بقوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا الى آخر الآية

(فصل من صدر رسالة فى استنجاز الوعد) قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه فان كان الوجه انما وقع على الوجه الذى فيه الناظر والسامع والشام والذائق اذا كان حسنا جميلا وعتيقا

فكانت تميم قاطبة وعتّاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بنى اياد بن سُود

ألا أبلغ بنى ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * للاقت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نُصرتم عليهم فشخص عتاب بن ورقاء الى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحابُ المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الىّ وقد وجهتُ اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتابُ والدراهمُ الى قطرى فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتابُ قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها فأمر به فقُتل فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبيّن فقال له ما حالُ هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطرى قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكّر له عبدُ ربه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلبَ فدسّ اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدتُ لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجلٌ من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميًّا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلبَ فوجّه اليهم رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة

بهيا فوجهك الذى لا يحيل على أحد كاله ولا يخطى حواله وان كان ذكر الوجه انما يقع على حسن وجه المطالب وجماله على جهة الرغبة وان كان ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ والفرع المأخوذ من الأصل فوجه المطالب اليك أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها وأرضاها وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيح وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره غامر الا ان الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن وسهله باليسر وحبيه بالبشر الحسن ودعا اليه بلين الجناب وأظهر فى أسمائكم وأسماء آبائكم وفى كناكم وكنى اخوانكم من برهان الفال الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الامل وضرب اليكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشرة عند اللقاء ولين الخطاب والكنف للخلطاء وقلة البذخ بالمرتبة الرفيعة والزيادة فى الانصاف عند النعمة الحادثة تجعل الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد واطماعكم من أصح الانجاز واعلموا انكم

ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم يجز الجنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيز الجنة فكثر الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلون هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلة * قريب وأعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار في وسط الازارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيأ واستنقذه فرسان من الازد بعد ان صرع وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال وهو يقول

أنا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبي بلال * وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح ابن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا آليه بنفسي فهو ضائع وتذمر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحد نا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فمار بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشل السرح أي يطرده وهو يقول

نحن قمعناكم بشل السرح * وقد نكأنا القرح بعد القرح

الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدو غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لي قرحة وتنكؤها

ولحقه المفضل ومدرك فصاحا برجل من طيئ اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك

تؤيسون في مواضع البأس وتطمعون في مواضع الضمان وان الامور عندكم موزونة معدلة والاسباب مقدرة محصلة هذا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم والتقية أحزم والصفح اذا كان الصفح أكرم والرحمة لمن استرحم والعقاب لمن صمم ثم المعرفة تفرق ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر وفضل ما بين اعتزام الشجاع والبطل وبين اقدام الجاهل المتهور وقد علم الناس بما شاهدوه منكم وعاينوه من تدبير وعرفوه من تصرف حالتكم اني لم تزيدا لكم ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم وخير المديح ما وافق حال الممدوح وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف وشهد له أهل العيان الظاهر والخبر المتظاهر ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة ضار المادح ولم ينفع الممدوح هذا الى الثبات على العهد واحكام العقد مع الوفاء العجيب والرأي المصيب وتمام ذلك وكماله وسناه ذلك وبهاؤه كثرة الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم ومن قبل لنفسه

فقال المهلب لا وألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم ووجه الحجاج الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

الشعر لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج فقال المهلب للسلمي والكلبي كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشني مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لو قتلت أما كان يقال قتلته امرأة وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي فقال له غلام له يقال له خلاج والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لأعطيك احداهما وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك ان تعانق طفلة * شرقا بها الجادي كالتمثال

حتى تلاقي في الكتيبة معلما * عمرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المقطر في الكتيبة مقدما * في عصبة قسطوا مع الضلال

او أن يقلدك المهلب غزوة * وترى جبالا قد دنت لجبال

قوله طفلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهي الصغيرة والجادي الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمي الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمعلم الذي قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه

مديحا لا يعرف به كان كمادح نفسه ومن آثاب الكذابين على كذبهم كان شريكهم في اثمهم وشقيقهم في سخفهم بل كان المحتفل لكبره المحتمل لوزره اذا كان المثيب عليه والداعي اليه معاذ الله أن نقول الامعر وفا غير مجهول ونصف الا صحيحا غير مدخول أو نكون ممن يتودد بالملق ويتقحم على أهل الاقدار شرها الى مال أو حرصا على تقريب وأبعد الله الحرص وأخزى الشره والطمع فان شك شاك أو توقف مرتاب فليعترض العامة وليتصفح ما عند الخاصة حتى يتبين الصبح وقالوا في تأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة اذا أبردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم فكيف اذا قارن حسن الوجه وحسن الاسم وكرم الضريبة وشرف العرق وأعيان الأعراق الكريمة والأخلاق الشريفة اذا اجتمعت هذا الاجتماع واقترنت هذا الاقتران كانت أتم للنعمة وأبدع للفضيلة وكانت الوسيلة اليها أسهل والمأخذ نحوها أقرب والأسباب أمتن فاذا انتظمت في هذا

مُعلماً يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دُجانة وهو سماك بن خَرَشَة الانصاري يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفي هذا بحقه قالوا وما حقه يارسول الله قال أن يُضرَب به فى العدو حتى ينحني فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مُشَهَّرة وكان قومه يعلمون انه اذا لبس تلك المشهرة لم يُبق فى نفسه غاية ففعل وخرج يمشي بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المِشية يُبغضها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدا فاغسلي عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك بن خرشة وسهل بن حُنيف والحرث بن الصِّمَّة وفى بعض الحديث وقيس ابن الربيع وكل هؤلاء من الانصار عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القنا من بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل والذى طعن صاحب المهلب فى فخذه فشكها مع السرج من بنى تميم قال ولا أدري أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أي جاروا يقال قسط يقسط فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مُقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المُقسطين وكان بدر بن الهذيل شجاعا وكان لحّانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى ياخيل الله اركبي وله يقول القائل

وإذا طَلَبْتَ الى المهلب حاجةً • عرضتْ توابعُ دونه وعبيدُ
العبدُ كُردوسٌ وعبدُ مثلُهُ * وعلاجُ بابِ الأحمرِ بن شديدُ

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمر بن شديد العرب تسمي العجم الحمراء وقد مر تفسير ذا وقوله توابع أراد به الرجال فجاز فى الشعر واخراجه الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التي هي نعت وقد قلنا فى هذا ولم قالوا فوارس وهالك فى الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عُرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة فقال لهم يابني عمّ اني قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأني لا موصول ولا محروم فاجعلوا لي فرجة أعش بها وهبوني امرأ رجوتم نصره

السلك وجمعها هذا النظم كان الذي يبرد البريد أولى بها من البريد وكان مقوم البلاد أحق بها من حاشية الكفاة اذ التأميل لا يجمع وجه الصواب ولا يحصي مخارج الأسباب ولا يظهر برهانه ويقوم سلطانه حتى يصيب المعدن وان يكون موضع الرغبة معدنا الا بعد اشتماله على ترادف خصال الشرف وبعد ان تتوافى اليه معاني الكرم بالاعراق الكريمة والعادات الحسنة عن حادث يشهد لقادم وطارف يدل على تالد فاذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثاقب والمجد راسخ وان كان الشأن فى صناعة الكلام وفى القدم والرياسة وفى خلف يأثره عن سالف وآخر يتلقاه عن أول قبلكم مالا يذهب عنه جاحد ولا يستطيع جحده معاند

(فصل منها) وأسماؤكم وكناكم بين فرج ونجح وبين سلامة وفضل ووجوهكم وفق أسمائكم واخلاقكم وفق اعراقكم فلطم بضرب التفاوت فيكم بنصيب وبعد هذا فاني استغفر الله تعالى من تفريطي فى حقوقكم واستوهبه طول رقدتي

أو خفتم لسانه فرجعوا إليه ووصلوه وكلّموا فيه المهلب فوصله وولّى الحجاج كُرْدَمًا فارس فوجهه الحجاج إليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كَرْدَمٌ لَكَرْدَمَا * كَرْدَمَةَ العَيْرِ أَحَسَّ الضَّيْغَمَا

الضَّيْغَمُ الأسدُ والكَرْدَمَةُ النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصْطَخْرَ ودَرَابْجِرْدَ لأرزاق الجند ففعل وكان قَطَرِيٌّ هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمَرْدُ بن الهِرْبِذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلبُ فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجَّه به الحجاجُ الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة بعد ما تقلده به فرجع به المغيرةُ اليه وقد دَمَّاه فسُرَّ المهلبُ بذلك وقال ما يسرني أن أكون كنتُ دفعته الى غيرك من ولدي اكفني جِبايةَ خراج هاتين الكُورتين وضم اليه الرُّقادَ فجعلا يَجْبِيانِ ولا يُعطيانِ الجُندَ شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بني تميم في كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نُلاقي * من الآفات والكُرَبِ الشِّداد

لفاضَتْ عينُهُ جَزَعًا علينا * وأصْلَحَ ما استطاع من الفساد

ألا قُلْ للأمير جُزِيتَ خيرا * أَرِحْنا من مُغِيرَةَ والرُّقاد

فما رزقا الجنودَ بها قَفِيزًا * وقد ساسَتْ مَطامِيرُ الحَصاد

يقال ساسَ الطعامُ وأساس اذا وقع فيه السوس ودَادَ وأدادَ من الدود وروى أبو زيد دِيدَ فهو مَدودٌ في هذا المعنى فحاربهم المهلب بالسِّيرَجانِ حتى نفاهم عنها الى جِيرُفْتَ واتَّبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سببُ ذلك أن عَبِيدَةَ بن هلال اليَشْكُرِيَّ اتُّهِمَ بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذنٍ فأتَوْا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عَبِيدَةَ من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نُقارُّهُ على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعَثَ الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نُقارُّ على الفاحشة فقال بَهَتُوني يا أمير المؤمنين فما ترى قال اني جامعٌ بينك وبينهم فلا تَخْضَعْ خضوعَ المُذْنِبِ ولا تَتَطاولْ تطاوُلَ البَرِيء فجَمَعَ بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالإفك عُصْبَةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خير لكم

عما فرضته لكم ولا ضير ان كان هذا الذى قلناه على اخلاص وصحة عهد وعلى صدق سيرة وثبات عقد ينبو السيف وهو حسام ويكبو الطرف وهو جواد وينسى الذكور ويغفل الفطن ونعوذ بالله تعالى من العمى بعد البصيرة والحيرة بعد لزوم الجادة كان أبو الفضل أعزه الله على ما قد بلغك من التبرع من الوعد وسرعة الانجاز وتمام الضمان وعلى الله تمام النعمة والعافية وكان أيده الله فى حاجتى كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول وموعدنى حق كأن قد فعلتها

متى ما أعد شيأ فانى لعازم

وتقول العرب من أشبه أباه فما ظلم تقول لم يضع الشبه الا فى موضعه لانه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفى نجله من الشبه القائم فيه الظاهر عليه وقد تقيلت أبقى الله شيمك خلقه وخلقه وفعله وعزمه ومن الشهامة والنفس التامة ومرجع الافعال الى الطبائع ومدار الطبائع على جودة اليقين وقوة المنة وبهما تتم العزيمة وتنفذ البصيرة هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومكن من الثقة

الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بنى
قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة فى
اقامة الحد ثبتا وكان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا
فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى انى استعملته وله ضياع
وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم منى وقالوا
لقطرى ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر
فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدى
كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ولكنك قد
كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا
منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أو رجعتم بعدى كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى
منزله وعزم أن يبايع المقعطر العبدى فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن
القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطرى أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله
واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا سأموا عثمان
ابن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصى ففعل ويجب على الامام أن يعفى الرعية مما كرهت
فأبى قطرى أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه أكثر
من الشطر وجلهم الموالى والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق
فقال لقطرى هذه نفحة من نفحات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى
قطرى الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله
ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحى * وفى البجلى معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا
شديدا فأجلت الحرب عن ألفى قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت
العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطرى خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال

وسلمك من المذمة
والله لو لم يكن فيكم من
خصال الحرية وخلال
النفوس الأبية الا
انكم لا تدينون بالنفاق
ولا تعتدون بالكذب
ولا تستعملون المواربة
فى موضع الاستقامة وحيث
تجب الثقة ولا يكون حظ
الأحرار بالمواعيد صرفا
ولا تتكلون على ملامة
الطالب ولا عجز الراغب
اذا استنفدت أيامه
وعجزت نفقته وماتت
أسبابه بل تعجلون لهم
الراحة عند تعذر الأمور
اليكم بالاياس وتحققون
اطماعهم عند امكان
الامور لكم بالانجاح
(فصل منها) وانك
والله أيها الكريم المأمول
والمستعطف المسؤل
لا تزرع الحبة الا وتحصد
الشكر ولا تكثر المودات
الا اذا كثر الناس
الأموال ولا يشبع لك
طلب الأحدوثة وجمال
الحال فى العشيرة الا بتجرع
مرار المكروه ولن تنهض
بأعباء المكارم التى توجبها
النعمة وتفرضها المرتبة
حتى تستشعر التفكر فى
التخلص الى اغنائهم
والقيام بحسن ظنهم وحتى
ترحمهم من طول الانتظار
وترق عليهم من موت
الأمل واحياء القنوط

له عبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطري فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أنقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطرى فقال صدق تضوّوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لأهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم ابن عدى بن أبى طحمة المجاشعى انى لا آمن ان يكون قطرى كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الا عبدا وعلجا فسألهما عن قطرى وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذى الأجبال

فنكحن أهل الجزء من فرساننا * والضاربين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطرى وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه فى أثر قطرى رجلا جلدا فى جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفى الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلى فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل

وحتى تتغلغل ذلك بالحيل اللطيفة والعناية الشديدة الشريفة وحتى تتوخى الساعات وتنتهز الفرص فى الحالات وتتخير من الألفاظ أرقها مسلكا وأحسنها قبولا وأجودها وقوعا

(فصل من صدر رسالته فى تفضيل النطق على الصمت) أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك وجعلك ممن اذا عرف الحق انقاد له واذا رأى الباطل أنكره وتزحزح عنه قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت وشرحت من مناقب السكوت ولخصت من وضوح أسبابهما وأحمدت من منفعة عاقبتهما وجوبت فى مجرى فنون الأقاويل فيهما وذكرت أنك وجدت الصمت أفضل من الكلام فى مواطن كثيرة وان كان صوابا وألفيت السكوت أحمد من المنطق فى مواضع جمة وان كان حقا وزعمت أن اللسان من مسالك الخناء الجالب على صاحبه البلاء وقلت ان حفظ اللسان أمثل من التورط فى الكلام وسميت الغبى عاقلا والصامت حليما والساكت لبيبا والمطرق مفكرا وسميت البليغ

منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء
قد حسم والقرن قد قصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا
وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان
الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال
وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا
يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا
يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير
فكتب المهلب اليه أما بعد فاني لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة
الى تلقين ذكرت أني أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت
أن في ذلك الجمام ما ينسي القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى
لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان
ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا
فان تركتني والرأي كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان أعجلتني لم أطعك ولم أعص
وجعلت وجهي الى بابك أنا وأعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبد ربه
قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره
والمسلم اذا صح توحيده عز بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطري وعجلة صالح بن مخراق ونخوته
واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم
هذا من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم في هذا الوقت على المهلب
عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية
الأمير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشي خرج
الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا
مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا لعمري أيسر عليك فقال
للناس ردوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا في الناس وقال لعبيد بن أبي ربيعة كن مع يزيد

مكثارا أو الخطيب مهذارا
والفصيح مفرطا أو المنطيق
مطنبا أو قلت انك لم تندم
على الصمت قط وان كان
منك عيا وانك ندمت
على الكلام مرارا وان
كان صوابا أو احتججت في
ذلك بقول كسرى
أنوشروان واعتصامك
فيها بأسار من آثار بل
الشعراء والمنسوق من
كلام الأدباء وافراطهم في
مذمة الكلام واطنابهم
في محمدة السكوت وأتيت
حفظك الله على جميع
ما ذكرت من ذلك ووصفت
ولخصت وشرحت
وأطنبت فيها وفرطت
بالفهم وتصفحتها بالعلم
وبحثت بالحزم وعبت
بالعزم فوجدتها كلام
امرئ قد أعجب برأيه
وارتطم في هواه وظن أنه
قد نسج فيها كلاما وألف
ألفاظا ونسق له معاني
على نحو ما أخذه ومقصده
أن لا يلي له ناقض في دهره
بعد أن أبرمها ولا يجد
فيها مناويا في عصره بعد
ان أحكمها وان حجته قد
لزمت جميع الأنام
ودحضت حجة قاطبة أهل
الأديان لما شرح فيها
من البرهان وأوضح
من البيان وحتى كان القول
من القائل نقصا ورفع
الوصف من الواصف

نخذه بالمحاربة أشدّ الأخذ وقال لأحد الأمينين كن مع المغيرة ولا ترخص له فى الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عُقرت الدواب وصُرع الفرسان وقُتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشدّ قتال وسقط رمح لرجل من مُراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثرت الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يقول

الليلُ ليلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ * وسال بالقوم الشُراة السَيْلُ * ان جاز للاعداء فينا قَوْلُ

فلما عظم الخطبُ فيه بعث المهلب الى المغيرة خلّ عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفى والأمينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الاقوى يأتى الرجل بالدلو قد شدّها فى طرف رمحه فيستقى بها وهناك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال وضمّ الثقفى الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لابى علقمة العبدى وكان شجاعا ماتيا أمددنا بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفخار فتعار ولا أعناقهم كرادى فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كرادوه وفارسى أعرب) وقال لحبيب بن أوس كُرّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الامير بغير علم * تقدّم حين جدّ به المراس

فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غير هذا الرأس راس

نصب غير لانه استثناء مقدّم وقد مضى تفسيره وقال لمعن بن المغيرة بن أبى صفرة احمل فقال لا الا أن تزوجنى أم مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليت من يشترى الغداة بمال * هلكه اليوم عندنا فيرانا

نصل الكر عند ذاك بطعن * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الامينُ الذى كان معك قال قتل وكان الثقفى قد هرب وقال ليزيد ما فعل عُبيد بن أبى ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامينُ الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشى رجع الثقفى فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة

تغلبا وكان فى موضع لا ينازعه فيه أحد وقلما يجد من يخاصمه ولا يلفى أبدا من يناضله وصار فلجا بحجته أوحديا فى لهجته اذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة وكان مثله فى ذلك مثل من تخلص الى الحاكم وحده فلج بحجته وانى سأوضح لك ذلك بالبرهان القاطع والبيان الساطع وأشرح فيه من الحجج ما يظهر من الحق ما يقهر بقدر ما أتت عليه معرفتى و بلغته قوتى وملكته طاقتى بما لا يستطيع أحد رده ولا يمكنه انكاره و بحده ولا قوة الا بالله وبه أستعين وعليه أتوكل واليه أنيب انى وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنقبة المنطق ظاهرة فى خلال كثيرة وخصال معروفة منها انك لا تؤدى شكر الله ولا تقدر على اظهاره الا بالكلام ومنها انك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والابانة عن مآربك الا باللسان وهذان فى العاجل والآجل مع أشياء كثيرة لو بحوها الانسان لوجدها فى المعقول موجودة وفى المحصول معلومة وعند الحقائق مشتهرة وفى التدبير ظاهرة ولم أجد

مازلت بالثقفي تخطب بيننا * وتغمنا بوصية الحجاج

حتى اذا ما الموت أقبل زاخرا * وسما لنا صرفا بغير مزاج

ولبثت بالثقفي غير مناظر * تنساب بين أحزة وفجاج

ليست مقارعة الكماة لدى الوغى * شرب المدامة في اناء زجاج

قوله بين أحزة هو جمع حزيز وهو ما ينقاد من الارض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج وقال المهلب للامين الآخر ينبغي أن تتوجه مع ابي حبيب في ألف رجل حتى تبيتوا عسكرهم فقال ما تريد أيها الامير الا أن تقتلني كما قتلت صاحبي قال ذاك اليه وضحك المهلب ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب وهم في زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي * اذا بات أطواء بني الاصاغر

أخادعهم عنه ليغبق دونهم * وأعلم غير الظن أني مغاور

كأني وأبدان السلاح عشية * يمر بنا في بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمي أنت قال نعم قال أحنظلي قال نعم قال أيربوعي قال نعم قال أثعلبي قال نعم قال أمن آل نويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الامير أيكون مثلي في عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعني فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

بيربوع فخرت وآل سعد * فلا مجدي بلغت ولا افتخاري

بيربوع فوارس كل يوم * يواري شمسه رهج الغبار

عتيبة والأحيمر وابن عمرو * وعتاب وفارس ذي الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوي البطن أي منطو يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا شيء تفتخر به العرب قال الأسعر الجعفي

لكن قعيدة بيتنا مجفوة * باد جناجن صدرها ولها غنى

تقفي بعيشة أهلها وثابة * أو جرشع نهد المراكل والشوى

الصمت فضلا على الكلام مما يحتمله القياس لانك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام به ولو كان الصمت أفضل والسكوت أمثل لما عرف للآدميين فضل على غيرهم ولا فرق بينهم وبين شيء من أنواع الحيوان واصناف الخلق في أصناف جواهرها واختلاف طبائعها وافتراق حالاتها واجناس أبدانها في أعيانها وألوانها بل لم يمكن أن يميز بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة وكان لكل قائم وقاعد ومتحرك وساكن ومنصوب وثابت في شرع سواء ومنزلة واحدة وقسمة مشاكلة اذ كانوا في معنى الصمت بالجثة واحدا وفي معنى الكلام بالمنطق متباينا ولذلك صارت الأشياء مختلفة في المعاني موتلفة الأشكال اذ كانت في اشكال خلقتها متفقة بتركيب جواهرها وتأليف اجزائها وكمال أبدانها وفي معنى الكلام متباينة عند مفهوم نغماتها ومنظوم ألفاظها وبيان معالمها وعدل شواهدها مع اني لم أنكر فضيلة الصمت ولم أهجن ذكره الا أن فضله خاص دون عام وفضل الكلام خاص وعام

قال فكثروا أياما على غير خنادق بخارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسى به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثى لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابى مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا لم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الارض وقال لبنيه تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدى أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بنى انى أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بى يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذى ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم فى عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولونى درعى فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقرى ومرة بن تليد الأزدى من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

يا حفص انى عدانى عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومى السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرنى

وان الاثنين اذا اشتغل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق وخلاص أمة ومن أكثر ما يذكر للساكت من الفضل ويوصف له من المنقبة أن يسكت ليتوقى به عن الاثم وذلك فضل خاص دون عام ومن أقل ما يحتكم عليه أن يقال غبى أو جاهل فيكون فى ذلك لازم ذنب على التوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورط فيه صاحبه من الوزر والذى ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن وجاءت فيه الروايات عن الثقات فى الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها ويدرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهداية ولم نر الصمت أسعدك الله أحمد فى موضع الا وكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علانيته ووضوح جليته ومغبة نفعه وقد

من بنى المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحيى الشجاع أن يفر من مُدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطري قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لاحد فى اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم علىّ وعجل القدوم ان شاء الله فولى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بنى انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج وان تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيأ

ذكر الله جل وعز فى قصة ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام وجعلها جذاذا فقال حكاية عنهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فكان كلامه سببا لنجاته وعلة لخلاصه وكان كلامه عند ذلك أجدى من صمت غيره فى مثل ذلك الموضع لانه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم اياه لم يكن سكوته الا على بصر وعلم وانما تكلم لانه رأى الكلام أفضل وان من تكلم فأحسن قدر ان يسكت فيحسن وليس من سكت فأحسن قدر ان يتكلم فيحسن واعلم حفظك أن الكلام سبب لايجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول فى معانى كثيرة لقول الله عز وجل فى بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر لما كلمه فقال انك اليوم لدينا مكين أمين فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام والافصاح بالبيان مع محاسنه المونقة واخلاقه الطاهرة وطبائعه الشريفة لما

فوجهه اليّ وتفضّل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبرّه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلّدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا يطعم النوم الاريث يبعثه * همّ يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عضّ مكروه به خشعا

مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متّبعاً طوراً ومتّبعا

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأني أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادي ثم أنشده هذا الشعر فسرّ الحجاج حتى امتلأ سروراً قوله نفل أي اقسم بينهم والنفل العطية التي تفضل كذا كان الاصل وانما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وباذن الله ريثي وعجل)

وقال جل جلاله يسألونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا أي أعطيتك ثم صار النفل لازماً واجباً وقول الايادي رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتي لا تشينه * وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقاً حرجاً وقوله مضطلعاً انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد أنه قوي على أمر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعاً طوراً ومتبعاً أي قد اتّبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتُّبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أُلنا وإيل علينا أي قد أصلحنا أمور الناس وأُصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعاً عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم الشيخ الشيخ قال العجاج

رأين قحماً شاب واقلحما * طال عليه الدهر فاسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجاف ويقال للصبي مقلحم اذا كان سيّئ الغذاء وابن هرمين ويقال

عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولا حل ذلك المحل منه ولا صار عنده بموضع الامانة ولكان في عداد غيره ومنزلة سواء عند العزيز ولكن الله جعل كلامه سبباً لرفع منزلته وعلو رتبته وعلة لمعرفة فضيلته ووسيلة لتفضيل العزيز اياه ولم أر للصمت فضيلة في معنى ولا للسكوت منقبة في شيء الا وفضيلة الكلام فيها أكثر ونصيب المنطق عندها أوفر والحظ بها أشهر وكفى بالكلام فضلا وبالمنطق منقبة ان جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده والدال على معالم دينه وشرائع ايمانه والدليل الى رضوانه ولم يرض من أحد من خلقه ايمانا الا بالاقرار وجعل مسلكه اللسان ومجراه فيه البيان وصيره المعبر عن مايضمره والمبين عن ما يخبره والمنبئ عن ما يستطيع بيانه وهو ترجمان القلب والقلب وعاء واع ولم يحمد الصمت من أحد الا توقياً لعجزه عن ادراك الحق والصواب في اصابة المعنى وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وانكارهم

رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسن حتى ييبس والمسلهم الضامر قال الشاعر

* لما رأتني خلقا انقحلا * ويقال في معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية في هذا المعنى وقوله

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم قريب وعوض مما يضاف الى الافعال وتأويله انه لا يطعم النوم

الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره

هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج

زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر

فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك في المستقبل وذلك لان الماضي في معنى اذ وأنت تقول

جئتك اذ زيد أمير والمستقبل في معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز

أجيئك يوم زيد أمير فأما الافعال في اذا واذ فهي بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا

قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو في قولك افعل ذاك بذي تسلم وافعلاه بذي تسلمان

معناه بالذي يسلمكما ومن ذلك آية في قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأن على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر واعتمادنا ترك الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب أنا والله ما كنا

أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان

ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لي القوم الذين أبلوا

وصف لي بلاءهم وأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من

عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه

المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد

في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان

حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباههما

فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها

الامير اني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر

ويجعلني أسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء صرت أنا وأصحابي فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل

قوم

اياه ليقروا به فاذا فعلوه
حقنت دماؤهم وحرمت
أموالهم ورعيت ذممهم
ولو انهم سكتوا راضين بدينهم
لم يكن سبيلهم الا العطب
فاعلم أن الكلام من
أسباب الخير لا من الشر
والكلام أبقاك الله
سبيل التمييز بين الناس
والبهائم وسبب المعرفة
لفضل الآدميين على
سائر الحيوان قال الله عز
وجل ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر
كرمهم باللسان وحملهم
بالتدبير ولو لم يكن الكلام
لما استوجب أحد النعمة
ولا أقام على اداء ما وجب
عليه من الشكر سببا
للزيادة وعلة لامتحان
قلوب العباد والشكر
بالاظهار في القول والابانة
باللسان ولا يعرف الشكر
الا بهما والله تعالى يقول
لئن شكرتم لأزيدنكم
فجعل الشكر علة لوجوب
الزيادة عند اظهاره
بالقول والحمد مفتاحا
للنعمة وقد جاء في بعض
الآثار لو أن رجلا ذكر الله
الله تعالى وآخر يسمع له
كان المعدود للسمع من
الأجر والمذكور له من
الثواب واحدا وللمتكلم
به عشرة أو أكثر فهل
ترى أبقاك الله انه وجب
لصاحب العشر ذلك

قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك قال يزيد بن حبناء من الأزارقة

دَعِي اللَّوْمَ انّ العَيْشَ ليس بدائم * ولا تعجلى باللوم يا أمَّ عاصم

فإذ عجلت منكِ الملامة فاسمعى * مقالةَ مَعْنِيٍّ بحقك عالم

ولا تعذلينا فى الهدية إنما * تكون الهدايا من فُضول المَغانم

فليس بمُهْدٍ من يكون نهارُه * جِلادًا ويُمسى ليلُه غيرَ نائم

يريد ثواب الله يومًا بطعنة * غموسٍ كشدق العَنْبَرِيّ بن سالم

أبيتُ وسِرْبالى دِلاصٌ حصينة * ومِغْفَرُها والسيفُ فوق الحَيازم

حلفتُ بربّ الواقفين عشيّةً * لدى عرفاتٍ حلفةً غيرَ آثم

لقد كان فى القوم الذين لقيتُهم * بسابورَ شغلٌ عن بُزوز اللَّطائم

تَوَقَّدُ فى أيديهمُ زاعبيّةٌ * ومُرْهَفَةٌ تَفْرى شُؤُونَ الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مَكْرُ الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهارُ ففى قيدٍ وسلسلةٍ * والليلُ فى جوف مَنْحوتٍ من الساج

وقال آخر

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلان فى السُّرى * ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائم

ولو قال من يكون نهارَه جلادا ويُمسى ليلَه غيرَ نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول إنما أنت سَيْرًا وإنما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت سير أى أنت سائر كما قالت الخنساء * فإنما هى إقبالٌ وإدبارُ * وفى القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غَوْرًا أى غائرا وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال ويمسى ليلُه غيرُ نائم لجاز يُضمر اسمه فى يمسى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا وقوله غموس يريد واسعة محيطة والعنبرى بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة

وفضل به على صاحبه الا عند استعماله بالنطق به لسانه ولم يلزم الصمت أحد الا على حسب وقوع الجهل عليه فأما اذا كان الرجل نبيها مميزا عالما مفوها فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضله كالقداحة لم يستبن نفعها دون تزنيدها ولذلك قيل من جهل علما عاداه

((فصل منها)) ولم أجد الصامت مستعانا به فى شئ من المعانى ولا مذكورا فى المحافل ولم يذكر الخطباء ولا قدمهم الوفود عند الخلفاء الا لما عرفوه من فضل لسانهم وفضيلة بيانهم وان أصح ما يوجد فى المعقول وأوضح ما يعد فى المحصول للعرب من الفضل فصاحتها وحسن منطقها بعد فضائلها المذكورة وأيامها المشهورة ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيا وأنزل عليه قرآنه عربيا كما قال الله تعالى بلسان عربى مبين فلم يخص اللسان بالبيان ولم يحمد بالبرهان الا عند وجود الفضل فى الكلام وحسن العبارة عند النطق وحلاوة اللفظ

وهي الابل التي تحمل البز والعطر وقوله توقد في أيديهم زاعبية يعني الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفري تقد يقال فري اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قواد المهلب

أبا سعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحاني على الولد

وقال عبيدة بن هلال في هربهم مع قطري

ما زالت الاقدار حتى قذفنني * بقومس بين الفرخان وصول

ويروى أن قاضي قطري وهو رجل من بني عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الارواح من دونها تجري

فقال له العبدي كفرت الآن تأتي بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت وقال يذكر رجلا منهم

يهوي وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشب في مخالب ضاري

فثوى صريعا والرماح تنوشه * ان الشراة قصيرة الأعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد أي التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا في شبيه بهذا المعنى

ان ينتحل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه * يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فانني * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت مني * مكان الروح من بدن الجبان

ولو أني أقول مكان روحي * لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامي اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى

عند السمع واعلم ان الله تعالى لم يرسل رسولا ولا بعث نبيا الا من كان فضله في كلامه وبيانه كفضله على المبعوث اليه فكان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا وأسهلهم مخارج الكلام وأكثرهم فوائد من المعاني لانه كان من جماهير العرب مولده في بني هاشم وأخواله من بني زهرة ورضاعه في بني سعد بن بكر ومنشؤه في قريش ومتزوجه في بني أسد بن عبد العزى ومهاجرته الى بني عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ولو لم يكن ممن عددنا من هؤلاء الأحياء الا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها وكفاية من سواها لان قريشا أفصح العرب لسانا وأفضلها بيانا وأحضرها جوابا وأحسنها بديهة وأجمعها عند الكلام قلبا ثم للعرب أيضا خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما يشاكل هذا الباب ويضارع هذا المثال حذفت ذكرها خوف التطويل فيها

أكان الجبانُ يرى أنه * يُدافعُ عنه الفرارُ الأجل

فقد تُدرِكُ الحادثاتُ الجبان * ويَسْلَمُ منها الشجاعُ البطل

ثم رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائل بنا عَمْرَ والقَنا وجُنودَه * وأبا نَعامةَ سيدَ الكُفّار

أبو نعامة قطري وقال المُغيرة بن حَبْناء الحَنظلي من أصحاب المهلب

انى امرؤ كَفَّنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رَعْيها وَخَم

وانما أنا انسانٌ أعيش كما * عاشت رجالٌ وعاشت قبلها أمم

ما عاقنى عن قُفول الجُنْد اذ قَفَلُوا * عِيٌّ بما صنعوا عجز ولا بَكَم

ولو أردتُ قُفولاً ما تَجَهَّمنى * اذنُ الامير ولا الكُتّابُ اذ رقموا

ان المهلب ان أشتق لرؤيته * أو أمتدحه فان الناس قد علموا

انَّ الأريبَ الذى تُرْجى نوافلُه * والمُستعانَ الذى تُجْلى به الظُلَم

القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُه * أبو سعيد اذا ما عُدَّت النِعَم

أزمانَ أزمانَ اذ عَضَّ الحديدُ بهم * واذ تمنى رجالٌ انهم هُزِموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لنتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شجون ويقترحُ المُقترحُ ما يَفسَخُ به عزمَ صاحب الكتاب ويصدُّه عن سَنَنه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأناه هذا الكتاب فان مرَّ من أخبار الخوارج شئ مَرَّ كما يمر غيره ولو نَسَقْناه على ما جَرَى من ذكرهم المكان الذى يلى هذا خبر نَجْدَةَ وأبى فُدَيْك وعُمارةَ الرجل الطويل وشَبيب ولما كان يكون الكتاب للخوارج مُخلَصا

(باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ)

كان الحسن يقول الحمد لله الذى كَلَّفنا مالو كلفنا غيرَه لَصِرْنا فيه الى معصيته وآجرنا على مالا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجَزَعَ لم يمكنا أن نُقيم عليه وآجَرَنا على الصبر ولا بُدَّ لنا من الرجوع اليه وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازمُ واليه يعود الجازعُ وقال الأشعث بن قيس ان صبرتَ جَرَى عليك القدر وأنت مأجورٌ وان جَزِعتَ

(فصل منها) فهذه كانها دليل على دحض حجتك ونقض قضيتك وانما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم وأمرهم بالابلاغ ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت اذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا للعلة ظهور الا بالنطق

(فصل منه فى صفة من يقدر على الابانة) وليس يقوى على ذلك الا امرؤ فى طبيعته فضل عن احتمال غيرته وفى قريحته زيادة من القوة على صناعته ويكون حظه من الاقتدار فى المنطق فوق قسطه من التغلب فى الكلام حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل الاعلى مثله من المعنى ولا اللفظ الشريف الفخم الاعلى مثله من المعنى نعم وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ويوفر على الحديث قسمها من الصواب ويحرك للكلام حظه من المعنى ويضع جميعها مواضعها ويصفها بصفتها ويوفر عليها حقوقها من الاعراب والافصاح

(فصل منها) وبعد فأى شئ أشهر منقبة وأرفع درجة وأكمل فضلا وأظهر نفعا وأعظم حرمة من شئ لولا مكانه

جرى عليك القدر وأنت مأزور وقال الحريمي

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزويجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي وهذه الخطبة من أفصح خطب الجاهلية ومن جميل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة علينا النابغة الجعدي فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في العدل فاستووا * فعاد صباحا حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترفع منه جانبا ذعذعت به * صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبني أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك في بيت المال حقان حق لصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك في المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين قوله أقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقحمهم اذا دخل قاصدا وأكثر ما يقال من غير أن

لم يثبت لله ربوبية ولا للنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتجلى في صورة الدليل ثم به يعرف فضل الجماعة من الفرقة والشبهة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة والكلام سبب لتعرف حقائق الأديان والقياس واثبات الربوبية وتصديق الرسالة والامتحان للتعديل والتجوير للاضطرار والاختيار

(فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام)

ذكرت حفظك الله تفضيلك صناعة الكلام والذي خصصت به مذهب النظام وشغفك بالمبالغة في النظر وصيانتك بتهذيب العلل مع انسك بالجماعة ووحشتك من الفرقة والذي تم عليه عزمك من ادامة البحث والتنقير ومن حمل النفس على مكروهها من التفكير ومن الانتساب اليهم والتعرف بهم والذي تهيأ لك من الاحتساب في الأجر والرغبة في صالح الذكر والذي رأيت من النصب للرافضة والمارقة وطول مفارقة المرجئة والنابتة ولكل من اعترض عليهم وانحرف عنهم والذي يخص به الجبرية ويعم به

يدخل و يكون من القُحمة وهي السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة
الجدب يقال أصابتهم سنة أي جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي
بالجدب وقوله صَفوة فهي في معنى الصَفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب في المصادر
للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كأنها خلقة والعفوةُ إنما
هو ما عفا أي ما فضل وخُذ العفوَ قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفوَ وقوله عشم يريد المُوَثَّق الخَلق الشديد وذعذعت أي أذهبتُ ماله وفرّقتُ ماله وقوله
راحلة رحيل أي قوية على الرحلة معوَّدة لها ويقال فحل فحيل أي منتخب في الفحلة وفي
الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشترى كبشا للأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون
على الحوض فراط لقادمين الفارط الذي يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك
من أمرهم حتى يردوا ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا
وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال يكفيك لهم من
قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار
أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تفيء عليها الكعبة صباحا وتفيء
على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمي بنعله في
منزله فتصلح له فإذا طاف في الطواف رمي بها اليه وفي ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة * بحيث حلّت نجوم الكبش والاسد
مجاورا البيت ذي الاركان بيتهما * مادونهم في جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغث قريش حيث كان سمين

وقال آخر

وإذا ما أصبته من قريش * هاشميا أصبت قصد الطريق

وقال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح * فتكفك الندامى من قريش
وتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزّت قديما * وتأمن أن يزورك رب جيش

المشبهة فيا أيها المتكلم
الجماعي والمتفقه السني
والنظار المعتزلي الذي
سمت همته الى صناعة
الكلام مع ادبار الدنيا
عنها واحتمل ما في التعرض
للعوام من الثواب عليها
ولم يقنعه من الأديان
الا الخالص الممتحن ولا
من النحل الا الابريز
المهذب ولا من التمييز الا
المحض المصفى والذي رغب
بنفسه عن تقليد الاغمار
والحشوية كما رغب عن
ادعاء الالهام والضرورة
ورغب عن ظلم القياس
بقدر رغبته في شرب
اليقين ان صناعة الكلام
علق نفيس وجوهر ثمين
وهو الكنز الذي لا يفنى
ولا يبلى والصاحب الذي
لا يمل ولا يقل وهو العيار
على كل صناعة والزمام
على كل عبارة والقسطاس
الذي به يستبان نقصان
كل شيء ورجحانه والراووق
الذي به يعرف صفاء كل شيء
وكدره والذي أهل كل علم
عليه عيال وهو الكل
لتحصيل آلة ومثال الآية
ثغروا الثغر محروس وحمى
والحمى ممنوع والحرم
مصون وان تصونه الا
بابتذال نفسك دونه
ولن تمنعه الا بان تجود
بمهجتك ومجهودك ولن
تحرسه الا بالمخاطرة فيه

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلداً لقاحاً واللقاح الذى ليس فى سلطان ملك وكانت لا تُغزى تعظيماً لها حتى كان أمر الفجار وانما سمى الفجار لفجورهم اذ قاتلوا فى الحرم وكانت قريش تُعِزُّ الحليف وتُكرم المولى وتكاد تُلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم

ودخل سديف مولى أبى العباس السفاح على أبى العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبى العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناس * ان تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتنى أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد أُلقى فى عنق سليمان ثم جُرّ فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على وقد أجلس ثمانين رجلا من بنى أمية على سُمُط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواسى

ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى

ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من نمارق وكراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذى بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناس

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشُدخوا بالعَمَد وبُسطت عليهم البُسُط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لاغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم قوله الآساس واحدها أُسّ وتقديرها فُعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أُسُس والبهلول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيه ميل

والثواب على قدر المشقة والتوفيق على مقدار حسن النية وكيف لا يكون حرماً وبه عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل والحرام المفصل وكيف لا يكون ثغراً وكل الناس لأهله عدو وكل الأمم له مطالب وأحق الشئ بالتعظيم وأولاه بان يحتمل فيه كل عظيم ما كان مسلماً الى معرفة الصغير والكبير والحقير والخطير واداة لاظهار الغامض وآلة لتخليص الفاشية وسبباً للايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب وبه يستدل على ضرب ما بين الشرين من النقصان وعلى فصل ما بين الخيرين من الرجحان والذى يصنع فى المعقول من العبارة واعطاء الآلة مثل صنيع العقل فى الروح ومثل صنيع الروح فى البدن وأى شئ أعظم من شئ لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية ولا للنبى حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتخيل فى صورة الدليل وبه يعرف الجماعة من الفرقة والسنة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة (فصل منه) واعلم أن

مَيْلٌ علينا وفي الحائط مَيَلٌ وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة
ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رَقْلَةٌ والاواسي بإزاء مشددة في الاصل وتخفيفها يجوز
ولو لم يجز في الكلام لجاز في الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه في القوافي جائز كقوله

أصحوتَ اليوم أم شاقتْكَ هِرّ * (ومن الحُبِّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ)

وواحدها آسِيَةٌ وهي أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وغاظ سوائي تقول ماعندي رجل سِوَى
زيد فتَقْصُرُ اذا كسرتَ أوله فاذا فتحت أوله على هذا المعنى مددتَ قال الاعشى

تجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتي * وماقصدتْ من أهلها لسوائكا

والسَّواءُ ممدود في كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز
وجل فرآه في سواء الجحيم وقال حسّان

يا ويحَ أنصارِ النبي ورهطِه * بعد المُغَيَّبِ في سَواءِ المَلْحَدِ

والسَّواءُ العدل والاستواءُ ومنه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد
سواءٌ والسَّواءُ التمام يقال هذا درهم سواءٌ وأصله من الاول وقوله عز وجل في أربعة أيام سواءً
للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه في موضع مستويات والنمارق واحدتها نُمْرُقة
وهي الوسائد قال الفرزدق

وانا لنَجْري الكأسَ بين شُروبنا * وبين أبي قابوسَ فوق النمارق

وقال نُصَيْبٌ اذا مابساطُ اللهو مُدَّ وقُرِّبتْ * للذاته أنماطُهُ ونمارقُه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعني زيد بن علي بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله
يوسف بن عمر الثقفي وصلبه بالكناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويَرْوِي الزُّبَيْرِيُّونَ أنه كان
بين يوسف بن عمر وبين رجل مِحْنةٌ فكان يطالب عليه عِلَّةً فلما ظفر بزيد بن علي وأصحابه أحسوا
بالصلب فأصلحوا من أبدانهم واستحدّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فحصله أنه كان من
أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه
عَقَدَه التشيُّعُ فكان يجيء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابنَ رسول الله فقد
جاهدتَ في الله حق جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقْبِلُ عليهم رجلا رجلا فيقول

لصناعة الكلام آفات
كثيرة وضروبا من المكروه
عجيبة منها ماهو ظاهر
للعيون والعقول ومنها
مايدرك بالعقول ولا يظهر
للعيون وبعضها وان لم
يظهر للعيون وكان مما
يظهر للعقول فانه لا يظهر
الا لكل عقل سليم جيد
التركيب وذهن صحيح
خالص ثم لايدركه أيضا
الا بعد ادمان الفكر
والا بعد دراسة الكتب
والا بعد مناظرة الشكل
الباهر والمعلم الصابر
فان أراد المبالغة وبلوغ
أقصى النهاية فلابد من
شهوة قوية ومن تفضيله
كل صناعة مع اليقين
بانه متى اجتهد انجح ومتى
أدمن قرع الباب ولج فاذا
أعطى العلم حقه من
الرغبة أعطاه العلم حقه
من الثواب عليه —
(فصل منه) ومن
آفات صناعة الكلام أن
يرى من أحسن بعضها
أنه قد أحسنها كلها وكل
من خاصم فيها ظن أنه
فوق من خاصمه حتى يرى
المبتدئ أنه كالمنتهي
ويخيل الى الغبي أنه فوق
الزكي أيضا أن يعرض
عن أهله وينصب
لأصحابه من لم ينظر في
علم قط ولم يخض في أدب
منذ كان ولم يدر ما التمثيل

وأنتَ يا فلانُ فجزاكَ الله خيرا فقد جاهدتَ فى الله حق جهاده وأنكرتَ الجورَ ونصرتَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدو يوسف فيقول فأما أنت يا فلانُ فوفورمانتك يدل على أنك برىء مما قُرفتَ به وقال حبيبُ بن جدرة ويقال جُدرةُ وهى السلعة الهلالى (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خذرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الاجدرة ويقال جُدرة) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يا باحسين لو شُراة عصابة * صبحوكَ كان لوِردهم إصدار

يا باحسين والجديد الى بلىً * أولادُ درزةَ أسلموكَ وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تسبه يا ابن فرتنى وأولاد فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيع فى تسميتهم زيدا المهدىّ والشاعر هو الاعور الكلبى

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يصلبُ

ونظر بعد زمن الى رأس زيد ملقى فى دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد * طال ما كان لا تطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحُد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى درقته بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أحُد

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزعَ الخزرج من وقع الاسَل

فاسأل المهراسَ من ساكنُه * بعد أبدانٍ وهامٍ كالحجَل

وانما نسب شبل قتل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحرّان هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قُتل يزيد بن المهلب وأصحابه وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش فى اكرام مواليها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال ان قُتل فأميركم جعفر وأمّر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمّره على جيش فيه جلة المهاجرين

ولا التفصيل ولا فرق ما بين الاهمال والتفكر وهذه الآفات لا تعترى الحساب ولا الكتاب ولا أصحاب النحو والعروض ولا أصحاب الخبر وحمال السير ولا حفاظ الآثار ولا رواة الاشعار ولا أصحاب الفرائض ولا الخطباء ولا الشعراء ولا أصحاب الاحكام ومن يفتى فى الحلال والحرام ولا أصحاب التأويل ولا الاطباء ولا المنجمين ولا المهندسين ولا لذى صناعة ولا لذى تجارة ولا لذى عيلة ولا لذى مسألة فهم بهذه البلية مخصوصون وعليها مقصورون فالصابر منهم من الأجر حسبما خص به من الصبر وهى الصناعة لا يكاد يظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها الامع حضور الخصم ولا يكاد الخصم يبلغ محبته منها الا برفع الصوت وحركة اليد ولا يكاد اجتماعهما يكون الا فى المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ولا تجتمع قوتها ولا تجود القوة بمكنونها وتعطى أقصى ذخيرتها التى اعدتها ليوم فقرها وحاجتها الا يوم جمع وساعة حفل وهذه الحال داعية الى حب الغلبة وليس شئ

والانصار

والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها لأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت أسامة على وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان أحب الى رسول الله منك وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما ولم يكن أسامة من أجمل الناس لو كنت جارية لنحلتك وحليتك حتى يرغب الرجال فيك وفى بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس الى وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن أبى طالب عليه السلام سلمان منا أهل البيت ويروى أن المهدى نظر اليه ويد عمارة بن حمزة فى يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخى وابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدى كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول ومولاى فانفض والله يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى ولم يكن الاكرام للموالى فى جفاة العرب زعم الليثى انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفنى والله جعفر أنصفته وان حضر حضرت معه وان غاب عن الحق عندت عنه وان وجه الى مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهى بمثله العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق ويروى ان سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما اقتلع من سطحه ساقا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان

أدعى الى التغلب من حب الغلبة وطول رفع الصوت مع التغلب وافساد التغلب طباع المفسد بوجبان فساد النية ويمنعان من درك الحقيقة ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطآ جهة القصد وعلم الكلام بعد ملاقى من الظلم مناح له الهضم فهو أبدا محمول عليه ومبخوس حظه وباب الظلم اليه مفتوح لامانع له دونه والعلم بما فيه من الضرر يخفى على أكثر العقلاء ويغمض على جمهور الأدباء واذا كان ملاقى من أكبر العقلاء ويخذولا عند أكثر الأدباء فما ظنك بمن كان عقله ضعيفا ونظره قصيرا بل ما ظنك بالظلوم القادر والغمر الجاسر فهذا سبيل العوام فيه وجهل العوام الخاص به وانحرافهم عنه وميل الملوك عنه وعداوة بعض لبعض فيه وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والأدعياء قليلة الخلص والاصفياء والنصابة فيها غريبة والشروط التى تستحكم بها الصناعة بعيدة سخيفة ولدعى القوم من العجز ما ليس لصميمهم ولردئ الطباع فى صناعة الكلام من ادعاء المعرفة

نافع بن جبير أحد بني نوفل بن عبد مناف اذا مُرّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال وامادّتاه وان قيل مولى أو عجمي قال اللهم هُم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت ويروى أن ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة قال أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث يجرّ بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ❁ ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فمما نذكره من ذلك أمر التعازي والمراثي فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يقدّم نفسا كان هو المقدوم دون النفس وحق الانسان الصبر على النوائب واستشعار ما صدّرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلي وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدي كرب كم من أخ لي حازم * بوّأته بيدي لحدا

أعرضت عن تذكاره * وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدّث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأي وعزّى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدي يذكر ابنه

واني وان قدّمت قبلي لعالم * باني وان أبطأت منك قريب

وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

وكنى

ما لبس المطبوع عليها منهم بل لا تكاد تجده الا مغمورا بالحسدة مقصودا بخاتل السفلة ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات ان أصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي وسبيل صواب الحدس وفي طريق التقريب والتمويه وانه ليس العلم الا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويل له ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة ويزعمون انه ليس بين علمهم بالشيء الواحد انه شيء واحد وانه غير صاحبه فرق في معنى الاتفاق والاستبانة وثلج الصدور والحكم بغاية اليقين

(فصل منه) فلو كان هذا المهندس الذي قد أبرم قضيته وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته نظر في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة وطبيعة مناسبة وعناية تامة وأعوان صدق وقلة شواغل وشهوة للعلم ويقين بالاصابة لكان تهيب الحكم أزين به والتوقي أولى به فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام

وكفى باليأس معزياً وبانقطاع الطمع زاجراً كما قال الشاعر

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

تصبرت مغلوباً واني لموجع * كما صبر العطشان في البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائي) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دماً وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وجدت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذي جعل الموت حتماً واجباً على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذو والنهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وله يقول القائل

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هل ابنك الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه

كيف السلو وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثي عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرع غصة * أمارا تجيعاً من دم الجوف منقعا

تجرعته في عاصم واحتسبته * لاعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته وكان تبنّاها وكان حدباً عليها كلفاً بها

أمست أميمة معموراً بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم

ياشقة النفس ان النفس والهة * حرّى عليك ودمع العين منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدمني * الى الحمام فيبدي وجهها العدم

مايعرفه المقتصد فيه والمتوسط له على انا ما وجدنا مهندساً فقط ولا رأينا حاسباً يقول ذلك الا وهو ممن لا يتوقى سرف القول ولا يشفق من لائمة المحصلين واقصاء من قد عرف الحقائق واستبان العواقب ووزن الأمور كلها وعجم المعاني بأسرها وعلم من أين وثق كل واثق ومن أين غر كل مغرور وعلى أنهم يقرؤن ان في الحساب ما لا يعلم وان في الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم وبذلك النقص في غرائزهم

(فصل منه) وأقول انه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل الا أنهم قد رأوا أدبار الدنيا عن علم الكلام واقبالها الى الفتيا والاحكام واجماع الرعية والراعي على اغناء المفتي وعلم الفتوى فرع واطباقهم على حرمان المتكلم وعلم الكلام أصل فلم يتركوا مع ذلك تكلفه وشحت نفوسهم على ذلك الحظ مخافة ادخال الضيم على علم الأصل واشفاقاً من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع فكان الفقر والقلة

فالآن غمت فـلاهـم يؤرقنى * بهـدا العيور اذا ما أودت الحرم
لأوت عنـدى أيادلست أنكرها * أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

وهـذه المرثيـة ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب الرأتى يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكى والركون الى التعزى وقول من كان له واعظ من نفسه أومذكر من ربه ومن غلبت عليـه الجسارة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل وقال رجل من المحدثين يرثى أخاه

تحـل رزيات وتعرو مصايب * ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر
لقـد عركتنا للزمان ملمة * أذمت بمحمود الجلادة والصبر

فهذا يحسـن من قائله أن الرزء كان جليـلا باجماع فللقائل أن يتفسح فى القول فيه وهـذا يقوله عبد العزيز بن عبـد الرحيم بن جعفر بن سليمـان بن على بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله لسنا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسـن بن حسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز فى هذه القصيدة

بموتك يا عبـد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين عن الأم الكسر
فيا ابن النبى المصطفى وابن بنته * ويا ابن عـلى والفواطم والحبر
ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدى الى طهر
ويا ابن سليمـان الذى كان ملجأ * لمن ضاقت الدنيا به من بنى فهر
ومن مـلأ الدنيا سماحا ونائلا * وروى حجيجا بالملمعـة القفر
لعزعـا قـد دنا لنا من رزيئـة * بموتك محبوسا على صاحب القبر
فان تفض فى حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطى الذليـل على القسر
لكم من عدو للخليفة قـد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر
فوا حزنا لو فى الوغى كان موته * بكينا عليـه بالردينية السمر
وكنا وقيناه القنا بنحورنا * وفات كذا فى غـير هيج ولا نفر

وحدثت

آثر عنـدهم مع احكام الأصول من الغنى والكثرة مع حفظ الفروع فتركوا أن يكونوا قضاة وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا احكاما وقنعوا بان يحكم عليهم مع معرفتهم بان آلتهـم أتم وآدابهم أكمل وألسنتهـم أحـد ونظرهم أثقب وحفظهم أحضر وموضع حفظهم أحصـن والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الازرق والغالى وعلى ما دونهمـا من الخارجى والرافضى بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة بل على جميع المرجئـة وأهـل المذاهب الشاذة

(فصل من صدر رسالته فى مدح التجارة وذم عمل السلطان) أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وختم لك بالسـعادة وجعلك مـن الفائزين فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على تعدى فى القول وحيف فى الحكم وسمعت قوله وهو على كل حال جائر وطريقـه طريقهم وكتبهم تشاكل كتبهـم وألفاظه تطابق ألفاظهـم وكذلك حالنا وحال صاحب كتابك فيما يسخطـه من أمرنا انى لا أعتذر منه واستنكف من الانتساب اليـه بل

وحُدِّثْتُ أن عمر بن الخطاب لما ولَّى كعبَ بن سُورٍ الأزديَّ قضاءَ البصرة أقام ما ملاله عليها الى أن استُشهد على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمانُ بن عفّانَ أقره فلما كان يومُ الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا أربعة وفي عنقه مصحف فقُتلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عينِ جُودي بدمعٍ سَرِبْ * على فتيةٍ من خيار العَرَبْ

وما لهم غيرَ حَيْنِ النفو * سِ أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جارٍ في طريقه من قولهم انسرب في حاجته وبيت ذي الرُّمّة يُختارُ فيه الفتح * كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقبح وضع النعت في موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتي بعد المنعوت ولا يقع في موقعه حتى يَدُلَّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره تقول جاءني انسانٌ طويلٌ فان قلتَ جاءني طويلٌ لم يجز لان طويلا أعمُّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءني انسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعدُ جاءني متكلمٌ جاز لانك تَدُلُّ به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرنا منثر وجاء المراثي كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختارَ والنادرَ والمُتَمَثَّلُ به السائرَ فن مَليح ما قيل قولُ رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لابي العَتاهِيَة)

قَلِّبْ يا قلبِ أوْ جَعَلْ * بما تَعَدَّى فضعضعَنْ يا أبي ضَمَّنَكَ الثَّرَى * وطَوَى الموتُ أجمعَنْ

ليتني يومَ مُتَّ صِرْ * تُ الى تُرْبةٍ معَكْ رَحِمَ اللهُ مصرعَكْ * بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نَأَى آخِرَ الايام عنكَ حبيبُ * فللعين سَحٌّ دائمٌ وغُروبُ

دعَتْهُ نَوًى لا يُرتجى أوْبَةٌ لها * فقلبُكَ مسلوبٌ وأنت كئيبُ

يَؤُوبُ الى أوطانهِ كلُّ غائبٍ * وأحمدُ في الغُيّابِ ليس يؤوب

تَبَدَّلَ دارًا غيرَ داري وجيرةً * سواي وأحداثُ الزمان تَنُوبُ

أقام بها مستوطنا غيرَ انه * على طولِ أيامِ المُقام غريبُ

كأنْ لم يكن كالغُصنِ في مَيْعَةِ الضُّحَى * سقاه النَّدَى فاهتزّ وهو رطيبُ

أستحيي من الكتابة واستنكف بان أنسب اليها من البلاغة أن أعرف بها في غير موضعها ومن السطحي أن تظهر مني ومن الضيعة أن تعرف في كتبي ومن العجب بكثير ما يكون مني وقد عاكره ذلك أهل المروءة والانفة وأهل الاختيار للصواب والصد عن الخطأ حتى أن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتابا الى رجل فقال فيه لهو أهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ثم قال امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب كانه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ورأى أنه ليس في موضعه

(فصل منه) وهذا الكلام لا يزال يهجم من حشوية اتباع السلطان فأما عليتهم ومصاصهم وذووا البصائر والتمييز منهم ومن فوقته الفطنة وأرهفه التأديب وأرهفه طول التفكير وجرى فيه الحياء وأحكمته التجارب فعرف العواقب وأحكم التفصيل ونطق بغوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون

كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الفناء ومعقل النساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب
قليل الا من الايام لم يرو ناظري * به امنه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته نطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب
وما فار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب
حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب
وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب
ولم يغن عنك الآسون دفعا لمهجة * عليها الاشراك المنون رقيب
قصمت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب
فأصبحت في الهلاك الا حشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب
تولتهما في حقبة فتركتما * صدى يتولى تارة ويثوب
فلا ميت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب
وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كل لساني عن وصف ما أجد * وذقت ثكلا ما ذاقه أحد
وأوطنت حرقة حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد
ما عالج الحزن والحرارة في الـ * أحشاء من لم يمت له ولد

لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أودع الناس بدنا وأهناهم عيشا وآمنهم سربا لانهم في أفنيتهم وكالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات ويفزع اليهم ملهوفوا البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم مع همهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيرا ما تحل فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الأعداء فضلا عن الأولياء فكيف لا يميز بين من هذا غرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الأثر وقضاء اللذات من غير منة لأحد ولا منة يعتدي بها ومن هو من زمرة المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه

فجعت

فُجِعْتُ باثنين ليس بينهما * الا الليالي ليست لها عَدَدُ

فكل حزن يبلى على قدم الـدهر وحزني يُجِدُّه الابدُ

وذكر بعض الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن فشخص الى علي واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجّه معاوية الى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا

فقال أبوه لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى * به الدهر أو ساق الحِمامُ الى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره * ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

لعمري لقد أردى ابنُ أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجر

وقالت لعبد الله اذ حن باكيا * تعز وماء العين منهمر يجري

تبين فان كان البكا ردّ هالكا * على أهله فاشدد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه * علي وعباس وآل أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت اذا فاتحت الزهري فتحت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر فانما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلي الارض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحرث بن كعب فوارتهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية

الا من بين الاخوين امهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها * وتستبغي فما تبغى

وفي ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بنيي اللذين هما * سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من أحس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر

(فصل منها) وقد علم المسلمون ان خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة وهي معولهم وعليها معتمدهم وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ولقد بلغت بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ونعتت لك أحلامهم وتقدر لك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم وبالتجارة كانوا يعرفون ولذلك قالت كاهنة اليمن لله در الديار لقريش التجار وليس قولهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتيمي لانه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون اليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش فهو ألخم أسمائهم وأشرف أنسابهم وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله فجعله قرآنا عربيا يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وحظوه على الحبيب والخالص ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبو

نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا

انحى على ودجى طفلى مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف

من ذل والهفوى مفجعة * على صبيين ذابا اذ مضى السلف

وروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل وأفردت سهما فى الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وماتت امرأة الفرزدق بجمع ومعنى جمع ولدها فى بطنها (وان شئت قلت جمع بالفتح) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغى فى الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين فى ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا فى يوم واحد وهما طفلان شبيها بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائى

لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثى حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عينى اخال لتدمعا

يقولون زر حدراء والترب دونها * وكيف بشئ عهده قد تقطعا

ولست وان عزت على بزائر * ترابا على مرموسة قد تضعضعا

وأهون مفقود اذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعته ظاعنا يوم ودعا

وقال جرير يرثى امرأته لولا الحياء لهاجنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

نعم الخليل وكنت علق مضنة * ولدى منك سكينة ووقار

ان يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والأبرار

ذؤيب
اذا ضربوا القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الألوف

وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم وآله برهة من دهره تاجرا وشخص فيه مسافرا وباع واشترى حاضرا والله أعلم حيث يجعل رسالته ولم يقسم الله مذهبا رضيا ولا خلقا زكيا ولا عملا مرضيا الا وحظه منه أوفر الحظوظ وقسمه فيه أجزل الأقسام واشهرة أمره فى البيع والشراء قال المشركون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فأوحى الله اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات

(فصل منه) والذى دعا صاحبك الى ذم التجارة توهمه بقلة تحصيله انها تنقص من العلم والأدب وتقتطع دونهما وتمنع منهما فأى صنف من العلم لم تبلغ التجار فيه غاية أو يأخذوا منه بنصيب أو يكونوا رؤساء أهله وعليتهم هل كان فى التابعين اعلم من سعيد بن المسيب

أفأم حزرة يا فرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة ويقال كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور)

جلت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد .

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم افضت اليه صنائعه

ولن يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه في عدوه * وخصت وعمت في الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذ الطائي في مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده * لعهدي به حيا يحب به الدهر

لئن عظمت فيه مصيبة طيئ * لما عريت منها تميم ولا بكر

وقال القرشي قد كنت أبكي على من فات من سلفي * وأهل ودي جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المروآت

ربما بقاء امرئ كانت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل)

وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن علفة المري من غطفان

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا على ثقيل

أو أنبل وقد كان تاجرا يبيع ويشتري وهو الذي يقول ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم قضاء الا وقد علمته وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بانساب قريش وهو من كان يفتي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وهم متوافرون وله بعد علم بأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته في أعين الخلفاء وتقدمه على الجبار بن ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته ومسلم بن يسار في علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربه وأيوب السختياني ويوسف بن عبيد في فضلهما وورعهما

(فصل منه في الشارب والمشروب) سألت أكرم الله وجهك وأدام رشدك واطاعته توفيقك حتى تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوي الألباب ودرجات أهل الثواب ان أكتب لك صفات الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب وان أميز لك بين الانبذة والخمر

وقالوا ألا تبكي لمصرع مالك * أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المنايا تبتغي في خيارنا * لها ترة أو تهتدي بدليل
لئن أن المنايا حيث شاءت فإنها * محللة بعد الفتى بن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالي بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدي عن شراحيل أنني * إذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابي

ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصي
لعمرك ما خشيت على قصي * متالف بين هجر والسلي
ولكني خشيت على قصي * جريرة رمحه في كل حي
فتى الفتيان مخلول ممر * وأمار بإرشاد وغي

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب يقول صاحبه أن تقدر في المرثي أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول في مدحه * وأمار بإرشاد وغي * وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامر الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لأربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على أن يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم مني ولكن إن شئت فلك المدر ولي الوبر أو لي المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لي هذا الأمر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعني الأوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله

علام

وإن أوقفك على حد السكر وإن أعرفك السبب الذي رغب في شرب الأنبذة وما فيها من اجتلاب المنفعة وما يكره من نبيذ الأوعية وقلت وما فرق ما بين الجرار والسقاء والمزفت والحنتم والدباء وما القول في المحتل والمكسوب وما فرق ما بين النقيع والذاذي وما المطبوخ والباذق وما الغربي والمروق وما الذي يحل من الطبيخ وما القول في شرب الفضيخ وهل يكره نبيذ العكر وما القول في عتيق السكر وأنبذة الجرار وما يعمل من السكر ولم كره النقير والمقير وسألت عن نبيذ العسل والقرطبات وعن رزين سوق الأهواز وعن نبيذ أبي يوسف والجمهور والطلق والمعسوم والحلو وترس شيرين ونبيذ الكشمش والتين ولم كره الجلوس على البواطي والرياحين وقلت وما نصيب الشيطان وما حاصل الإنسان وسألت عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل وما جرى بينهم فيها من الأجوبة والمسائل وما كانوا عليه فيها من الآراء وتشتتوا فيها من الأهواء ولأي سبب تضادت فيها

علام يتعجب هذا الاعرابي لسانه عليك ادعني أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام
لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما
ويروى قيس أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا
فألا ضربته قال أربد أردت ذلك مرتين فاعترض لي في احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية
بيني وبينه أفأقتلك فلم يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغدّ في ديار بني سلول بن صعصعة فجعل
يقول أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة
فأحرقته وكان أخا لبيد لأمه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد
ما لهن تعرّي المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
فجعني الرعد والصواعق بالـ * ـفارس يوم الكريهة النجد
يا عين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام العدو في كبد

وقال أيضا ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتحدثون مخانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده * غادرتني أمشي بقرن أعضب
ان الرزيئة لا رزيئة مثلها * فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله في خلف يقال هو خلف فلان لمن يخلفه من رهطه وهؤلاء خلف فلان اذا قاموا مقامه من غير
أهله وقلما يستعمل الخلف الا في الشر وأصله ما ذكرنا والمخانة مصدر من الخيانة والملاوذ الذي
لا يصدق في مودته يقال رجل ملاوذ وملاذ وملاذة مصدره والأعضب المقطوع وفي الحديث
لا يضحى بعضباء ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه لولا ما منّ الله به من بقائك لكنا كما
قال لبيد ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب
فقال له معن انما تذكرني سدت حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن توسعة
قلدته عرى الامور نزار * قبل أن تهلك السراة البحور
ثم نرجع الى ذكر المراثي وقال أعرابي

الآثار واختلفت فيها الأخبار وسألت أن أقصد في ذلك الى الايجاز والاختصار وحذف الاكثار وقلت واذ جعل الله تعالى العباد من الخمر المنبوحة بالأشربة الهنيئة الممدوحة فما تقول فيما حسن من الأنبذة صفاؤه وبعد مداه واشتدت قواه وعتق حتى جاد وطاب بعد قدم الكون صافي اللون هل يحل للمبيه الاجتماع وفيه الاكثار اذ كان يهضم الطعام ويوطئ المنام وهو في لطائف الجسم سار وفي خفيات العروق جار لا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا جرس عضوض وقلت وكيف يحل لك ترك شربه اذا كان لك موافقا ولجسمك ملائما ولم لا قلت ان تاركا شربه كتارك العلاج من أدواء الادواء وانه كالمعين على نفسه اذا ترك شربه أخفش الداء وأنت تعلم أنك اذا شربته عدلت به طبيعتك وأصلحت به صفار جسمك وأظهرت به حمرة لونك فاستبدلت به من السقم صحة ومن حلول العجز قوة ومن الكسل نشاطا والى اللذة انبساطا ومن الغم فرحا ومن الجمود تحركا

لعمري لقد نادى بأرفع صوته * نعي حي أن سيدكم هوى
أجل صادقا والقائل الفاعل الذي * اذا قال قولا أنبط الماء في الثرى
فتى قبل لم تعنس السن وجهه * سوى وضح في الرأس كالبرق في الدجى
أشارت له الحرب العوان فجاءها * يقعقع بالاقراب أول من أتى
ولم يجنها لكن جناها وليه * فآسى وآداه فكان كمن جنى

وروى أن عائشة رضي الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجي رجلا متلافا فأخفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فاسأله فأتيته فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت له فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدت له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المال متلف فامنحها شرارها فقال صخر

والله لا أمنحها شرارها * ولو هلكت خرقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لأبيها فقط وروى عن بعض نساء بني سليم انها نظرت اليها في صدار وهي تصنع طيبا لابنتها التنقلها الى زوجها فقالوا لها في شيء كرهته الخنساء فقالت لها اسكتي فوالله لقد كنت أبسط منك عرقا وأطيب منك ورشا وأحسن منك عرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وقال الفرزدق وقد تتابع له بنون

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا * فديتم وأعطينا بكم ساكني الظهر
فيا ليت من فيها عليها وليت من * عليها ثوى فيها مقيما الى الحشر
فما كان لم يعرف الموت غيرهم * فثكل على ثكل وقبر على قبر
لقد شمت الاعداء بي وتغيرت * عيون أراها بعد موت أبي عمرو
تجري على الدهر لما فقدته * ولو كان حيا لاجترأت على الدهر
وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما توفى شطره مال في شطري

ومن الوحشة انساوهو في الحلو خير سامر وعند الجلبة خير ناصر يترك الضعيف وهو مثل الأسد في العرين يلان له ولا يلين وقلت الجيد من الأنبذة يصفى الذهن ويقوى الركن ويشد القلب والظهر ويمنع الضيم والقهر ويشهذ المعدة ويهيج للطعام الشهوة ويقطع عن اكثار الماء الذي جل الادواء منه ويحدر رطوبة الرأس ويهيج العطاس ويشد البضعة ويزيد في النطفة وينفي القرقرة والرياح ويبعث الجود والسماح ويمنع الطحال من العظم والمعدة من التخم ويحدر المرة والبلغم ويلطف دم العروق ويجريه ويرققه ويصفيه ويبسط الآمال وينعم البال ويغشى الغلظ في الرئة ويصفى البشرة ويترك اللون كالعصفر ويحدر أذى الرأس في المنخر ويموه الوجه ويسخن الكلية ويلذ النوم ويحلل التخم ويذهب بالاعياء ويغذو لطيف الغذاء ويطيب الأنفاس ويطرد الوسواس ويطرب النفس ويؤنس من الوحشة ويسكن الروعة ويذهب الحشمة ويقذف

وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال قدم رجل من البادية فلما صار بجبل سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنت الدافنين الضيم عني * برابية مجاورة سناما

أقول اذا ذكرت العهد منهم * بنفسي تلك أصداء وهاما

فلم أر مثلهم ماتوا جميعا * ولم أر مثل هذا العام عاما

(قال أبو الحسن الأخفش وفيها عن غير أبي العباس

فليت سمامهم اذ فارقوني * تلقانا فكان لنا حماما)

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروي ذلك أبو الحسن المدائني قال أبو العباس فاختلف علي فيهم فقال قوم كانوا تحت حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم في علبة فدب فيها الأفعى فبعث بها اليهم فشربوها فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله الباهلي وهلكت لجار له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكي على شاته * يبكي جهارا غير اسرار

ان الرزيات وأمثالها * ما لقي الحرث في الدار

دعا بني معن واخوانهم * فكلهم يعدو بحفار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلي عما لا يغني الغم فيه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول في هذا المعنى في الاسلام قول علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفي هذا زيادة تيقظ وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الأمر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشيء فاله عنه يقال لهيت عن الأمر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت ألهو من اللعب ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قول أوس ابن حجر الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم يرثي فضالة بن كلدة أحد بني أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

فضول الصلب بالانشاط للجماع وفضول المعدة بالهراع ويشجع المرتاع ويزهي الذابل ويكثر القليل ويزيد في جمال الجميل ويسلي الحزن ويجمع الذهن ويذهب الهم ويطرد الغم ويكشف عن قناع الحزم ويولد في الحليم الحلم ويكفي أضغاث الحلم ويحث على الصبر ويصح من الفكر ويرجي القانط ويرضي الساخط ويغني عن الجليس ويقوم مقام الأنيس وحتى ان عزل لم يقنط منه وان حضر لم يصبر عنه يدفع النوازل العظيمة وينقي الصدر من الخصومة ويزيد في المساغ وثخونة الدماغ وينشط الباه حتى لا يزيف شيئا يراه وتقبله جميع الطبائع ويمتزج به صنوف البدائع من اللذة والسرور والنضرة والحبور وحتى متى شرب صفا ومتى فقد خفا وان شرب منه الصرف بغير مزاج تحلل بغير علاج وينفي الأحزان والهموم ويدفع الأهواء والسموم ويفتح الذهن ويمنع الغبن ويلقن الجواب ولا يكيد منه العتاب به تمام اللذات وكمال المروآت ليس لشيء كحلاوته في النفوس وكسطوته في الحياه

(أودى فما تنفع الاساءة من * شئ لمن قد تحاول البدعا)

الألمعي الذي يظن لك الـ * ـظن كأن قد رأى وقد سمعا

المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا

والحافظ الناس في تحوط اذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وشبه الهيدب العبام من الـ * ـأقوام سقبا ملبسا فرعا

وكانت الكاعب الممنعة الـ * ـحسناء في زادها بأسبعا

ليبكك الشرب والمدامة والـ * ـفتيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله الالمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه تجلدا كما قال

ناقته ترفل في النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذي تناله الرزيئات في ماله لما يعطى ويسئل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال حجرة وكحل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا فالعائذ الحديثة النتاج والربع الذي ينتج في الربيع ومن شأنهم في سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وتلك علامة الجدب وذهاب الامطار ومن ذلك قولهم من عز بز أي من غلب استلب وفي القرآن وعزني في الخطاب أي غلبني بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكميع قال الراجز

* ومنهو ذو الغرار يبيت كمي * يعني السيف أي يبيت مضاجعي ملتفعا يقال تلفع في مطرفه وفي كسائه اذا تلفف وتزمل فيه فيقول من شدة القر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التي

والرؤس وكان نشاطه للحديث والجلوس يحمر الألوان ويرطب الأبدان ويخلع عن الطرب الارسان وقلت ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان ويكثر الهذيان ويظهر الفضول والاختلاط ويناوب الكسل بعد النشاط فأما اذا تبين في الرأس الميلان واختلف عند المشي الرجلان وأكثر الانشاق والتنخع والبصاق واشتملت عليه الغفلة وجاءت الزلة بعد الزلة أو سال على الصدر لعابه وصار في حد المخرفين لا يفهم ولا يبين فبل دلالات السكر وظهور علامات السكر ينسى الذكر ويورث الفكر ويهتك الستر ويسقط من الجدار ويهور في الآبار ويعرق في الأنهار ويعوق عن المعروف ويعرض للحتوف ويحمل على الهفوة ويؤكد الغفلة ويورث الصياح والصمات ويصرع الفهم للسبات فلغير معنى يضحك ولغير سبب يحك ويحيد عن الانصاف وينقلب على الساكت الكافي ثم يظهر السرائر ويطلع على ما في الضمائر من مكنون الاحقاد وخفي الاعتقاد وقد يقل على السكر

كعب ندم ما يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعني امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو الجحن والقتين وقال أعرابى

خليلى عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد

فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * وبين المزجى نفنف متباعد

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عبأ على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعوا ولبيك داعيا

فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرس فى طريقه وأمن فقال فندت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذبب عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففى ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعينى ألا فابكى على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر

سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر

ولم يقدع الخصم الالد وعلا الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر

ألا رب مكروب أجبت ونائل * أجزت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور

قولها لتبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجاء تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى القديمة المندفنة قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

المتاع ويطول منه الأرق والصداع ثم يورث بالغدوات الخمار ويخثل سائر النهار ويمنع من اقامة الصلوات وفهم الأوقات ويعقب السل ويعقب فى القلوب الغل ويجفف النطفة ويورث الرعشة ويولد الصفار وضروب العلل فى الأبصار ويعقب الهزال ويجحف بالمال ويجفف الطبيعة ويقوى الحسد من المروءة ويذبل النفس ويفسد مزاج الحسن ويحدث الفتور فى القلب ويبطئ عند الجماع الصب حتى يحدث من أجله الفتق الذى ليس له رتق ويحمل على المظالم وركوب المآثم وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ويكفر من غير فهم

(فصل منه) وقلت ومن الحلو فى المعدة التخم وفى الابدان الوخم ويولد للكرش رياحا كمثل رياح العدس وحموضة تولد فى الاسنان الضرس والسكر حسبك بفرط حرارته وكسوف لونه وبشاعة مذاقه ونفار الطبيعة عنه وأنواع ما يعالج من التمر والحبوب فشربها الداء العضال والسعور والبقى وأشباهها كدورة

ترسب فى المعدة وتولد بين الجلد تين الحكة وأشباه هذا كثيرة تركت ذكرها لانى لم أقصدك بالمسألة أبتغى منك تحليل ما يجلب المضرة ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك واذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كأفواه الفرخ محسنة للون ملذة للنفس يجثم على المعدة ويزود فى العروق ويقصد الى القلب فيولد فيه اللذة وفى المعدة الهضم وهو غسولها ونضوجها ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالجل الى الطحال وينفخ منه وتظهر حمرته بين الجلدتين ويزيد فى اللون ويولد الشجاعة والسخاء ويريح من اكتنان الضغن ويعفو على تغير النكهة وينقى الذفر ويسرع الى الجبهة ويغنى عن الصلا ويمنع القر وما تقول فى نبيذ الزبيب الحض والعسل المازى اذا تورد لونه وتقادم كونه ورأيت حمرته فى صفرته تلوح تراه فى الكاس كأنه بالشمس ملتحف شعاعه يحملك فى الاكف وما تقول فى عصير الكرم اذا أجدت طبخه وأنعمت انضاجه وأحسن الدن نتاجه فاذا

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يهسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها اقذر الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأطوى البطن من دون ملئه * لمختبط فى آخر الليل نابح
وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

نظرت وركن من بوانة دوننا * وأركان حسمى أى نظرة ناظر
الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرة عاقر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن أبرادا رقاقا لفتية * كرام ويرحل قبل فى الهواجر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يقنع سواك بناصر

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أى نظرة وأية نظرة وأيما نظرة وأيما نظرة كما تقول مررت برجل أيما رجل وتأويله مررت برجل كامل فأيما فى موضع كامل وتقول مررت بزيد أيما رجل على الحال ومن قال أى نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام وتقديره أى نظرة هى كما تقول سبحان الله أى رجل زيد وهذا البيت ينشد على وجهين

فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيما فتى

وإنما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلاشأوها عن عقيرة شاؤها أطلقها وقولها

لما قرها فيها عقيرة ما قرأى قد أصابوا عقيرة نفسه كقول القائل نعم غنيمة المغتنم وكقولهم

عقيرة وكما تكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا نفس عمرو بن عامر * أصابوا به وترًا بثيم ذوي الوتر

يقال ثار منهم أى أصابه المثئر هذا واشتقر لانه أصاب كفوا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جر جاني قومهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحرث بن عباد لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـ * ـط كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة قتلت بعبد الله خير لداته * ذؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي من بني تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب بن الزبير

بأخيه النابي بن زياد ان عبيد الله مادام سالما * تسار على رغم العدو وفادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حززنا برأس النابي بن زياد

كسر الياء على الاصل كما قال ابن قيس الرقيات

لا بارك الله في الغواني هل * يصبحن الا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم أى طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف

فيه الهمز والمبرد لم يهمز فانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما أشبههما) وقال

أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسري لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مكبا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعي بعد قتلنا بالفتى القسري منهم * وليدهم أمير المؤمنينا

(ومروانا قتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا في المعتدينا

وبابن السمط مناقد قتلنا * محمدا ابن هرون الامينا)

فمن يك قتله سوقا فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

فض فض عن غضارة قد صار في لون الهادى في صفاء ياقوتة تلمع في الاكف لمع الدنانير ويضى كالشهاب المتقد وما تقول في نبيذ عسل مصر فانه يؤدى الى شاربه الصحيح من طعم الزعفران ما لا يلبس الخلقان ولا يجود الا في جدد الدنان ولا يستخدم الاجناس ولا يألف الارجاس وكذلك لا يزكو على علاج الجنب والحائض ولا ينقص على شئ من الاجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج أبيض يققا وحسبك به في رقة الهوى يكدره صافي الماء وهو مع ذلك كالهزبر في الاشبال المفترس للاقران من ماقره عقره ومن صارعه صرعه وما تقول في رزين الاهواز من زبيب الداقباد اذ يقود صلبا من غير أن يسيل سلافة أو يماط عنه ثفله حتى يعود كلون العقيق في رائحة المسك العتيق أصلب الانبذة عريكة وأصلبها صلابة وأشدها خشونة ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب وما ظنك به وهو زبيب نقيع لا يشتد ولا يجود الا بالضرب الوجيع وما تقول في الدوشاب

وقولها ويرحل قبل في الهواجر تريد أنه متيقظ ظمّان والمولى في قولها اذا مولاك خاف ظلامة
يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل واني خفتُ الموالي من ورائي يريد بني العم قال الفضلُ
ابن العباس

مهلا بني عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتِق ويكون المولى من قوله جلّ ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى
الذي هو أحقّ وأولى منه قوله مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم والمولى المالك وقولها وليبين
أبرادا تريد الخيام ۞ قال أبو العباس وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر
الفحول ورب امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن يُنشّأ في
الحلية وهو في الخصام غير مُبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خُلقت من ضِلَعٍ عوجاء
وانك ان تردْ اقامتها تكسرها فدارها تعش بها فمن ندر من النساء في باب من الابواب أمّ أيوب
الانصارية وأمّ الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدّمن في الفضل
والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثني الجاحظ عن ابراهيم بن السندي قال كانت تصير اليّ
هاشمية جارية حمدونة في حاجات صاحبتها فأجمع نفسي لها وأطرد الخواطر عن فكري وأحضر
ذهني جهدي خوفا من أن تورد عليّ ما لا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجري على لسانها
ما في قلبها وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتي ريطة بنت أبي العباس فأما النساء الاشراف
فان القول فيهن كثير متسع فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخرا

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عارُ
مشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنيابٌ وأظفارُ
وما عجولٌ على بوّ تحنّ له * لها حنينان اعلانٌ واسرارُ
ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبارُ
يوما بأوجع مني يوم فارقني * صخرٌ وللعيش احلاءٌ وامرارُ
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحّارُ
وان صخرا لتأتمّ الهداة به * كأنه علمٌ في رأسه نار
لم تره جارةٌ يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجارُ

البستاني سلالة الرطب المجني بالحب الرتيلي اذا أوجع ضربا وأطيل حبسا وأعطى صفوه ومنع رفده وبذل ما عنده فاذا كشف عنه قناع الطين ظهر في لون الشقر والكمت وسطع برائحة كالمسك واذا هم على المعدة لانت له الطبائع وسلست له الأمعاء وأيس الحصر وانقطع طمع القولنج وانقادت له اليبوسة وأذعنت له بالطاعة وابتل به الجلد القحل وارتحل عنه الباسور وكفى شاربه الوخز فاذا استمتع بالتلطي ورمى بشرره ملن يحل أن يشعشع اذا سكن جاشه وأبل حلمه وما تقول في المعتق من أنبذة التمر فانك تنظر اليه وكان النيران تلمع من جوفه قد ركد ركود الذلال حتى لكان شاربه يكرع في شهاب ولكانه فرند في وجه سيف وله صفحة مرآة مجلوة تحكي الوجوه في الزجاجة حتى يفهم فيه الجلاس وما تقول في نبيذ الجزر الذي منه تمتد النطفة وتشتد النقطة يجلب الأحلام ويركد في مخ العظام وما تقول في نبيذ الكشمش الذي لونه لون زمردة خضراء

قولها   يا مضرورا دماء قد تناذره * أهل المياه وما فى ورده عار

تعنى الموت أى لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبندى واحدوهو الجرئ الصدر وأصله فى النمر والعجول التى فارقها ولدها والبو قد مضى تفسيره وكذلك فانما هى اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه فى النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعنى الحرب وقولها كأنه علم فى رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام وقال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعينىّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرئ الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا

ترى الحمد يهوى الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان المهدى   قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيئ   جدير أن يقل السيف حتى * ينوس اذا تمطى فى النجاد

وقال الحكمى أبو نواس   سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة   بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد انما تريد ذلك يقال رجل معمد أى طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطوال وقولها ما عالهم أى نابهم ونزل بهم تقول العرب ما عالك فهو عائلى أى ما نابك فهو نائبى ومن ذا قول كثير   يا عين بكى للذى عالنى * منك بدمع مسبل هامل

صافية محكم الصلابة مفرط الحرارة حلية السورة سريع الافاقة عظيم المؤنة قصير العمر كثير العلل جم الهبات تطمع الآفات فيه وتسرع اليه وما تقول فى نبيذ التين فانك تعلم أنه مع حرارته لين العريكة سلس الطبيعة عذب المذاق سريع الاطلاق مرهم للعروق نضوج للكبد فتاح للسدد غسال للامعاء هياج للباه أخاذ للثمن جلاب للون مع كسوف لون وقبح منظر وما تقول فى نبيذ السكر الذى ليس مقدار المنفعة منه على قدر المؤنة فيه هل يوجد فى المحصول لشربه معنى معقول وما تقول فى المروق والغربى والفضيخ ألذ المشروبات فى ازمانها وأنفع المأخوذات فى ابانها أقل شئ مؤنة وأحسنه معونة وأكثر شئ قنوعا وأسرعه بلوغا ضمورات عروفات للرجل الوفى ولها أرايج على الشاة كاذكى رائحة تنم أقل المشروبات صداعا وأشدهن خداعا

(فصل منه) وكرهت أيضا تقليد المختلف من الآثار فأكون كحاطب ليل دون التأمل والاعتبار لعلى بان

ومن جيد قولها أبعد ابن عمرو من ال الشريد * حلت به الارض أثقالها

لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها

نخر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

همت بنفسي كل الهموم * فأولى لنفسي أولى لها

لاحمل نفسي على آلة * فاما عليها واما لها

قولها حلت به الارض أثقالها حلت من الحلى تقول زينت به الارض الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها لنعم الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول يجود بماله في الوقت الذي يؤثر أهله على الجود والشوامخ الجبال والشامخ العالي ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أي على حالة وعلى خطة هي الفيصل فاما ظفرت واما هلكت وقولها فأولى لنفسي أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعد ما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لي وروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت في جواره أو في داره أولى لي كدت والله أكون السواد المخترم وقد مضى هذا مفسرا وأنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم * ولكن أولى يترك القوم جوعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم في الشجاعة ومحظوظا في العشيرة

أريقي من دموعك واستفيقي * وصبرا ان أطقت ولن تطيقي

وقولي ان خير بني سليم * وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي * وأيام لنا بلوى الشقيق

واذ نحن الفوارس كل يوم * اذا حضروا وفتيان الحقوق

واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

كلام الشك لا يجاوز الاستفتاح اليقين (فصل منه) قد فهمت أسعدك الله تعالى بطاعته جميع ما ذكرت من أنواع الأنبذة وبديع صفاتها والفصل بين جيدها ورديئها ونافعها وضارها وما سألت من الوقوف على على حدود ولا زلت من عداد من يسأل ولا يبحث ولمنزلنا في عداد من يشرح ويفصح اعلم أكرمك الله انك لو بحثت عن أحوال من يؤثر شرب الخمر على الأنبذة لم تجد الا جاهلا مخذولا أو حدثا مغرورا أو خليعا ماجنا أو رعاعا همجا ومن اذا عدا بهيمة واذا راح نعامة ليس عنده من المعرفة اذا أكثر من انتحال القول بالجماعة قد مزج له الصحيح بالمحال فهو يدين بتقليد الرجال لشعشع الداح ويحرم المباح فتى عذله عاذل ووعظه واعظ قال الأشربة كلها خمر فلا أشرب الا أجودها وقد أحببت أيدك الله التوثق من اصفائه فهمك وسؤت ظنا بالتقرير فقدمت لك من التوطئة ما يسهل لك سبيل المعرفة وذلك الى منزلك من مثلي حرم سيما فيما خفيت معالمه ودرست مناهجه وكثرت

فبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأي محمود الصديق

فلا والله لا تسلاك نفسي * لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

قولها أريقي من دموعك واستفيقي معناه أن الدمعة تذهب اللوعة وروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة انى لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام دابتي ثم وقف ملتفتا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

ثم رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت وان تطيقي كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت وان تطيقي وقولها فلا والله لا تسلاك نفسي تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما * لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا * من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما يعني أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله

شبهه واشتد غموضه ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص على البرهان في اظهاره واحتجب في الابانة عنه الى ذكر ضده ونظيره وشكله لم أحتشم من الاستعانة بكل ذلك فكيف والقدرة بحمد الله وافرة والحجة واضحة قد يكون الشيء من جنس الحرام فيعالج بضرب من العلاج حتى يتغير بلون يحدث ورائحة وطعم ونحو ذلك فيتغير لذلك اسمه ويصير حلالا بعد ان كان حراما

(فصل منه في تحليل النبيذ دون الخمر) فان قال لنا قائل ما تدرون لعل الأنبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة ودخل سائر الأشربة في التحريم بالقصد والارادة قلنا قد علمنا أن ذلك على خلاف ما ذكر السائل لأسباب موجودة وعلل معروفة منها أن الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض والتابعين من بعدهم لم يختلفوا في قاذف المحصنين أن عليه الحد واختلفوا في الأشربة التي تسكر ليس لجهلهم أسماء الخمور ومعانيها ولكن الأخبار

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير

كما قال الراعي زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

(قال الأخفش الزجل اختلاط الصوت الذي اصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعني مزمارا شبه صوت الحادي بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعني ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

قال الأصمعي هو زمار اي وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا بمؤتكل يقال نقدت السن اذا مسها ائتكال وكذلك القرن قال الشاعر * يأم قرنا أرومه نقد *

وقوله بسبت يعني النعل المجردة وبعلج يوتر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حليهن فهن عطل * وبعن به المقابلة التؤاما

يعني اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما يبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله

أخذن حريرات وأبدين مجلدا * ودارت عليهن المقشة الصفر

يعني القداح يقول يبين فاقتسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى آثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الاشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة للآخر خبره فقال استطردت له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم

نسلب

المروية في تحريم المسكر والواردة في تحليلها ولو كانت الأشربة كلها عند أهل اللغة في القديم خمرا لما احتاجوا الى أهل الروايات في الخمر أي الاجناس من الأشربة هي كما لم يحتاجوا الى طلب معرفة العبيد من الاماء وهذا باب يطول شرحه ان استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب وما ينكر من خالفنا في تحليل الأنبذة مع اقرارهم بان الأشربة المسكرة الكثيرة لم تزل معروفة بأسمائها وأعيانها وأجناسها وبلدانها وان الله تعالى قصد للخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الأشربة طلقا مع أجناس سائر المباح والدليل على تجويز ذلك ان الله تعالى ما حرم على الناس شيئا من الأشياء في القديم والحديث الا أطلق لهم من جنسه وأباح من سنخه ونظيره وشبهه ما يعمل مثل عمله أو قريبا منه ليغنيهم الحلال عن الحرام أعني ما حرم بالسمع دون المحرم بالعقل قد حرم من الدم المسفوح وأباح غير المسفوح كجامد دم الطحال والكبد وما أشبههما وحرم الميتة

تسلب أخاك قال فما فعلت فرسه الشمّى قال هاهى تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر ألا تهجوهم فقال ما بينى و بينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للسانى عن الخنا لفعلت ثم خاف ان يظن به عىّ فقال

وعاذلة هبّت بليل تلومنى * ألا لا تلومينى كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى * وأن ليس اهداء الخنا من شماليا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عنى معاويا
وهون وجدى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريد ازاد فيها

وذى اخوة قطعت أرحام بينهم * كما تركونى واحدا لا أخاليا

(قال أبو الحسن الأخفش وزادنى الأحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزه * اذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه الشمّى فقيل كلا الشمى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الاسوار الجشمى من جشم ابن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بنى سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فارسل عليه سهما فقتله فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميم
فداك الحى حى بنى سليم * بظاعنهم وبالأنس المقيم
كما من هاشم أقررت عينى * وكانت لا تنام ولا تنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء مانذكر من مراثى الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

وأباح الذكية وأباح أيضا ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه وحرم الربا وأباح البيع وحرم بيع ما ليس عندك وأباح الصلح وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الخنزير وأباح الجدى الرضيع والخروف والحوار والحلال فى كل ذلك أعظم موقعا من الحرام

(فصل منه) قال لا يقول أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والمسكر والخمر وما أباح الرسول وما حظره وكيف لا يكون كذلك والدين ومعالمه من عندهم خرج الى الناس والوحى عليهم نزل والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم دفن وهم المهاجرون السابقون والانصار المؤثرون على أنفسهم وكلهم مجمع على تحريم الانبذة المسكرة وانها كالخمر وخلفهم على منهاج سلفهم الى هذه الغاية حتى انهم جلدوا على الريح الخفى وكيف لا يفعلون ذلك ويدينون به وقد شهدوا من شهد النبى صلى الله عليه وسلم قد حرمها وذمها وأمر بجلد شاربها ثم كذلك فعل ائمة الهدى من بعده

دفعتُ بك الجليل وأنت حيٌّ * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرّقني الدهر نهساً وحزّا * وأوجعني الدهر قرعاً وغمزا

وأفنى رجالي فبادوا معاً * فأصبح قلبي بهم مستفزّا

كأن لم يكونوا حمى يتّقى * اذ الناس اذ ذاك من عزّ بزّا

وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجداً وعزّا

وهم في القديم سراة الأديم * والكائنون من الخوف حرزا

وهم منعوا جارهم والنسا * يحفز أحشاءها الخوف حفزا

غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للأرض ركزا

وخيل تكدّس بالدارعين * تحت العجاجة يجمزن جمزا

ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تجزّا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

نعفّ ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخراً وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفضّ أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صار الى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لا ميتٌ فيُنعى ولا صحيحٌ فيرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرّق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجفّ دموعها * وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغترّ بالحدثان

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد أنبهت من كان نائماً * وأسمعت من كانت له أذنان

فأي امرئ ساوى بأمّ حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

فهم الى اليوم على رأي واحد وأمر متفق ينهون عن شربها ويجلدون عليها وأنا نقول في ذلك ان عظم حق البلد لا يحل شيئاً ولا يحرمه وانما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنة المجمع عليها والعقول الصحيحة والمقاييس المعينة وبعد فهذا المهاجري والانصاري الذي رووا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يروا عنه التحليل بل لو أنصف القائل لعلم أن الذين من أهل المدينة حرموا الأنبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلوا النكاح في أدبار النساء [illegible] قوم من أهل مكة عارية الفروج وحرم بعضهم ذبائح الزنوج لانهم فيما زعموا مشوهوا الخلق ثم حكموا بالشاهد واليمين خلافا لظاهر التنزيل وأهل المدينة وان كانوا جلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزق الفارغ لانهم زعموا أنه آلة الخمر حتى قال بعض من ينكر عليهم فهلا جلدوا أنفسهم لانه ليس منهم الا ومعه آلة الزنا وكان يجب على هذا المثال ان يحكم بمثل ذلك على حامل السيف

ثم

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أياجارتا انّ الخطوبَ قريبُ * من الناس كلّ المخطئين تُصيبُ

لياجارتا اناغريبان ههنا * وكلّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

كأنى وقد أدنوا الى شفارهم * من الادم مصقولُ السراة نكيبُ

قال أبو العباس ومن حلو المراثى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مُفلقا وخطيبا مصقعا وفى دهر قريب فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى فى شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتّسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما نملى منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان به صبّا واغتبط عبدُ المجيد لعشرين سنة من غير مابعلة وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم فلذلك حيث يقول ابن مناذر

حين تمّت آدابه وتردّى * برداء من الشباب جديد

وسقاه ماءُ الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندى الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد

وكأنى أدعوه وهو قريبٌ * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشّا اذا هو نودى

يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه فى المحفل المشهود

لهف نفسى أما أراك وقد عُد * تُ لى ان دعوتُ من مردود

كان عبدُ المجيد سمّ الأعادى * ملء عين الصديق رغم الحسود

ماد عبدُ المجيد زاد وقد كا * ن رجاء لريب دهر كنود

خنتك الودّ لم أمت كمدا بعـ * ـدك انى عليك حق جليد

لو فدى الحىّ ميّتا الفدتُ نفـ * ـسك نفسى بطارفى وتليدى

ولئن كنتُ لم أمت من جوى الحز * ن عليه لابلغن مجهودى

لأقيمنّ مأتما كنجوم الليـ * ـل زهرا يلطمن حرّ الخدود

والسكين والسم القاتل فى نظائر ذلك الآن فهذه كلها آلات القتل وبعد فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الانس الى طبع الملائكة ولو كان كل ما يقولونه حقا وصوابا لجالدوا من كان دارفى معبد والغريض وابن شريح ودحمان وابن محرز وعلوية وابن جامع ومخارق وأهل شريك ووكيع وحماد وابراهيم وجماعة التابعين والسلف والمتقدمين لان هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التى هى عندهم خمر وأولئك كانوا يعالجون الأغانى التى هى حل طلق على نقر العيدان والطنابير والنايات والصنج والزيج والمعازف التى ليست محرمة ولا منهيا عن شئ منها ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها كالاختلاف فى الأوانى وصفاتها وأوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفها ومجاريها وما يدع ويوصل منها للحنجرة والحلق والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها وأى الدساتين أطرب وأيها أصوب وما يحفر بالهمز

مُوجعات يبكين للكبد الحرّى عليه وللفؤاد العميد
وللعين مطروفة أبداً فا * ل لها الدهر لا تقرّى وجودى
كلّما عزّك البكاء فأنفذ * ت لعبد المجيد مجلا فعودى
لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كلّ حىّ لاقى الحمام فمودى * ما لحىّ مؤمّل من خلود
لا تهاب المنون شيئاً ولا تر * عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى * ويحطّ الصخور من هبّود
ولقد تترك الحوادث والايام وهيا فى الصخرة الصيخود

وفى هذا الشعر مما استحسنته

أين ربّ الحصن الحصين بسورا * ء وربّ القصر المنيف المشيد
شاد أركانه وبوّبه با * بى حديد وحفّه بجنود
كان يجبى اليه ما بين صنعا * ء فمصر الى قرى يبرود
وترى خلفه زرافات خيل * جافلات تعدو بمثل الأسود
فرمى شخصه فأقصده الده * ر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله عمروا الار * ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو ان الايام أخلدن حيّاً * لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيدٍ حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت فى الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولّى * هدّ ركناً ما كان بالمهدود
(وأرانا كالزرع يحصده الده * ر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبّو * ن سراعاً لمنهل مورود)
هدّ ركنى عبد المجيد وقد كنـ * ـت بركن أنوء منه شديد

أو يحرك بالضم وكالقول بان لهزج بالبنصر أطيب وبالوسطى، والسريع على الزير ألذ وعلى المثنى والمصعد فى لين أطرب، أم الحدر فى الشدة لسهل ذلك واسلمناه له لمن يدعيه ولم نجاذب من يدعى دوننا معرفته

(فصل منه) ولهج أصحاب الحديث بحكم لم أسمع بمثله فى تزييف الرجال وتصحيح الأخبار وانما أكثروا فى ذلك لتعلم حيدهم عن التفتيش وميلهم عن التنقير وانحرافهم عن الانصاف

(فصل منه) والذى دعانى الى وضع جميع هذه الأشربة والوقوف على أجناسها وبلدانها مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف جميعها ولم يسمع بذكرها فيتوهم انى فى ذكر أجناسها المستشنعة وأنواعها المبتدعة كالهاذى برقية العقرب وان كان قصدى لذكرها فى صدر الكتاب لاقف على حلالها وحرامها وكيف اختلفت الأمة فيها وما سبب اعتراض الشك واستكمان الشبهة ولأن احتج للمباح وأعطيه حقه وأكشف أيضاً عن المحظور فاقسم

(فبعبد الحميد تأمور نفسي * عثرت بي بعد انتعاش جدودي

وبعبد الحميد شلت يدي اليمـ * ـنى وشلت به يمين الجود)

وفي هذا الشعر * فبرغمي كنت المقدم قبلي * وبكرهي دليت في الملحود

كنت لي عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضي ويخضر عودي

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثي وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكأنهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت وفي كنفها نشأت فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي وكان أحد رجلي العرب (قال الأخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة الساعون في سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثي فقال افد نفسك فأبى فقال لأقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا ما لم تفتد نفسك فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فأتى راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمي المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر

ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطا نوءها المطر

من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر

طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

لا تنكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر

له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله وبالحلال منهجه اقتداء مني بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد كتبت لك أكرمك الله تعالى في هذا الكتاب ما فيه الجزالة والكفاية ولو بسطت القول لوجدته متسعا ولا نالك منه الذم وربما كان الاقلال في ايجاز أجدى من اكثار يخاف عليه الملال فخالطت لك جدا بهزل وقرنت لك حجة بملحة لتخف مؤنة الكتاب على القارئ وليزيد ذلك في نشاط المستمع فجعلت الهزل بعد الجد جماما والملحة بعد الحجة مستراحا

(فصل من صدر رسالته في استحقاق الامامة)

يحكي فيه قول من يجيز أكثر من امام واحد زعم قوم أن الامامة لا تجب لرجل واحد بعينه من رهط واحد ولا لواحد من عرض الناس وان كان أكثرهم فضلا وأعظمهم عن المسلمين غناء بعد أن يكون فردا في الامامة لا ثاني له وأن الناس ان تركوا أن يقيموا اماما

لا يصعب الامر الا ريث يركبه * وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر
تكفيه فلذة كبد ان ألم بها * من الشواء ويكفي شربه الغمر
لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر
مهفهف أهضم الكشحين منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر
عشنا بذلك دهرا ثم فارقنا * كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
(فان جزعنا فقد هدت مصيبتنا * وان صبرنا فانا معشر صبر
اني أشد حزيمي ثم يدركني * منك البلاء ومن آلا ئك الذكر)
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه * من كل أوب وان لم يأت ينتظر
اما يصبك عدو في مناوأة * يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر
لو لم تخنه نفيل وهي خائنة * ألم بالقوم ورد منه أو صدر
وراد حرب شهاب يستضاء به * كما يضيء سواد الطخية القمر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها * فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
من ليس فيه اذا قاولته رهق * وليس فيه اذا ياسرته عسر

قوله اني أتتني لسان يقال هو اللسان وهي اللسان فمن ذكر جمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنث قال لسان وألسن كما تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لا تبالي أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم * يأتي لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازني

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من علو يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بني على الضم كقبل وبعد واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

اني انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

والقوافي مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهي ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا

واحدا جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فان أقاموه كان ذلك رأيا أراده وغير مضيق عليهم تركه ولهم أن يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ولا بأس أن يكونوا أعجاما وموالي ولكن لا بد من حاكم واحدا كان أو أكثر على حال ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود ولم يقل أحد البتة ان من الحكم والحاكم بدا ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا وأي ذلك كان من اقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك وعلى الناس الكف عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوبهم من عدو يدهمهم من غيرهم أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم وعليهم فيما شجر بينهم اعطاء النصفة من أنفسهم بالغا ما بلغ في عسر الأمر ويسره وعلى كل رجل في داره وبيته وقبيلته وناحيته ومصره اذا كان مأمونا ذا اصلاح اذا ثبت عنده على أخيه وصاحبه وجاره وحاشيته من

يا فتى قال الراجز وهي تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت من تفقا وهو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

أني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها التوجع ومن جزعها منه وروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما يردني الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوى على أحد يقال استقام فلان فما لوى على أحد ويقال ألوى بالشئ اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأ نوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يقولون هذا فى أشياء بعينها وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعنى أمر الانواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمنا بى وكافرا بالكواكب وكافرا بى ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أى استقل به فى ثقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الا ساهيا فيما يذكر أصحابه عنه ويروى أنه سئل عن غير شئ من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوى المصير يقال لواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصور فأما العزاء واللأواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من

خدمه حد أو حكم جناه جان عليهم على نفسه أو ظلم ركبه من غيره اقامة ذلك الحكم والحد عليه اذا أمكنه مستحقه الا أن يكون فوقه كاف قد أجزى عليه وعلى المجترح للذنب الموجب على نفسه الحد والمستحق له امضاء الحكم فى بدنه وماله والامكان من نفسه وان لا يعاز بقوة ولا يروغ بحيلة ولا يسخط حكم التنزيل فيما نزل به وفيما هو لسبيله من مال أو غيره وانما يجب ذلك اذا كان على الفريقين من القيم والجانى بمكنه ما كافه الله من ذلك فان أبى القيم اقامة الحق والحد على الجانى بعد استجابة والامكان من نفسه لاقامة الحد عليه فقد عصى الله تعالى بما لم يؤت فى ذلك الامر نفسه لان الله تعالى قد بينه له وأوجب عليه وقرره حين أوضح له الحجة وقرب الدلالة وطوقه المعرفة ومكنه من الفعل وقد بسطنا العذر لذوى العجز فى صدر الكلام وان أبى الجانى المستحق للحكم والحد الامكان من نفسه وماله وما هو بسبيله فقد عصى الله تعالى فى ذلك كما عصاه فى ركوبه

غمده وقوله ليلة لا ماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكوماء ضربته
بالمشرفي يقول قد عوّدنا الابل ان ننحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف
وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوّذا منه وانشدني الزيادي لرجل من اهل الحجاز احسبه ابن
ابي ربيعة

الا حبّذا حبذا حبذا * حبيبٌ تحملتُ منه الاذى

ويا حبذا بردُ انيابه * اذا اظلم الليل واجلوّذا

وقوله حتى تَقَطَّع في اعناقها الجِرَرُ يقول حتى اعتادت ان ننحرها فهي تفزَعُ منه حتى تقطّع جررها
ومثل هذا قول الخنوت

سابكي خليلي عنترا بعد هجعة * وسيفي مرداسا قتيل قنان

وتبلان لا تبكي اللقاحُ عليهما * اذا شبعت من قرملٍ وآفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وآفان ضربان من النبت وشبيه بهذا قوله
حيث يقول

فلو كان سيفي باليمين تباشرت * ضبابُ الملا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرّت بذلك الضباب واستبشرت
وقوله لا يتأرى لما في القدر يرقبه يقول لا يحبس له ومن ذا سمي الآري لانه يحبس الدابة وقوله
ولا تراه امامَ القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شيء من الزاد وقوله ولا يعض على شرسوفه الصفَرُ
الشراسيف اطراف الضلوع والصفَرُ ههنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعني ضامرا
واهضمُ الكشحين توكيد له وقوله اما يصبك عدو في مناواة يقول في وتر يقال باوأت فلان بكذا
كما قال مهلهل بُؤ بشسع كليب اي هو ثار بالشسع والطَخية والطُخية والطِخية ثلاث لغات
شدة الظلمة وكان الذي اصابه هند بن اسماء الحارثي ففي ذلك يقول

اصبتَ في حرمٍ منا اخا ثقة * هندَ بن اسماء لا يهنئْ لك الظفرُ

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيأ لك قال الاخطل

الى امام تُغادينا فواضلُه * اظفره الله فليهنئ له الظفرُ

وقوله وليس فيه اذا ياسرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عزّ اخوك فهُن وانما هذا فيمن
لا يخاف استذلاله بان يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فاما من كان كذلك فعاسرته

ما اوجب عليه الحد ولم يؤت من ربه لما ذكرنا من ايضاح الحجة واثبات القدرة

(فصل منه) وقد علمنا ان من شأن الناس الهرب اذا خافوا ونزول المكروه والامتناع من امضاء الحدود بعد وجوبها عليهم ما وجدوا السبيل الى ذلك وهذا سبب اسقاط الاحكام والتفاسد وقد امرنا ان نترك اسباب الفساد ما استطعنا وبالنظر للرعية ما امكننا فوجب علينا عند الذي قلنا انا لو لم نقم اماما واحدا كان الناس على ما وصفنا من التسرع الى الشيء اذا طمعوا والهرب اذا خافوا وهذا امر قد جرت به عامة المعرفة وفهمت عند ناخيه الخبر به قلنا عند ذلك ان الامامة لا تجب على الناس من طريق الظنون واشفاق النفوس وقد رأينا اعظم منها خطرا وقدرا ونفعا في كل جهة على خلاف ذلك وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى امة وقد علم انهم يزدادون من كفرهم من قبل ذلك الرسول كفرا بجحدهم له واخراجهم اياه وقصدهم قتله ثم لا يكون

أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشرٌ أبو مروان ان عاسرته * عسرٌ وعند يساره ميسورُ

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طار السنا في ربابه * وغيث يسح الماء حتى تريعا

سقى الله أرضا حلها قبر مالك * ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا

وآثر سيل الواديين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا

تحيته مني وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا

فما وجد أظآر ثلاث روائم * رأين مجرا من حوار ومصرعا

يذكرن ذا البث الحزين ببثه * اذا حنت الاولى سجعن لها معا

بأوجع مني يوم فارقت مالكا * ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فان تكن الايام فرقن بيننا * فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما * أراك حديثا ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني * ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن * خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة * ورزأ بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح ان كنت يوما بغبطة * ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما * اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعمرك الا تسمعيني ملامة * ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

وقصرك اني قد شهدت فلم أجد * بكفي عنه للمنية مدفعا

ذلك مانعاله من الارسال اليهم والاحتجاج به عليهم لمكان علمه انهم يزدادون فسادا وبغيا اذ كان قدم لهم ما به ينالون مصالح دينهم ودنياهم وانما على الحكيم أن يأتي الأمر الحكيم عرف ذلك عارف أم جهله جاهل وعلى الجواد ذي الرحمة في جوده ورحمته أن يفعل ما هو أفضل في الجود وأبلغ في الاحسان والعطف في الانعام من ايضاح الحجة وتسهيل الطرق والابلاغ في الموعظة مع ضمان الوعد بالغاية من الثواب والدوام واللذة والتوعد بغاية العقاب في الدوام والمكروه الى عباده الذين كلفهم طاعته وأهل الخافقة الى عائدته ونظره واحسانه فان قبل ذلك قابل فقد أصاب حظه وان أبى ذلك فلنفسه ظلم وقد صنع الله به ما هو أصلح وان لم يستصلح العبد نفسه قالوا فاذا كان الله تبارك وتعالى عالما بان القوم يزدادون فسادا عند ارسال الرسل وكان غير صارف لهم عن الارسال اليهم اذ كان قد عدل خلقهم ومكنهم من مصلحتهم فما بال الظن والحسبان بان الناس يتفاسدون ويتنازعون اذا لم يقيموا اماما واحدا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفي هذه القصيدة لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القوم القداح وأوقدت * لهم نار أيسار كفى من تضجعا

بمثنى الأيادي ثم لم تلف مالكا * على الفرث يحمى اللحم أن يتمزعا

قوله وقد طار السنا في ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازني

كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التي يقشر بها أوجه الأرض مسحاة قال عنترة

سحا وساحية فكل قرارة * يجرى عليها الماء لم يتصرم

وقوله تربيع أي كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع اذا رجع ومنه سمي ريع الطعام لانه يرجع بفضل قال فرزدق خلطت بصاعي عجوة صاع حنطة * الى صاع سمن فوقه يتريع

والذهاب الامطار اللينة والمدجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدجن والدجنة ومعناه الباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف المعمد

ويقال أمرع الوادي اذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الاجيد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثني به ابن المهدي أحمد بن محمد الضوى يحدث به عن الأصمعي عن أبيه عن مولاة ابن الاجيد عن أوفى قال في النساء أربع فمنهن الصدع تفرق ولا تجمع ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيث وقع في بلد فأمرع ومنهن التيع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وما هي قال التي تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا قال الاخفش حدثني بذلك

ابو

يوجب فرضا لم ينطق به كتاب ولم يؤكده خبر وقد رأينا العلم بأن الناس يتفاسدون ولا يرد به فرض

(فصل منه) وقالوا قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدعار ويصبح العوام يقوم منهم العدد اليسير في الناحية والقبيلة والدرب والمحلة فيقيم لهم حد المستطيل ويقمع شذوذ الدعار حتى يسرح الضعيف ويأمن الخائف وينتشر التاجر ويكبر جانبهم الداعر وانما صلاح الناس بقدر تعاونهم وتخاذلهم ومع أن الناس لو تركهم المتسلطون عليهم وألجئوا الى أنفسهم حتى يتحقق عندهم أن لا كافي الا بطشهم وحيلهم وحتى تكون الحاجة الى الذب والحراسة والعلم بالمكيدة هي التي تحملهم على منع أنفسهم لذهبت عادة الكفاية وضعف الاتكال ولتعودوا اليقظة ولدربوا بالحراسة واستثاروا دفين الرأي لان الحاجة تفتق الحيلة وتبعث على الروية وكان بالحرى أن يصلح أمر الجميع لان طمع الراعي اذا عاد بأسا صرفه في البغي

أبو العيناء عن الأصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآ ثر سيل الواديين بديمة زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما يرتى وقوله ترشح وسميا أي تربيه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمي أول مطر يسم الارض والولي كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولي للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجد أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهي النوق تعطف على الحوار فتبا أنفه وروائم واحدتها رؤوم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال لما يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الأسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهي حائل وهو في ذلك كله حوار سنة وقوله ندماني جذيمة يعني جذيمة الأبرش الازدي وكان ملكا وهو الذي قتلته الزباء وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاخبار ونديماه يقال لهما مالك وعقيل ففي ذلك يقول أبو خراش الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما الطول ما ناداماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر مايدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أراك حديثا ناعم البال أفرعا الأفرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع في نفسه أنه يعني عنه وعن أبي بكر والأسفع الاسود يقال سفعته النار أي غيرته وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أي أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره انتظارا للضيف ويروى ان عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت في شيء مما قلته في أخيك فقال نعم في قولي غير مبطان وكان ذا بطن ويقال في غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال

وكان ذلك منبها للنائم ومشحذا لليقظان وضراوة للواكل ومزجرة للبغاة حتى تنبت عليه الصغيرة ويتفحل معه الكبير

(فصل منه) وزعم قوم أن الامامة لا تجب الا بأحد وجوه ثلاثة اما عقل يدل على شبهها أو خبر لا يكذب مثله أو أنه لا يحتمل شيأ من التأويل الا وجها واحدا لقالوا فوجدنا الأخبار مختلفة والمختلف متدافع وليس في المتدافع والمتكافئ بيان ولا فصل فمن ذلك قول الانصار وهم شطر الناس أو أكثرهم مع امانتهم على دين الله تعالى وعلمهم بالكتاب والسنة حيث قالوا عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير فلو كان قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أمر ما كان أحد أعلم به منهم ولا أخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم بعد الذي ظهر من احتمالهم في جنب الله تعالى والجهاد في سبيله والنصرة لنبيه صلى الله عليه وسلم مع الايواء والايثار بعد المواساة ومحاربة القريب والبعيد والعرب قاطبة وقريش خاصة ثم الذي

رجل لرجل والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان والارع ذو الروعة والهيئة والبرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي * اذا الدخان تغشى الاشمط البرما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال الكناسة الحمام القشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع ۞ وحدثني العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن عبد الله الانصاري القاضي في اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبي بكر الصديق الفجر في عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدي فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمي فرسان بني يربوع قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ولنعم حشو الدرع كنت وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور

أدعوته بالله ثم غررته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر فقال والله ما دعوته ولا غررته ثم أتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أني رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزاني أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول اني لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد ومن طريف شعره

لعمري وما دهري بتأبين هالك * ولا جزع والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى علي مكانه * لفي أسوة ان كنت باغية الاسا

نطق القرآن به من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولقيه بهم وثنائه عليهم وهو يقول أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع في أمور كثيرة ثم لم يكن قولهم منا أمير ومنكم أمير من سفيه من سفهائهم ضرى اليه أمثاله منهم فان لكل قوم حسدة وجهالا وأحداثا وسرعانا من حدث تبعثه الغرارة ولا شذ رجل بحب الجاه والفتنة أو مغفل مخدوع أو غر ذو حمية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا كان ذلك القول اذ كان من عليتهم في الواحد الشاذ القليل بل كان في ذوي أحلامهم والقدم منهم ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عبادة سيدا مطاعا ذا سابقة وفضل وحلم ونجدة وجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعانته به في الحوادث والمهم من أمره ثم كان في الدهم من الانصار والوجوه والجمهور من الاوس والخزرج فكيف يكون سبق من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا أمر يقطع عذرا ويوجب

كهول ومرد من بني عم مالك * وأيفاع صدق قد تمليتهم رضا

سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذ رغا سقبهم ضحى

اذا القوم قالوا من فتى لملمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا في كلمة له يرثي بها مالكا

جميل المحيا ضاحك عند ضيفه * أغر جميع الرأي مشترك الرحل

وقور اذا القوم الكرام تقاولوا * فحلت حباهم واستطيروا من الجهل

وكنت الى نفسي أشد حلاوة * من الماء بالماذي من عسل النحل

وكل فتى في الناس بعد ابن أمه * كساقطة احدى يديه من الخبل

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها * ولا ظل الا أن تعد من النخل

وقال له عمر بن الخطاب انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الازيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح فيصبح أهله متبسما الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه انما يجر الحبل والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها وذكرنا أن مالكا كان من أرداف الملوك وفي تصداق ذلك يقول جرير يفخر ببني يربوع

منهم عتيبة والمحل وقعنب * والحنتفان ومنهم الردفان

فأحد الردفين مالك بن نويرة اليربوعي والردف الآخر من بني رياح بن يربوع وللردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملك على دابته في صيد أو تريف أو ما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس لما احتضر ابراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر

رضا وهؤلاء الأمناء على الدين والقوام قد قاموا هذا المقام وقالوا هذا المقال قالوا فان قال قائل فان القوم كانوا على طبقات من ذاكر متعمد وناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ومن رجل كان غائبا عن ذلك القول والتأكيد الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم وآله في اقامة امام يقدم في أيام وفاته ومن رجل قدم في الاسلام لم يكن من جهال العلم فاذكرهم أبو بكر وعمر فذكروا ووعظاهم فاتعظوا فقد كان فيهم الناشئ الغافل الذي يزجره الذكر ويتبرع اذا بصر والمعتمد الذي لم يبلغ من لجاجه وتتابعه وركوب ردعه ما يؤثر معه التصميم على حسن المرجوع عند الموعظة الحسنة والتخويف بفساد العاجل في كثير ممن لم يكن له في الاسلام القدر النبيه اما للغفلة واما للابطاء عنه واما للخمول في قومه مع اسلامه وصحة عقده فداواهم أبو بكر وعمر يوم السقيفة حين قالوا نحن الائمة وأنتم الوزراء وحيث رووا لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش فلما استرجعوا رجعوا

أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد علي من ربي اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل
يقول نفسي والله أعز الانفس علي ولما احتضر حجر بن عدي ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلي
ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن
منشور وقبر محفور ولست أدري أيؤدي بي الى جنة أم الى نار (قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر
ابن عدي شيء واني لأعجب من قوله هذا ولست أدري أيدنيني الى جنة أو الى نار وهو شهيد
الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت ۞ وممن ظهرت منه
عند الموت قسوة حلحلة الفزاري وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن الفزاري فان عبد الملك لما
أحضرهما اليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اي والله

أصبر من ذي ضاغط عركرك * ألقى بواني زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبي أجد الضربة فاني والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم
في سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيد فقال اي والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبي سود أحد بني غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده
فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يصلي الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع
ما قال لك المعلوج قال وعد أنك تبرأ قال أسألك بحقي عليك قال ذكر أنك لا تصلي الظهر قال
ويلي على ابن الخبيثة والله لو كانت في شدقي للكتها الى العصر ويروى أن ابراهيم النخعي قال في
الحديث الذي ذكرناه والله لوددت أنه الحجاج في حلقي الى يوم القيامة وفي وكيع بن أبي سود يقول

الفرزدق — لقد رزئت بأسا وحزما وسؤددا * تميم بن مر يوم مات وكيع
وماكان وقافا وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التقت الابطال أبصرت لونه * مضيئا وأعناق الكماة خضوع
فصبرا تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا — لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجري

ومن

قلنا الدليل على أن القوم لم يروا في كلام أبي بكر وعمر حجة عليهم وان انصرفوا فهم عما اجتمعوا له لم يكن لانهم رأوا أن ذلك القول من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح حجة غضب رئيسهم وخروجه من بين أظهرهم مراغما في رجال من رهطه مع تركه بيعة أبي بكر رضوان الله عليه وتشنيعه عليهم بالشام وقد قال قيس بن سعد بن عبادة وهو يذكر خذلان الانصار سعد بن عبادة واستبداد الرهط من قريش عليهم بالأمر

وخبرتمونا انما الأمر فيكم * خلاف رسول الله يوم التشاجر
وان وزارات الخلافة دونكم * كما جاءكم ذو العرش دون العشائر
فهلا وزيرا واحدا تجتبونه * بغير ودادمنكم وواصر
سقى الله سعدا ما أبو ذلك ولا سقى * عواجله هابت صدور النواير

وقال رجل من الانصار ودعاه علي رضوان الله عليه الى عونه ونصرته اما يوم الجمل أو يوم صفين

مالي أقاتل عن قوم اذا قدروا

ومن الجفاة عند الموت هُدبةُ بن خَشرم العُذري وكان قتل زيادةَ بن زيد العُذري فلما حُمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادّعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحبّ أن يكون الجواب شعرًا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيتُ أنما هي ضَربةٌ * من السيف أو اغضاءُ عين على وِترِ

عَمَدتُ لأمرٍ لا يُعيِّرُ والدي * خَزايتُهُ ولا يُسَبُّ به قبري

رُمينا فرامينا فصادف سهمُنا * منيّةَ نفسٍ في كتاب وفي قَدَرِ

وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا * وراءك من مَعدًى ولا عنك من قصرِ

فان تكُ في أموالنا لا نضق بها * ذراعًا وان صبرٌ فنصبرُ للصبرِ

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال عبد الرحمن أقدني فكره ذاك معاوية وضنّ بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك ان تشفي صدرك وتحرمَ غيرك ثم وجّه به الى المدينة فقال يُحبَس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والى المدينة سعيدَ ابن العاصي فما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلتُ السجنَ يا أمَّ مالكٍ * ذكرتكِ والاطرافُ في حلَق سُمْرِ

وعند سعيد غيرَ أن لم أبُحْ به * ذكرتكِ ان الامرَ يُذكَرُ بالامرِ

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسنَ الثغر جدًّا ذكرتُ به ثغرها ويقال انه عُرِضَ على ابن زيادة عشرُ ديات فأبى الا القَوَد وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسينُ بن علي وعبدُ الله بن جعفر عليهما السلام وسعيدُ بن العاصي ومروانُ بن الحكم وسائرُ القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليُقاد بالحرّة جعل يُنشد الأشعار فقالت له حُبّى المدنيّة ما رأيتُ أقسى قلبا منك أتُنشد الأشعار وأنت يُمضَى بك لتُقتَل وهذه خلفك كأنها ظبيٌ عطشان تُوَلوِلُ تعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حُبّى فقال

ما وَجَدتْ وَجدي بها أمٌّ واحدٍ * ولا وَجدَ حُبّى بابن أمِّ كلابِ

رأته طويلَ الساعدين شَمَردَلًا * كما انعتتْ من قوة وشبابِ

فأغلقت حُبّى البابَ في وجهه وسبّته وعرَضَ له عبدُ الرحمن بن حسّانٍ فقال أنشدني فقال له أعلى

عندنا عدوا وكنا قبل أنصارا
ويل لها أمة لو أن قائدها يتلو الكتاب ويخشى النار والعارا
أما قريش فلم نسمع بمثلهم غدرا وأعجب في الاسلام آثارا
الا تكن عصبة حالوا بينهم بالعرف عرفا وبالانكار انكارا
أبا عمارة والثاوي بمليقعة في يوم مؤتة لا ينفك طيارا
أبا عمارة حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وقد كان يكنى أبا يعلى والثاوي في يوم مؤتة جعفر ابن أبي طالب وقال رجل من الانصار من ولد أبي زيد القارى وذكر أمر الانصار وأمر قريش دعاها الى استبدادها وحقودها
تذكرت قتلى في القليب تكبكبوا
هنالك قتلى لا تؤدى دياتهم وايس ابا كيها سوى الصبر مذهب
فان تغضب الابناء من قبل من مضى فوالله ما جئنا قبيحا فتعتبوا
(فصل منه) قد حكينا قول من خالفنا في وجوب الامامة وتعظيم الخلافة وفسرنا وجوه اختلافهم واستقصينا جميع حججهم

هذه الحال قال نعم فأنشد

وَلَسْتُ بِمِفْراحٍ اذا الدهرُ سَرَّنى * ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ

ولا أَبْتَغى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحْمَلْ على الشرِّ أَرْكَبِ

وحَرَّبَنى مولاىَ حتى غَشِيتُهُ * متى ما يُحَرِّبْكَ ابنُ عمِّكَ تُحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نظر الى امرأته قد خلته غيرةٌ وقد كان جُدِعَ فى حربهم فقال

فان يَكُ أَنفى بانَ منه جمالُهُ * فما حَسَبى فى الصالحين بأَجْدَعا

فلا تَنْكِحى ان فرَّقَ الدهرُ بيننا * أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزَعا

فقالت فتنحوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطَلَمَتْ أنفها فقالت أهذا فعلُ مَنْ له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

أَبَلِيانِ اليومَ صَبْرًا منكما * ان حُزْنًا منكما اليوم لَشَرّ

ما أَظُنُّ الموتَ الّا هَيِّنًا * انَّ بعد الموت دارًا المستقَرّ

ثم قال

اذا العرش انى عائذ بك مؤمنٌ * مُقِرٌّ بزَلّاتى اليك فَقيرُ

وانى وان قالوا أميرٌ مُسَلَّطٌ * وحُجّابُ أبوابٍ لهنَّ صَريرُ

لَأَعْلَمُ أنَّ الأمرَ أمرُكَ ان تَدِنْ * فَرَبٌّ وان تَغْفِرْ فأنت غَفورُ

ثم قال لابن زيادة أَثْبِتْ قدمَيْكَ وأَجِدِ الضربة فانى أَيْتَمْتُكَ صغيرا وأَرْمَلْتُ أُمَّكَ شابَّةً ويزعم بعض أصحاب الأخبار انه قال ما أَجْزَعُ من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فكَّ قيوده فَفُكَّتْ فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فاننى * قَتَلْتُ أخاكم مُطْلَقًا لم يُقَيَّدِ

قال أبو العباس ووقف جبّار بن سَلْمَى على قبر عامر بن الطُّفَيْل ولم يكن حَضَرَهُ فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنتَ سريعا الى المولى بوعدك بطيأ عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل وذكر الحِرْمازىّ ان الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المُصْعَبُ بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيدُ العرب فلما دُفِنَ قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله دَرُّكَ من

اذ كان على عذر لمن غاب عنه خصمه وقد تكفل بالاخبار عنه فى ترك الحيطة له والقيام بحجته كأنه لا عذر له فى التقصير عن افساد ما يخالفه وكشف خطأ من يضاده عند من قرأ كتابه وتفهم حجته لان أول ما يزيل عذره ويزيح علته أن يكون قول خصمه قد استهدف لعقله وأضجر لسانه وقد مكنه من نفسه وسلطه على اظهار عورته فاذا استراح من شغب المنازع ومداراة المستمع لم يبق الا أن يقوى على خلافه او يعجز عنه ومن شكر المعرفة بمعايب الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم وان يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل ما يسدى اليهم ولن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره واعلم أن قراءة الكتب أبلغ فى ارشادهم من تلاقيهم اذا كان مع التلاقى يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتنبعث الحمية وعند المزاحمة تشتد الغلبة وشهوة المباهاة والاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع وعن جميع

يجن فى جنن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الأرامل عطوفا ولقد كنت فى الحى مسودا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى * بأبيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو أننى مت قبله * لهانت عليه عند قبرى رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصارى اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فانشد

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

نفرت قلوصى من حجارة حرة * نصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدى نبيشة رحله * يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بنى كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعى وقيس تقول قتله نبيشة ابن حبيب السلمى وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بنى سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلانه فى بنى سليم قال حسان * نفرت قلوصى من حجارة حرة * لان الحرة هناك لبنى سليم وفى تصداق ما تدعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد نحر غير موسد

فى عارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد

ولقد وهبت سلاحه وجواده * لاخى نبيشة قبل لوم الحسد

وقال أخو ربيعة يجيبه فات ابن غادية المنية بعدما * رفعت أسفل ذيله بالمطرد

ذلك يحدث الضغائن و يظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة و بهذه الحالة امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة وليست فى الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد بقراءتها والمتفرد بفهم معانيها لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ولا يعاز خصمه والكتاب قد يفضل و يربح على واضعه بامور منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان أو فى كل زمان على تفاوت الاعصار و بعد ما بين الأمصار وذلك أمر يستحيل فى الواضع ولا يطمع فيه من التنازع وقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى ويبقى أثره ولولا ما رسمت لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها المستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا فى الحكمة وانقطع سبيلنا الى المعرفة ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا بما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنة فاعتقم الرأى ومات الخاطر وتبلد العاقل واستبد بنا سوء العادة

وقال لابن عادية المُتاح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بوتر قومي * فأسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الاخيلية آليتُ أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه في الحياة المعاير

فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

ويروى فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكل جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

وذكر المدائني أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا امررت به وهو زينة وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة فسري عنه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه

(وهذا باب طريف من أشعار المحدثين)

قال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا مرميين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع الهوامل السفح

راحوا بيحيى الى مغيبه * في القبر بين التراب والصفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ * أقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنت ويحيى كيدي واحد * نرمي جميعا ونرامي معا

ان سره الدهر فقد سرني * أو حادث ناب فقد أفظعا

أو نام نامت أعين أربع * منا وان هب فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيب في عارضي * لاح وفي مفرقه أسرعا

وأكثر من كتبهم نفعا وأحسن مما تكلفوا موقعا كتاب الله تعالى الذي فيه الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا سبيل من قبلنا فينا مع انا قد وجدنا في العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحتج لدينه والذاب عن مذهبه ومواسي الناس في معرفته وقد أمكن القول وأطرق السامع وتحامى التقية وهبت ريح العلماء

(فصل منه) واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى الى مخالفته غير مخرج انعام الله عليه ولا يحول احسانه اليه الى الى غير معناه وحقيقته ولم يكن احسان الله في اعطائه الأداة وتبيين الحجة لينقلبا افسادا واساءة لان المعان على الطاعة عصى بالمعونة وأفسد بالانعام وأساء بالاحسان وفرق بين المنعم والمنعم عليه لان المنعم عليه يجب أن يكون شكورا ولحق النعمة راعيا والمنعم منفرد بحسن الانعام وشريك في جميل الشكر ولان المنعم أيضا هو الذي حبب الشكر الى فاعله بالذي قدم اليه من

ـسعى وشاة طبن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم يحيى على حادث * ولم أقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير إخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيت حزني وصار قربك لي * بعدا وصار اللقاء هجرانا

انا الى الله راجعون لقد * أصبح حزني عليك ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله يا خير اخوانه محال وباطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخي فلم تجبني * فردت دعوتي حزنا عليا

بموتك ماتت اللذات مني * وكانت حية اذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي * اليك لوان ذلك رد شيا

وحدثني رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيئا ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لأسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة فقلت له يا هذا فرفع رأسه الي وكأنما انتبه من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدرا لي من كل باب يسعى علي في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الى الصيد آيس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان فنمى الي خبره فأسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فاني لضاحك السن اذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتابا فهل لم فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

احسانه وتولى من شاره ولذلك جعلوا النعمة لقاحا والشكر ولادا وانما مثل اعطاء الآلة والتكليف لفعل الخير مثل رجل تصدق على فقير ليستر عورته ويقيم من أود صلبه وليصرف في منافعه ولا يكون انفاق الفقير ذلك الشيء في الفساد والخلاف والفواحش لينقلب احسان المتصدق اساءة وانما هذا بصواب الرأي الذي لا ينقلب صوابا وان أنجح صاحبه وقد يؤتى الرجل من حزمه ولا يكون مذموما ويخطئ بالاضاعة ولا يكون محمودا

(فصل منه) ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزانا بين خلقه وعيارا على عباده في نظر عقولهم في ظاهر ما فرض عليهم ويبصر خلافه ويستخفي بضده ويعلم أن قضاءه فيهم غير الذي فطرهم على استحسانه وتحبب اليهم به في ظاهر دينه والذي استوجب به على الشكر على جميع خلقه

(فصل منه) وان لم يكن العبد على ما وصفنا من الاستطاعة والقدرة والحال التي هي ادعاه الى المصلحة ما كان متروكا على طباعه ودواعي شهواته دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه

وما نحن الا مثلهم غير اننا * اقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكى على من بكاؤك عليه أحق من النسيب ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع فى جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت قال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله آنسة فجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس

أتت البشارة والنعي معا * يا قرب مأتمها من العرس

يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير محترس

كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس

أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح فى الغلس

يا ملك فى وفيك معتبر * ومواعظ يوحشن ذا الانس

ما بعد فرقة بيننا أبدا * فى لذة درك لملتمس

وأخذ ما فى صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مغروس يعاش به * فقدته كف مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثى زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والرمح والفرس

أبكى على فارس فجعت به * أرملنى قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس

من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس

أم من لبرام من لفائدة * أم من لذكر الاله فى الغلس

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله

ولذلك أسباب نحن ذاكروها وجاعلوها حجة فى أقليمة الامامة وان عليها مدار المصلحة وان طبع البشر يمتنع من الأخبار الاعلى ما نحن ذاكروه فنقول انا ما رأينا طبائع الناس وشهواتهم من شأنها التقلب الى هلكتهم وفساد دينهم وذهاب دنياهم وان كانت العامة أسرع الى ذلك من الخاصة فكل لا تنفك طبائعهم من حملهم على ما يرديهم ما لم يردوا بالقمع الشديد فى العاجل ومن القصاص من العادل ثم التنكيل فى العقوبة على شرالخيانة واسقاط القدر وازالة العدالة مع الأسماء القبيحة والالقاب الهجينة ثم بالاخافة الشديدة والحبس الطويل والتغريب عن الوطن ثم الوعيد بنار الأبد مع فوت الجنة وانما وضع الله تعالى هذه الخصال لتكون لقوة العقل مادة ولتعديل الطبائع معونة لان العبد اذا فضلت قوى طبائعه وشهواته على عقله ورأيه الفى بصيرا بالرشد غير قادر عليه فاذا احتوشته المخاوف كانت مواد لزواجر عقله وأوامر رأيه فاذا لم يكن فى حوادث الطبائع ودواعى الشهوات وحب العاجل فضل على زواجر العقل وأوامر الفى

ليت شعري بأي ذنب ملك * كان هجري لقبرها واجتنابي

ألذنب حقدته كان منها * أم لعلمي بشغلها عن عتابي

أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب

ما أرى في العباد حيا لميت * بعد يأس منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكر * ت عنائي بها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البشـ * ـرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا فتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بها وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان مثلي غريبه

أراني غريبا وان أصبحت * منازل أهلي مني قريبه

خلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه

فأقبلت أبكي وتبكي معي * بكاء كئيب بحزن كئيبه

وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

كان العبد ممتنعا من البغي قادرا عليه لأن الغضب والحسد والبخل والجبن والغيرة وحب الشهوات والنساء والمكاثرة والعجب والخيلاء وأنواع هذه اذا قويت دواعيها لأهلها واشتدت جواذبها لصاحبها ثم لم يعلم أن فوقه ناقما عليه وأن له منتقما لنفسه من نفسه أو مقتضيا منه لغيره كان ميله وذهابه مع جواذب الطبيعة ودواعي الشهوة طبعا لا يمتنع معه وواجبا لا يستطيع غيره أوما رأيته كيف يخرق في ماله ويسرع فيما أثلت له رجاله وشدت له أوائله من غير أن يرى لعوض وجها وللخلف سببا في عاجل دينه ولا آجل دنياه حتى يكون والي المسلمين هو الذي يحجر عليه ليكون مضض الحجر وذل الحظر وغلظة الجفوة واللقب القبيح وتسليط الاشكال مادة للذي معه من معرفته وبقية عقله (فصل منه) وقد يكون الرجل معروفا بالنزق مذكورا بالطيش متهما باظهار الصولة حتى يتحامى كلامه الصديق ويداريه الجليس ويترك مجازاته الكريم للذي يعرفون من شدته وبوادر حدته وشدة تسرعه والتهابه

وكثرة فلتاته ثم لا يلبث أن يحضر الوالي الصليب والرجل المنيع فيلقى ذليلا خاضعا أو حليما وقورا أو أديبا رفيقا أو صبورا محتسبا وقد تجده يجهل على خصمه ويستطيل على منازعه ويهم بتناوله والغدر به فاذا عرف له جاها يكفيه وجها لا يحميه رجاها عنه وما لا يصول به طامن له من شخصه وألان له من جانبه وسكن من حركته وأطفأ نار غضبه أو ما علمت أن الخوف يطرد السكر ويميت الشهوة ويطفئ الغضب ويحط الكبر ويذكر بالعاقبة ويساعد العقل ويعاون الرأى وينبت الحيلة ويبعث على الروية حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوبا على عقله ممنوعا من رأيه بسكر الشباب وسكر الغناء واهمال الأمر وثقة العز وبأو القدرة

(فصل منه) وانما أطنبت لك في تفسير هذه الأحوال التى عليها الوجود والعبرة لتعلم أن الناس لو تركوا شهواتهم وخلوا أهواءهم وليس معهم من عقولهم الا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم اخلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس وأهوائها وبين الطبائع

سأصفيك ودّي حافظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كذلك وان لم تكن * كذلك من الناس عندي ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل على الله قوله

لا حزن الا أراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناي مفتقد

لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الأسد

لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تمد الى الجاني عليك يد

لو أن سيفي وعقلي حاضران له * أبليته الجهد اذ لم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد

هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والأبطال تجتلد

فخر فوق سرير الملك منجدلا * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد

قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد

وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد

علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

جاؤا عظيما لدنيا يسعدون بها * فقد شقوا بالذي جاؤا وما سعدوا

ضجت نساؤك بعدا لعز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد

أضحى شهيد بني العباس موعظة * لكل ذي عزة في رأسه صيد

خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

كم في أديمك من فوهاء هادرة * من الجوائف يغلي فوقها الزبد

اذا بكيت فان الدمع منهمل * وان رثيت فان القول مطرد

قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي * فعلمتني الليالي كيف أقتصد

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم * ضعتم وضيعتم من كان يعتقد

ولو

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والارحام والبلد
اذا قريش أراد واشد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود
فدونرا الناس طرانم قد صمنوا * حتى كأن الذى نيلوابه رشد
من الاولى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون مانالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم يقرت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم ومسك قارت وهو أخفه وأجوده قال * يعل بقرات من المسك قاتن * وقرات فعال وقاتن مسك قاتن قد قتن قتونا أى يابس لا ندوة فيه)

(باب ذكر الاذواء من اليمن فى الاسلام)

فأما فى الجاهلية فيكثرون نحو ذى يزن وذى كلاع وذى نواس وذى رعين وذى أصبح وذى المنار وذى القرنين فأما فى الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصارى ومنهم قتادة بن النعمان الانصارى ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصارى ذو السيفين كان يتقلد سيفين فى الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأى وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء فى الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدى ثم الدوسى ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا فى جبينه ليدعو به قومه فقال يارسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل

وخلفائها لم يكن فى قوى عقولهم ما يداوون به أدواءهم ويخبرون به من أهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به من جميع مصالحهم وأى داء هو أردى من طبيعة تردى وشهوة تطغى ومن كان لا يعد الداء الا ما كان مؤلما فى وقته ضاربا على صاحبه فى سواد ليله وبياض نهاره فقد جهل معنى الداء وجاهل الداء جاهل بالدواء

(فصل منه) ولكنا نقول لا يجوز ان يلى أمر المسلمين على ظاهر الرأى والحزم والحيطة أكثر من واحد لان الحكام والسادة اذا تقاربت أقدارهم وتساوت عناياتهم قويت دواعيهم الى طلب الاستعلاء واشتد تنافسهم فى الغلبة وهكذا جرب الناس من أنفسهم فى جيرانهم الادنين فى الأصهار وبين الأعمام والمتقاربين فى الصناعات كالكلام والنجوم والطب والفتيا والشعر والنحو والعروض والتجارة والصياغة والفلاحة أنهم اذا تدانوا فى الأقدار وتقاربوا فى الطبقات قويت دواعيهم الى طلب الغلبة واشتدت جواذبهم فى حب المباينة والاستعلاء

لسليتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذلك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا صدق يا رسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لا أنسى أو أنسى لاستن

﴿وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية﴾

منهم سعد بن معاذ الانصاري وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه في المشي اثلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفي ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصاري قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال في حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معي على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته في المسلمين فخرج فأصيب ففي ذلك يقول الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح حمي الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالي الملائكة الابـ * ـرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذي حمت ظهره الدبـ * ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم

على الرياسة ومتى كانت الدواعي أقوى كانت النفس الى الفساد أميل والعزم أضعف وموضع الروية أشغل والشيطان فيهم أطمع وكان الخوف عليهم أشد وكانوا بموافقة المفسد أحرى واليه أقرب واذا كان ذلك كذلك فاصلح الأمور للحكام والقادة اذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أمورها على ما وصفنا أن ترفع عنهم أسباب التحاسد والتغالب والمباهاة والمنافسة وان ذلك أدعى الى صلاح ذات البين وأمن البيضة وحفظ الاطراف واذا كان الله تبارك وتعالى قد كلف الناس النظر لأنفسهم واستبقاء النعمة عليهم وترك الخطر بالهلكة والتغرير بالأمة وليس عليهم مما يمكنهم أكثر من الحيطة والتباعد من التغرير ولا حال أدعى الى ذلك أكثر مما وصفنا لانه أشبه الوجوه بتمام المصلحة والتمتع بالامن والنعمة

(فصل منه) فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه اذا كان القائم بأمور المسلمين بائن الأمر متفردا بالغاية من الفضل كانت داعي الناس الى مسابقته ومجاراته أقل ولم يكن الله ليطيع الدنيا وأهلها

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبرئيل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي

﴿ وهذا باب قد تقدم ذكرناياه ووعدنا استقصاه ﴾

اعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولو لا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه

على هذه الطبيعة وبركبها أهلها هذا التركيب حتى تكون اقامة الواحد من الناس أصلح لهم الا وذلك الواحد موجود عند ارادتهم له وقصدهم اليه لان الله لا يلزم الناس في ظاهر الرأي والحيطة اقامة المعدوم وتشييد المجهول لان على الناس التسليم وعلى الله تعالى قصد السبيل وهل رأيتم ملكين أو سيدين في جاهلية أو اسلام من العرب جميعا أو من العجم لا يضيف أحدهما من سلطان صاحبه ولا ينهك أطرافه ولا يساجله الحروب اذ كل واحد منهما يطمع في حد صاحبه وطرفه لتقارب الحال واستواء القوى كما جاءت الأخبار عن ملوك الطوائف كيف كانت الحروب بينهم راكدة وأمرهم مريج والناس ثم ليس لهم ثغر الا معطل ولا طرف الا منكشف والناس فيما بينهم مشغولون بأنفسهم وملوكهم من عزيز يزمع اتفاق المال وشغل البال وشدة الخطر بالجميع والتغرير بالكل

(فصل منه) فان قالوا فما صفة فضلهم قلنا أن يكون أقوى طبائعه عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص وكثرة السماع ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماعه بحسن العادة فاذا جمع الى عقله علما والى علمه حزما والى حزمه عزما فذلك الذى لا بعده وقد يكون

وبعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعنى أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا انما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو لقبتها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من ذلك الا ما كان فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول للجمال هى تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل فى الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قالوا الموات فكل ما خرج مما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لا يكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لا يكون الا مؤنثا فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحفافيث منكم يابنى لجأ * يطرقن حيث يصول الحية الذكر

(قال الاخفش الحفافيث ضرب من الحيات يكون صغيرا الجرم ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا لا غائلة له) وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

يريد زقاء الديوك فالاسم الذى يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خرب وعلى هذا يجرى هذا الباب وكل ما لم نذكره فهذا سبيله ۞ وقد كنا أرجأنا أشياء وذكرنا انا سنذكرها

الرجل دونه فى أمور وهو يستحق مرتبة الامامة ومنزلة الخلافة غير أنه على حال لابد من أن يكون أفضل أهل دهره لان من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقام فيه الا أشبه الناس به فى كل عصر ومن الاستهانة به أن يقام فيه من لا يشبهه وليس فى طريقته وانما يشبه الامام الرسول بان يكون آخذا بسيرته منه فأما أن يقاربه أو يدانيه فهذا مالا يجوز ولا يسع تمنيه والدعاء به

(فصل منه) واذا كان قول المهاجرين والانصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا فى يوم السقيفة ثم صنيع أبى بكر وقوله لطلحة فى عمر وصنيع عمر فى وضع الشورى وتوعدهم له بالقتل ان هم لم يقيموا رجلا قبل انقضاء المدة وهجوم الفتنة ثم صنيع عثمان وقوله وصبره حتى قتل دونها ولم يخلعها وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلى رضى الله تعالى عنهم ورحمة الله عليهم وعليها أليست بحجة على ما قلنا فليست فى الأرض دلالة ولا حجة قاطعة وفى هذا الباب الذى وصفنا وبينا من حالاتهم وبينا دليل على أنهم كانوا يرون أن اقامة الامام فريضة واجبة وان الشركة عنها منفية وان الامامة تجمع صلاح الدين وايثار خير الآخرة والأولى

(فصل منه) وأى مذهب هو أشنع وأى فى

قول هو الحشو من قول من قال لابد للشاهد من أن يكون طاهرا عدلا مأمونا (٢٩٢) ولابد من أن يكون القاضي جائرا ظالما

في آخر هذا الكتاب منها خطب ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ما تهيأ من ذلك ان شاء الله

قال الأصمعي فيما بلغني خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ في ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والأمير جعفر بن سليمان وحدثت في بعض الأسانيد أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر في أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن رجلا مر وفاذهب اسمه عني قال أتيت ابن عمر فقلت أتجب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أتجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فأجابني بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثني بهذا الحديث القاضي (يعني اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبي أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال خطب الناس بالموسم عتبة في سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه في أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كل فنعق به أعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بني عامر يمت اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة

[Margin text:]

فاجرا وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وتدبير العالم

(فصل من صدر كتابه في مقالة الزيدية والرافضة)

اعلم رحمنا الله واياك ان شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا نظام لهم وفي الاخبار عنهما ما أغناه عن سواهما قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في أربعة أقسام أولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الناس أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الأموال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب أو يرتجيها راغب ولم نجد قولا خامسا فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار ورجال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم علي وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد

استعيذ بالله منك وأستعينه عليك فقد أمرت لك بغنائك فليبت امرا عنانا اليك يقوم بأبطائنا عنك

وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال يا حاملي الأم آنف ركبت بين أعين انى انما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن على بن عبد الله ابن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنوا العباس بمكة فقال شكرا شكرا اما والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك فى نصابه فى أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبى سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انى من زرع قد استحصد وان يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى ففعلن فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه * ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء

قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطع العذر صاحبه ولا لا قلاعن مذهبه وان كانت الرواية فى تقديم على أشهر واللفظ به أكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على رضى الله تعالى عنه ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول محمد ابن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء ابن مالك على ان لعلى من قتل الاقران والفرسان ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون على فى طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا أفقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على ان عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكأحدهم وان سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ ابن جبل وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبليغ بالحقير وصلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح واعطيث

وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزى كما رزئت فقام ابن همام السلولى فأنشده شعرا كأنما فاوضه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذي بالملك أصفاكا

أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ما ان رزى أحد في الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذي يقلب الأمور ظهرا البطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته في كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا في حرب فقال طعنته في الكبة فوضعت رمحي في اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتي لابان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هفافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسميك بنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومرى وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدي ولم تهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع ﴿ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوى كما وعدنا في أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقي فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون

بالشفرة في أمور كثيرة مع ان زهده أفضل من زهدهم لأنه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لابي الدرداء وأبي ذر وبلال مثل الذي ذكروا له في باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لابي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأيناه قد والأمور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا انه أفضلهم وان كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه

﴿فصل منه﴾ وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم اعراب أجلاف وأشباه الاعراب يفترقون لا تدفع صولاتهم اذا هاجوا ولا يؤمن هيجانهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا في البلاد وان أجدبوا آثروا العناد ثم هم موكلون ببغض القادة وأهل الثرى والنعمة

الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل
أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم إن تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن
بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت
وأقضي لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم
لا أتبع أحدا منكم بمكروه فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إلي من يأخذ لك من الميثاق
والعهد والأمان ما أحببت والسلام فكتب إليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين
نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها
شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن
على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي
أعطيتني وقد تعلم أن الحق حقنا وأنكم إنما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وحظيتموه بفضلنا
وأن أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه
ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الإسلام
من بينكم فأنا أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدني العجم ولم تعرق في أمهات الأولاد
وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن
أصحابه أقدمهم إسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا علي بن أبي طالب ومن نسائه أفضلهن
خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة

يتمنون النكبة ويشمتون بالعثرة ويسرون بالدولة ويترقبون الدائرة وهم كما وصفوا الطغام والسفلة

وقال علي رضي الله
تعالى عنه في دعائه
نعوذ بالله من قوم إذا
اجتمعوا لم يملكوا وإذا
افترقوا لم يعرفوا فهؤلاء
هؤلاء. وضرب آخر قد
فقهوا في الدين وعرفوا
سبب الإمامة واتبعهم
الحق وانقادوا له بطاعة
الربوبية وطاعة المحبة
وعرفوا المحبة وعرفوا
المعدن ولكنهم قليل في
كثير وإن كثروا فهم أقل
عددا وإن كانوا أكثر فقها
فلما كان الناس عند علي
وأبي بكر وعمر وأبي
عبيدة وأهل السابقة
المهاجرين والأنصار على
الطبقات التي نزلناها المنازل
التي رتبنا وبالمدينة
منافقون يعضون عليهم
الأنامل من الغيظ وفيها
بطانة لا يألونهم خبالا
لا يخفى عليهم موضع
الشدة وانتهاز الفرصة وهم
في ذلك على تقية ووافق
ذلك ارتداد من حول
المدينة من العرب
وتوعدهم بذلك في شكاة
النبي صلى الله عليه وسلم
وصح به الخبر ثم الذي كان
من اجتماع الأنصار حيث
انحازوا من المهاجرين
وصاروا أحزابا وقالوا منا
أمير ومنكم أمير فأشفق
على أن يظهر إرادة القيام
بأمر الناس مخافة أن
يتكلم متكلم أو يشغب شاغب ممن وصفنا حاله ويناظر بقية فيحدث بينهم فرقة والقلوب على

ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد
عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من
قبل جدّي الحسن والحسين فمازال الله يختار لي حتى اختار لي في النار فولدني أرفع الناس درجة
في الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن
خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا
من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى
لقبول الامان فأما أمانك الذي عرضت علي فأي الأمانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد
الله بن علي أم أمان أبي مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك
بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء
ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة
آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما
ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله
لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب
فان الله لم يهد أحدا من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير
في الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من
أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة
أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة
وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من

الى الكف عن الاظهار
والتجافي عن الأمور وعلم
أن فضل ما بينه وبين
أبي بكر في صلاحهم لو كانوا
أقاموه لا يعادل التغرير
بالدين ولا يفي بالخطر
بالانكس لان في التهييج
البائقة وفي فساد الدين
فساد العاجلة والآجلة
فاغتفر الخمول ضنا بالدين
وآثر الآجلة على العاجلة
فدل ذلك على رجاحة
حلمه وقلة حرصه وسعة
صدره وشدة زهده وفرط
سماحته واصالة رأيه
ومتى سخت نفس امرئ
عن هذا الخطب الجليل
والامر الجزيل نزل من
الله تعالى بغاية منازل
الدين وانما كانت غايتهم
في أمرهم أروح الحالين
لهم واعون على المقصود
اذ علم ان هلاكهم تقوم
بازاء صرفي ما بين حاله
وحال أبي بكر في مصلحتهم
(فصل منه) وانما ذكرت
لك مذهب من لا يجعل
القرابة والحسب سببا الى
الامامة دون من يجعل
القرابة سببا من أسبابها
ووجوهها اني قد حكيته في
كتاب الرافضة وكان ثم
أوقع وبهم أليق وكرهت
المعاد من الكلام
والتكرار لان ذلك يغني
عن ذكره في هذا الكتاب
وهو مسلك واحد وسبيل
واحد وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في ولائهم وحججهم لانه أحسن شئ رأيته لهم وانما أحكي لك

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها القرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها (٣) ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختارك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وانك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي ابن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله

من كل نحلة قول حذاقهم وذوي احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغيره ماسواه وقالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله تعالى طاعته وتقديمه اما للمصلحة واما للاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى والتكلفة كما قال تعالى للملائكة اسجدوا لآدم والملائكة أفضل من آدم فقد كلفهم الله تعالى أغلظ المحن وأشد البلوى لانه ليس في الخضوع أشد من السجود على الساجد له والملائكة أفضل من آدم لان جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بني اسرائيل وفيهم يومئذ داود النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذي أخبر عنه في القرآن وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ثم صنيع النبي صلى الله عليه وسلم حين ولى زيد بن حارثة على جعفر الطيار يوم مؤتة وولى أسامة على كبراء المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبي وقاص وذوو اخطار واقدار من البدريين

(٣) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما في كتب السير الصحيحة وهي من وضع الرافضة اه مصححه واشدنا

وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل على أنا قد منناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلماً منهم وابتلى أبوك بالدماء ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حياً الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرهاً لمات عماك طالب وعقيل جوعاً أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم فى الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد فى الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطى فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراطه بالدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغى والسلطان ذل منقاداً وندم حسيراً وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له ولو أراد

والمهاجرين والسابقين الأولين ۞ (فصل منه) ولو ترك الناس وقولى عقولهم وجماع طبائعهم وغلبة شهواتهم وكثرة جهالهم وشدة نزاعهم الى ما يرديهم ويطغيهم حتى يكونوا هم الذين يحتجرون من كل ما أفسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضار والنافع ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء والأغذية والسموم كان قد كلفهم شططاً وأساء الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التى هى اجدى الأمور عليهم وأنفعها لهم ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية وأخرجهم من حد الطفولة والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الاداة والآلة والتى قال عز ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاهم وسبر الأمور وامتحان السموم واختبار الأغذية وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة وقلة المعرفة وغلبة الشهوة وتسلط الطبيعة مع كثرة الحاجة والجهل بالعاقبة لأتت عليهم السموم ولأفناهم الخطر ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الأدواء وترادفت

أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد قلتان خطاك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك
والله مازادتني ولاية العراق شرفا ولا ولاني أمير المؤمنين شيئا لم يكن من قبلي ممن هو دوني بلي
مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت
أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى
قلت أطعموني ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم مرزين
وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطائك في مجالسك وجحودك فضله اليك
وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك
مستحقا فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه
فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن
وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي
رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافا من آل عبد الله
ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات
تعلوك وتغمرك وتسكنك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند أبواب الامور وأبواب الخلفاء
ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب
مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عندك وحلول نقمه بك
فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين
وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس
الجنين أنت يا عدى نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك
بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من
كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي
فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

الاسقام حتى تصير منايا
قاتلة وحتوفا متلفة اذ لم
يكن عندهم الا أخذها
والجهل بحدوثها ومنتهى
ما يجوز منها والزيادة
فيها وقلة الاحتراس من
توليدها فلما كان ذلك
كذلك علمنا ان الله تعالى
حيث خلق العالم وسكانه
لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا
يجوز صلاحهم الا بتبقيتهم
ولولا الأمر والنهي
ما كان للتبقية وتعديل
الفطرة معنى ولما ان كان
لابد للعباد من أن يكونوا
مأمورين منهيين بين
عدو عاص ومطيع ولي
علمنا أن الناس
لا يستطيعون مدافعة
طبائعهم ومخالفة اهوائهم
الا بالزجر الشديد
والتوعد بالعقاب الأليم
في الآجل بعد التنكيل
في العاجل اذ كان لابد من
أن يكون ... بين بالتنكيل
معجلا والجزاء الأكبر
مؤجلا وكان شأنهم ايثار
الأدنى وتسويف الأقصى
واذا كانت عقول الناس
لا تبلغ جميع مصالحهم
في دنياهم فهم عن مصالح
دينهم أعجز اذ كان علم
الدين مستنبطا من علم
الدنيا واذا كان العلم مباشرة
أو سبب المباشرة وعلم
الدين غامض فلا انتقاص
الى معرفته الا بالطبيعة
الفائقة والعناية الشديدة
... تلقين الأئمة ولان

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا رائنا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا
ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نبئته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر
عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك في غير واحدة منها القرشي الذي تناولته بالحجاز
ظالما لحضر بك الله بالصوت الذي ضربته به مفتضحا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين
يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهي
سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحي من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من
حوض رسوله وجعل شر الخبر كالفداء والله أن لو لم يستدل أمير المؤمنين على ضعف
مجازك وسوء تدبيرك الا بفسالة أخالك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائفة
بائعة الفهود ومستعمله الرجال مع ما أتلفت من مال الله في المبارك فانك ادعيت أنك
أنفقت عليه لهيئ عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل
لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء
على جميع أهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لاكثره رافعا
لاقله مع خيانة مساويك التي قد آخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين
في مولاه حسان وركيك في ضياعه وأحوازه في العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به
وسيكون لأمير المؤمنين في ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بأمور أتيتها
غير مبارك لتكشيفك عنها وجلالك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة
وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهر العصبية بها متحاملا على هذا الحي من مضر قد
أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا لحديث زنب
وقصص الهجر بين كيف كانت في أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك
وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم فيك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا
أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم

الناس لو كانوا يبلغون
بأنفسهم غاية مصالحهم
في دينهم ودنياهم كان
ارسال الرسل قليل النفع
يسير الفضل واذا كان
الناس مع منفعتهم
بالعاجل وحبهم للبقاء
ورغبتهم في النماء وحاجتهم
الى الكفاية ومعرفتهم
بما فيها من السلامة
لا يبلغون لأنفسهم
معرفة ذلك واصلاحه
وعلم ذلك جليل ظاهر
سببه بعضه ببعض كدرك
الحواس وملاقته فهم
عن التعديل والتحرير
وتفصيل التأويل والكلام
في مجي الأخبار وأصول
الأديان أعجز وأجدر أن
لا يبلغوا منه الغاية ولا
كنه الحاجة لان علم الدنيا
أمران أما شئ يلي الحواس
وأما شئ يلي علم الحواس
وليس كذلك الدين فلما
كان ذلك كذلك علمنا
أنه لابد للناس من امام
يعرفهم جميع مصالحهم
ووجدنا الأئمة ثلاثة رسول
ونبي وامام فالرسول نبي
امام والنبي نبي امام
والامام امام وليس برسول
ولا نبي وانما اختلفت
أسماؤهم ومراتبهم
لاختلاف النواميس
والطبائع وعلى قدر ارتفاع
بعضهم عن درجة بعض
في العزم والتركيب
وتغير الزمان بتغير الغرض
وتبدل الشريعة فأفضل

عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

(هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أدهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذى نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله)

قال الشاعر

اذكر مجالس من بنى أسد * بعدوا وحن الهائم القلب
الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب
من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم غضب

وقال آخر

حياة أبى العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقى من الناس أعتبا

وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى * حياة للمكارم والمعالى
جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال
وترجعنى اليك وان نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

وقيل فى المثل المبالغة فى النصيحة تقع بك على عظيم الظنة وأنشدنى العباس بن الفرج الرياشى

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدنى الرياشى

اذا الأمر أغنى عنك حنو به فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

الناس الرسول ثم النبى ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقيم الناس على حمل مراشدهم اذ كانت طبائعهم لا تحتمل فى ابتداء الأمر أكثر من الحمل ولولا أن فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الارشاد لكانوا اهملا ولتركوا نشرا حشرا واسقط عنهم الأمر والنهى ولكنهم قد يفضلون بين الأمور اذا وردت عليهم وكفوا مؤنة التجربة وعلاج الاستنباط وان يبلغوا بذلك القدر قدر المستغنى بنفسه المستبد برأيه المكتفى بفطنته عن ارشاد الرسل وتلقين الأئمة وانما جاز أن يكون الرسول مرة عربيا ومرة عجميا وليس له بيت يحظره ولا شرف يشهر موضعه لانه حين كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وأنبه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب الى القاهر المعقول والواضح الذى لا يحيل أن يشتهر مثله فى الآفاق ويستفيض فى الاطراف حتى يصدع عقل الغبى ويضئ طبع العاقل وينقض عزم المعاند الآصل وينتبه من طول الرقدة وتخضع الرقاب وتضرع

وقال العتّابي

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وفيت كل خليل ودّني ثمنا * الا المؤمّل دولاتي وأيامي

وقيل للعتابي ما البلاغة قال الا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

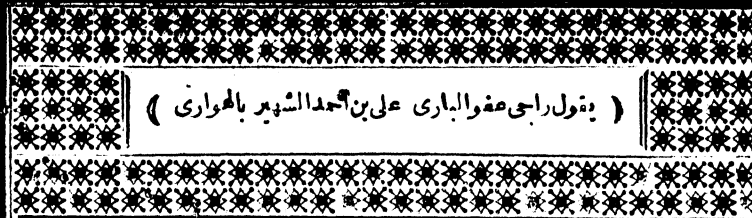
اقدر لرجلك قبل الخطو موضعها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذاق ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الأول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول واياكم أي ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

المحدود حتى يتواضع له كل شرف ويرغم له كل انف ولا يحتاج حاله معه الى حال ولا مع قدره الى حسب وعلى قدر جهل الأمة وغباوة عقولها وخبث مادتها وغلظ محنتها او شدة حيرتها تكون الآيات كفلق البحر والمشي على الماء واحياء الموتى وقصر الشمس عن مجراها الا ان النبي الذي ليس برسول ولا مبتدئ ملة ولا منشئ شريعة انما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبي بالرسول الكائن على غابر الأيام وطول الدهر وتوكيد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدي لأصل الملة والمظهر لفرض الشريعة الناقل للناس عن الضلال القديم والعادة السيئة والجهل الراسخ ولذلك اكتفى بشهرة أعلامه وشرف آبائه وذكر شرائعه عن شهرة بينته وشرف حسبه لانه لا ذكر الا وهو خامل عند ذكره ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه (انتهت الفصول) التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين



الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان وأنزل لهدايته كتابا بأفصح لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختص بجوامع الكلم وروائع الحكم فعجز شأو بلغاء العرب والعجم وعلى آله وأصحابه خير أمة أخرجت للناس الذين عنوا بنشر الدين وأقاموا اللغة على أمتن أساس

(وبعد) فان علم الأدب بين علوم اللسان قلادة الجيد وبيت القصيد وبه تدرك أسرار القرآن ويقبض على أزمة البيان وقد كتب فيه أئمة البلاغة الكتب ودونوا الدواوين وأملوا الامالي بيد أن أحسنها وضعا وأدقها صنعا هو كتاب الكامل لشيخ الادب واللغة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقد أودعه من مختار الشعر ونوابغ الخطب وعيون الرسائل ما فيه الغناء بحيث لو ألم به المتأدب كان من مبرزي البلغاء وقد التزم رحمه الله ان يشرح كل ما به حاجة الى الشرح بأمتن عبارة وأبلغ لفظ وأبدع اختصار وهذا ما حدا بحضرة الماجد الهمام (عبد الواحد بك الطوبي وأخيه) الى طبع ذلك الكتاب محلى هامشه بمنتخبات رسائل امام البلاغة ومالك أعنة البيان أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمر الحق كتاب لو قرأه متأدب ولم يخرج منه جاحظيا فلا أشب الله قرنه وكان هذا الطبع الرائق بهذا الشكل الفائق بمطبعة التقدم العلمية التي مركزها درب الدليل بمصر المحمية ادارة حضرة ملتزم الطبع وأخيه ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في النصف الثاني من شهر شعبان المكرم

سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها

أفضل الصلاة وأزكى

التحية آمين

آمين

